كلية الدراسات العليا

برنامج ماجستير الدراسات الإسرائيلية

تحولات السناسل الزراعية وأنظمة البساتين الزراعية–البيئية في جبال الضفة الغربية في سياق استعماري

The Transformation of Agricultural Terraces and Orchard Agro–ecosystems in the Hill region of the Palestinian West Bank in a Colonial Context

إعداد إشراق عواشرة

1195158

إشراف د. عمر امسيح تسدال

بيرزيت – فلسطين

كانون أول 2022

تحولات السناسل الزراعية وأنظمة البساتين الزراعية–البيئية في جبال الضفة الغربية في سياق استعماري

The Transformation of Agricultural Terraces and Orchard Agro–ecosystems in the Hill region of the Palestinian West Bank in a Colonial Context

إشراف د. عمر امسيح تسدال

إعداد إشراق عواشرة

قُدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الدراسات الإسرائيلية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين

وتم إجازتها بعد عرضها للنقاش في 9 تشرين الثاني 2022

لجنة النقاش	التوقيع
د. عمر امسيح تسدال (رئيسًا)	.....
د. سليم تماري (عضوًا)	.....
د. يزيد الرفاعي (عضوًا)	.....

ملخص

تقدم هذه الدراسة قراءة في البنى التحتية الزراعية، وهي التكوينات التي ساهمت في جعل الوجود الزراعي ممكنًا في فلسطين، وتضع هذه التكوينات في سياق المشهد الزراعي الإيكولوجي الأكبر، الذي تراه الدراسة على أنه مشهد حي وقيد التكوين باستمرار. إن الأدبيات الفلسطينية التي تدرس البنى التحتية الزراعية هي أدبيات هامة، لكنها تفتقر أساسًا إلى قراءة البنى التحتية الزراعية كبنيات ضمن تكوين أكبر، كما أنها دراسات وصفية ذات طابع فلكلوري، وترى البنى التحتية الزراعية على أنها في مرحلة تراجع في الفترة الأخيرة، متجاهلة عمليات التكوين الأخرى التي تمر بها البنى التحتية الزراعية، ولذا تبني الدراسة على هذه الأدبيات وتأخذ دراسة البنى التحتية الزراعية باتجاهات جديدة، تراها ككيان أكبر حي ويتبدل مع الزمن. مقابل الأدبيات الفلسطينية، تبدو الأدبيات الإسرائيلية مهتمة بالماضي البعيد، وترى السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية على أنها منتجات شهدت ازدهارًا ونموًا في الماضي، وتتجاهل التحولات الأخيرة على السناسل، وتغيّب دور الفلاح الفلسطيني في التكوين المستمر للمشهد الزراعي الإيكولوجي وفي إنشاء البنى التحتية الزراعية واستخدامها. للوقوف في وجه هذه التصورات، تلجأ هذه الدراسة إلى توثيق المعرفة المحلية الفلسطينة حول إنشاء السناسل وصيانتها واستخدامها، وتبين أن المهارات المرتبطة بالسناسل لا زالت حية وتتبدل مع التبدلات على السياقات المحيطة. من ناحية أخرى، تطرح الدراسة توجهًا مغايرًا لتفسير توسع السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية، حيث تقترح أن الفلاح الفلسطني لعب الدور الأهم في تشكيل المشهد الزراعي الإيكولوجي وإضافة البنى التحتية الزراعية إلى هذا المشهد، وذلك بالتزامن مع توسع مساحات الأشجار المثمرة ذات الجدوى الاقتصادية، التي ربطت القرى الصغيرة في منطقة الدراسة بالاقتصاد الإقليمي، خاصة خلال فترة الاستعمار البريطانيا وما بعدها. تختار الدراسة قريتي سلواد وعين يبرود كحالة دراسية، وتدرسهما في القرن الأخير من الزمن، أي منذ الاستعمار البريطاني إلى اليوم، وتلجأ إلى جملة من أدوات البحث المتقاطعة، من بينها العمل الميداني والتاريخ الشفوي وأنظمة المعلومات الجغرافية، والتحليل والرسم المعماري. تتمثل إضافة الدراسة في شقين: شقٌ توثيقي للسناسل والبنى التحتية الأخرى، وشقٌ تحليلي لحيوية البنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي، ودور البنى التحتية الزراعية في دعم الوجود الزراعي في هذا الجزء من العالم.

Abstract

This study addresses the concept of Agricultural Infrastructures, which are a multitude of structures that supported the existence of the agricultural societies in Palestine. The study contextualizes the Agricultural Infrastructures in a larger framework of Agroecological Landscapes, and sees the landscape as a living entity who is under continuous transformations with time. There are some important Palestinian studies dealing with Agricultural Infrastructure entities, but they basically lack a general view of these entities as part of a whole. Moreover, these Palestinian studies are descriptive and folklorist in their approach, and they see the Agricultural Infrastructures as entities under mere decay, ignoring other processes of transformation. Therefore, this study builds on the Palestinian studies and takes new approaches toward understanding Agricultural Infrastructures as a whole who is dynamic and constantly changing. Israeli studies, on the other hand, focuses on the distance past of the Agricultural Infrastructures in Palestine. In fact, these studies treat the terraces and other Agricultural Infrastructures as products that have experienced prosperity and growth only in the distant past, ignoring the recent transformations on the terraces and the major role that the Palestinian peasants played in the continuous creation and transformation of the agroecological landscapes. Against these studies, this study documents the local knowledges related to terrace construction, maintenance, and use, proving that Palestinians continue to construct

and use agricultural terraces until the present. In addition, the study takes a new approach to analyze the reasons behind terrace expansion, showing that the Palestinian peasants had (and are) playing the major role in expanding Agricultural Infrastructures and transforming the agroecological landscapes. It could be said that the most important expansion during the study period happened parallel with the expansion of cash crop fruit trees in the study area, which flourished especially during the British colonialism of Palestine and afterwards. The fruit trees, in fact, had linked the two small villages in the study area with the regional economy, and the plantation of new trees to meet the market needs had led to the expansion of the terraces and other Agricultural Infrastructures. Two case study villages were selected for this study: Silwad and Ein – Yabroud, which are adjacent villages located to the north of Ramallah City, West Bank. The study uses a multitude of research methodologies, including fieldwork, oral history, GIS, and architectural analysis and illustrations. The importance of the study lies in its contribution in Agricultural Infrastructure documentation, especially terraces, as well as the analysis of these structures as dynamic and integral entities who supported the agricultural existence in this part of the world.

شكر وامتنان

لا أستطيع التعبير عن مدى امتناني لظروف أوصلتني إلى هذا المكان، وأشخاص رائعين رافقوني في مسيرة حياتي، خاصة في فترة العمل على الرسالة. أنا ممتنة لمشرفي الدكتور عمر تسدال، الذي قدم لي الكثير في فترة الرسالة وما قبلها، فله الفضل في توجيهي لاختيار موضوع الرسالة، ثم تدريبي بشكل متواصل على إجراء البحث العلمي، وتقديم المشورة الدائمة والملاحظات الهامة التي وجهت الرسالة في مسارها كلما أبعدتُ عن المسار أو قلقتُ منه، لقد تعلمت الكثير من د.عمر خلال فترة إجراء الرسالة وخلال دراستي في برنامج الماجستير في الدراسات الإسرائيلية، كما أنه جعل رحلة الرسالة سلسلة، وشجعني باستمرار على البحث والاستكشاف. أنا ممتنة أيضًا للدكتور سليم تماري والدكتور يزيد الرفاعي على الملاحظات القيمة والأسئلة الهامة التي طرحاها في جلسة نقاش هذه الرسالة.

أنا ممتنة لأساتذة رائعين تعلمت منهم الكثير خلال دراستي للماجستير، بدءًا بالدكتور منير فخر الدين، الذي علمني أساسيات البحث العلمي والتفكير النقدي في سنتيّ الأولى والثانية في هذا البرنامج، وساهم في تطوير هذه الرسالة في مراحلها الأولى، إلى جانب إدارته لبرنامج الماجستير في الدراسات الإسرائيلية خلال الجزء الأكبر من فترة دراستي. أنا ممتنة أيضًا للدكتور نبيه بشير، الذي علمني أيضًا أساسيات البحث العلمي، وضرورة توخي الدقة في الأبحاث، وللدكتورة رنا بركات والدكتورة غادة المدبوح، اللتين قدمتا الكثير من الملاحظات القيمة على المقترحات الأولية لهذه الرسالة. أنا شاكرة للمساعدة الإدارية الأستاذة مواكب مساد، لأنها قدمت الكثير من المساعدة التقنية طيلة فترة دراستي، وللدكتورة هالة الشعيبي التي أدارت البرنامج في الفترة الأخيرة. أنا أيضًا ممتنة لبرنامج الدراسات الإسرائيلية لتقديمه المنحة المالية التي جعلت دراستي ممكنة.

أنا ممتنة لأساتذة من دائرتي السابقة (دائرة العمارة في جامعة بيرزيت)، لأنهم ساهموا بطريقة أو بأخرى في توجيهي إلى المسار الأكاديمي وفي تطوير أفكاري، وأخص بالذكر الأستاذ فائق مرعي، والأستاذة لانا جودة، والأستاذ محمد أبو الرب. يتسع امتناني ليشمل صديقات وأصدقاءً كانوا معي خلال رحلتي في الرسالة، بدءًا من دعاء عويس التي رافقتني في أغلب الزيارات الميدانية والمقابلات الشفوية، وساهمت في جعل تجربة الرسالة مليئة بالمرح، ثم دانة مسعد التي ساهمت بشكل كبير في تطوير أفكاري حين كنا نتجول في الجبال أثناء عملنا على بحث آخر، وجميلة عويس التي استمعت إلي وإلى أفكاري دائمًا، وقدمت لي الكثير من الملاحظات والنصائح

خلال دراستي، وعلاء اقطيش وباسل رزق وروان سمامرة الذين ساعدوني أكثر من مرة خلال فترة الرسالة، وكانت كتاباتهم دليلًا مساعدًا لكتابة هذه الرسالة في مراحلها المختلفة.

لا تستطيع الكلمات التعبير عن مدى امتناني لعائلتي الصغيرة التي خلقت الظروف التي أوصلتني إلى هذا المكان، ودعمت مسيرتي التعليمية. أنا ممتنة لأمي أسماء وأبي خالد، لأنهما كانا إلى جانبي دائمًا، وزرعا فيّ حب المعرفة وحب الأرض وما عليها، وعلماني إعطاء أفضل ما لدي. أنا ممتنة أيضًا لأخي عديل وأختيّ سارة وخالدة، فهم الأقرب علي في كل الأوقات، وهم الذين سهلوا علي مرحلة كتابة الرسالة.

أنا شاكرة للكثير من الزميلات والزملاء في برنامج الدراسات الإسرائيلية، من بينهم ربى مسودة، حرية زيادة، كريم قرط، ضحى ادكيدك، لمى يحيى، ملكة عبد الفتاح، محمد حمودة، ختام عجارمة، عمار أبو عبيد، عبد القادر بدوي، وزميلنا الأسير اعتراف الريماوي. ولا بد لي من أن أشكر بعض الصديقات والأصدقاء والأشخاص الذين أضافوا لي الكثير في السنوات الأخيرة، من بينهم سجود فرعون، نادين قطينة، يارا حسين، ريم مسالمة، تالا خوري، إياد طعم الله، ماري ادعيق، يسرى حسين، حنان زهران، أشرف حمدان، يوسف يعقوب، صابرين الحاج أحمد، جمانة عبود، وسحر قواسمي.

ختامًا، لا بد لي من أن شكر أهالي قريتي عين يبرود وسلواد، الذين استقبلوني بلطف وقدموا لي الكثير من المعرفة.

ممتنة إلى الأبد

إشراق

فهرس المحتويات

الفصل الأول: حول الدراسة، ومراجعة الأدبيات.....12

مقدمة.....12

اختيار منطقة الدراسة.....15

حول منطقة الدراسة.....17

أسئلة الدراسة.....26

فرضيات الدراسة.....26

منهجية الدراسة: بحث معماري.....27

تجربة باحثة فلسطينية في سياق استعماري.....29

أهمية الدراسة.....31

مراجعة الأدبيات حول السناسل 32

الفصل الثاني: البنى التحتية الزراعية.....45

مقدمة.....45

الأطر النظرية.....47

الجنيالوجيا وتاريخ الحاضر.....47

المشهد عملية قيد التكوين.....49

المعرفة المحلية.....51

البنية التحتية.....52

البنية التحتية الزراعية.....54

نحو تعريف أولي للبنية التحتية الزراعية في فلسطين.....54

تنوع البنى التحتية الزراعية.....58

نحو تصنيف أولي للبنى التحتية الزراعية.....61

بعض نماذج البنى التحتية الزراعية ودينامكياتها.....64

البنى التحتية تكوينات حيوية مترابطة.....76

أرض السيدة زينب: نموذج على حيوية وترابط البنى التحتية الزراعية والمشهد الطبيعي.....78

حاضر البنى التحتية الزراعية.....81

البنى التحتية الزراعية للمستقبل.....85

إجمال.....87

الفصل الثالث: توثيق السناسل وتحولاتها في جبال الضفة الغربية – منطقة الدراسة نموذجًا.....88

مقدمة.....88

السنسلة بنية تحتية زراعية مركزية في المشهد الزراعي الإيكولوجي.....89

نحو تصنيف أولي للمصاطب والسناسل.....96

الجوانب التقنية المرتبطة بإنشاء السناسل في منطقة الدراسة، والتحولات.....114

مواد البناء.....114

عمليات الإنشاء والصيانة.....115

ترميم السناسل.....126

بعض التحولات التقنية على السناسل.....137

زراعة الجبال قبل/ دون سناسل.....142

إجمال.....149

الفصل الرابع: مشاهد البنى التحتية والأشجار المثمرة في منطقة الدراسة.....150

مقدمة.....150

توزيع انتشار البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة زمن الاستعمار البريطاني.....151

التحولات على أنواع الأشجار المثمرة ومساحاتها في منطقة الدراسة.....160

تجارة منتجات

الأشجار.....165

جوانب اقتصادية أخرى مرتبطة باقتصاد الأشجار المثمرة.....173

اقتصاد زراعة الأشجار المثمرة والعناية بها، وبعض

التحولات.....174

اقتصاد إنشاء السناسل

قديمًا.....175

اقتصاد إنشاء السناسل حاليًا.....177

إجمال.....180

الفصل الخامس: خلاصة

واستنتاجات.....181

قائمة المصادر والمراجع.....**187**

الملاحق.....**202**

ملحق رقم 1: بعض التحولات على البنى التحتية في منطقة الدراسة.....202

ملحق رقم 2: بعض التحولات على البنى التحتية واستخدامات الأراضي في منطقة

الدراسة.....218

ملحق رقم 3: خرائط حول البنى التحتية الزراعية ومشاهد الأشجار المثمرة في منطقة

الدراسة.....226

الفصل الأول: حول الدراسة، ومراجعة الأدبيات

مقدمة

يمكن معالجة المشهد الطبيعي وتفسيره باعتباره عمليةً "حيةً وقيد التكوين" بشكلٍ مستمرٍ، و"كمرحلةٍ مكانيةٍ" تنتج عن التفاعل المتبادل بشكلٍ دائمٍ بين المجتمع والبيئة الطبيعية التي تحيط به. [1]تبرز مشاهد السناسل (أو السلاسل) الحجرية والحبلات (أو المصاطب أو المدرجات) الزراعية باعتبارها إحدى العمليات الأكثر حضورًا في المشهد الزراعي الإيكولوجي في سلسلة الجبال الوسطى في فلسطين. [2] في الواقع، فإن السناسل هي واحدةً من بين عدة بنىً تحتيةٍ زراعيةٍ سمحت بوجود مجتمعاتٍ زراعيةٍ في فلسطين. لم تأت مشاهد السناسل والبنى التحتية الزراعية التي نراها اليوم في جبال فلسطين نتيجة حدث بناءٍ واحدٍ، وإنما على إثر تراكم جهدٍ بشريٍ مكثفٍ لتشكيل التضاريس وتطويعها عبر حقباتٍ تاريخيةٍ طويلةٍ شهدت عملياتٍ مستمرةً من البناء والهدم والصيانة وتغير الاستخدام،

[1]عمر امسيح تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي،" جدلية، تم الوصول بتاريخ 12 أيار 2022 من https://www.jadaliyya.com/Details/43780.

[2] سعاد العامري و فراس رحال، مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين، سلسلة رواق في تاريخ العمارة في فلسطين 6 (رام الله: رواق - مركز المعمار الشعبي، 2003)، 15.

هذا التشكيل المتواصل للمشهد الطبيعي جاء حصيلة تراكم معرفةٍ دقيقةٍ بالأرض والمناخ والزراعة، طورها سكان هذه الأرض وأتقنوها وتناقلوها جيلًا بعد جيلٍ، وبها تمكنوا من تكوين المشهد الجبلي بطريقةٍ تجعل الوجود والاستقرار البشري ممكنًا في هذه البيئة الصعبة. [3] [4]

هناك ضرورةٌ للتساؤل عن مختلف عمليات "التكوين" التي مرت وتمر بها مشاهد السناسل والبنى التحتية الزراعية في سلسلة جبال فلسطين الوسطى. تركز الشريحة الأكبر من الأدبيات — خاصة الإسرائيلية – على أصل نشأة السناسل الزراعية وتوسع انتشارها في جبال فلسطين، تحديدًا في منطقة القدس، وتدرس الأسباب المحتملة التي دفعت الإنسان قديمًا إلى إنتاج مشاهد السناسل في هذه المناطق الجبلية ثم نشرها على نطاقٍ واسعٍ في فتراتٍ زمنيةٍ مختلفةٍ تمتد من المحاولات الأولى لإنشاء السناسل (ليس هناك اتفاقٌ بين الأدبيات على تاريخ ذلك) إلى بداية الحكم العثماني على أكثر تقدير، متجاهلة دور الفلاح الفلسطيني أو مغيّبة له عن تشكيل المشهد الزراعي الإيكولوجي وتوسعة السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية. [5] بالمقابل، فإن الأدبيات الفلسطينية التي تدرس السناسل لا تدرسها بشكل تفصيلي، وتدرسها بمعزل عن السياق الأكبر للبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي، كما أنها تأخذ الطابع الوصفي لدراسة السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية، وهي دراسات فلكلورية الطابع، تدرس السناسل لأجل توثيق الماضي لا غير في أغلب الأحيان، أيضًا فإنها تركز على تراجع السناسل وتدهورها ودمارها في العقود الأخيرة، خاصةً في جبال الضفة الغربية، حيث تنسب هذه الأدبيات التراجع إلى أسبابٍ مباشرةٍ؛ نتيجة السياسات الاستعمارية الصهيونية في مصادرة الأرض وتغيير المشهد، أو ظروفٍ غير مباشرةٍ؛ نتيجة تراجع الزراعة وعدم صيانة السناسل. [6] رغم أهمية ما جاءت به الأدبيات المذكورة، إلا أن هناك

---

[3] *رجا شحادة، "*المشي في فلسطين*،" في سرحة في مرتفعات رام الله، تأليف فرحات مهوي وسحر قواسمي، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري، سلسلة رواق حول تاريخ العمارة (رام الله: رواق - مركز المعمار الشعبي، 2012)، 10–13.*

[4] Malcolm Wagstaff, "The Mountain and the Plain: Some Themes of Continuity and Change in Palestinian Landscapes," in *The Landscape of Palestine: Equivocal Poetry*, ed. Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef (Birzeit: Birzeit University, 1999), 23–35.

[5] Shimon Gibson, "Agricultural Terraces and Settlement Expansion in the Highlands of Early Iron Age Palestine: Is There Any Correlation between the Two," in *Studies in the Archaeology of the Iron Age in Israel and Jordan*, ed. Amihai Mazar (Sheffield: Sheffield Academic Press, 2001), 113–46; Yuval Gadot et al., "The Formation of Terraced Landscapes in the Judean Highlands in Israel, and Its Implications for Biblical Agricultural History," *Hebrew Bible and Ancient Israel* 5 (December 2016): 437–55, https://doi.org/10.1628/219222717X14991542936068; Yelena Elgart-Sharon, Naomi Porat, and Yuval Gadot, "Land Management and the Construction of Terraces for Dry Farming: The Case of Soreq Catchment, Israel," *Oxford Journal of Archaeology* 39, no. 3 (August 1, 2020): 274–89, https://doi.org/10.1111/ojoa.12201.

[6] Shadi Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape," *Sustainable Development, Culture, Traditions Journal* 1-B, no. 10 (2015), https://doi.org/10.26341/issn.2241-4002-2015-1b-4; Nadi Abusaada, "Palestine's Garden Walls: The Deliberate Destruction of Palestine's Terraced Gardens," *Architectural Review* (blog), February 11, 2021, https://www.architectural-review.com/essays/palestines-garden-

حاجةً إلى توظيفها والبناء عليها لتقديم قراءةٍ أوسع للتحولات التي طرأت على السناسل في جبال الضفة الغربية في القرن الأخير من منظورٍ مغايرٍ لتوجه "البناء" الأركيولوجي الذي يضع السناسل في الماضي، وتوجه "الهدم" الذي يتجاهل عمليات "التكوين" الأخرى التي شهدتها وتشهدها السناسل مؤخرًا، ووضع هذه البنيات ضمن إطار أوسع يشمل التكوينات المختلفة (البنى التحتية الزراعية) التي ساهمت في دعم الوجود الزراعي في فلسطين، وضمن الإطار الأكبر للمشهد الزراعي الإيكولوجي، الذي تراه الدراسة على أنه حي ويتكون مع الزمن باستمرار.

تأتي هذه الدراسة كمحاولةٍ لتقديم تأطير أولي للبنية التحتية الزراعية، وتوثيق البنى التحتية الزراعية المختلفة في جبال وسط فلسطين وتحليل دورها في دعم الوجود الزراعي الفلسطيني، وقراءة التحولات الأخيرة التي أدت إلى الوصول إلى "المرحلة المكانية" الحالية للمشهد الزراعي الإيكولوجي في جبال الضفة الغربية وما يتضمنه هذا المشهد من بنىً تحتيةٍ زراعيةٍ، وذلك من خلال التركيز على السناسل الزراعية كمحورٍ أساسيٍ للتحليل، وتتبع مختلف عمليات "التكوين" التي مرت وتمر بها مشاهد السناسل والبنى التحتية الزراعية الأخرى في سلسلة الجبال الوسطى لفلسطين في القرن الأخير من الزمن، ومحاولة توثيق وتحليل ودراسة هذه التحولات، وفهم العلاقات المتبادلة بين التحولات التاريخية (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) وتحولات البيئة المادية، واستكشاف جملة العوامل الأخيرة التي تؤدي إلى التكوين المستمر للمشهد الزراعي الإيكولوجي في جبال الضفة الغربية.

ثمة العديد من الجوانب التي يمكن دراستها عند الحديث عن السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في جبال الضفة الغربية. أيضًا لا بد من الإشارة إلى أن المشهد الزراعي الإيكولوجي في جبال الضفة الغربية لا يقتصر على نموذجٍ واحدٍ من التكوينات المكانية، وإنما هناك فروقاتٌ كبيرةٌ بين المناطق الجغرافية المختلفة في جبال الضفة الغربية، يضاف لها الاختلافات على المستوى المحلي لكل منطقةٍ جغرافيةٍ في هذه الجبال. لا تدعي هذه الدراسة أنها ستحيط بكافة جوانب دراسة المشهد الزراعي الإيكولوجي في كافة مكانيات جبال الضفة الغربية، فهذا مشروع بحثي أكبر بكثيرٍ من مجال هذه الدراسة. بدلًا من ذلك، تختار الدراسة مكانيةً واحدةً في منطقة رام الله، وهي جبال بلدة سلواد وقرية عين يبرود. أما من ناحية الجوانب التي تغطيها هذه الدراسة،

---

walls-the-deliberate-destruction-of-palestines-terraced-gardens; Ahmad Abu Hammad and Trond Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine," *Environmental Management* 37, no. 3 (March 1, 2006): 380–94, https://doi.org/10.1007/s00267-004-0195-6.

فتنحصر بشكلٍ أساسيٍ في ثلاثة جوانب: التأطير العام لطبيعة البنى التحتية الزراعية المحلية في فلسطين؛ ودراسة التحولات على العمليات المرتبطة بالسناسل الحجرية والمدرجات الزراعية في منطقة الدراسة؛ ودراسة التبدلات على المشهد الزراعي الإيكولوجي في منطقة الدراسة، خاصةً مشاهد الأشجار المثمرة والبنى التحتية الزراعية.

تهدف هذه الدراسة، إذًا، إلى توظيف المعارف المحلية – إلى جانب الدراسات المنشورة في الوسط الأكاديمي– في سبيل دراسة البنى التحتية الزراعية والتبدلات عليها، خاصة السناسل، وقراءتها ضمن السياق الأوسع لمشهد البساتين الزراعي الإيكولوجي في منطقة سلواد وعين يبرود في القرن الأخير بطريقةٍ تحليليةٍ نقديةٍ متقاطعة التخصصات. لا شك في أن هذه الدراسة ليست الأولى في معالجتها للبنى التحتية الزراعية والسناسل والمشهد الزراعي الإيكولوجي في فلسطين، لكن ما تحاول الدراسة إضافته هو النظر إلى البنى التحتية الزراعية معًا ككيانات دعمت الوجود الزراعي على هذه الأرض، وفهم علاقتها المتبادلة مع المشهد الزراعي الإيكولوجي، خاصة مشاهد البساتين الزراعية الإيكولوجية، وقراءتها على أنها تكوينات حيوية مترابطة معًا، وتربطها علاقات متشابكة مع المشهد الزراعي ومع الفلاح الفلسطيني. من ناحية أخرى، تقدم الدراسة إضافة في تصنيف البنى التحتية الزراعية وتحليلها. وإلى جانب ذلك، تساهم الدراسة بشكل كبير في توثيق وتحليل السناسل والعمليات المختلفة المرتبطة بها، وتراها على أنها تكوينات حية مع الزمن، بدأت قبل فترة الدراسة، ولن تنتهي بانتهائها. من ناحية ثالثة، تقدم الدراسة قراءة جديدة للأسباب التي دفعت توسع السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة. وإضافةً إلى ذلك، يبدو أن الدراسة تضيف إلى الدراسات السابقة حين تستند إلى المعرفة المحلية والتاريخ الشفوي الفلسطيني كمصدرٍ أساسيٍ لتوثيق السناسل وتحليلها.

اختيار منطقة الدراسة

وقع الاختيار على منطقة سلواد وعين يبرود لإجراء هذه الدراسة، وذلك لعدة أسباب، حيث كان هناك اهتمامٌ من الباحثة بدراسة المشهد الزراعي الإيكولوجي ومشهد السناسل في ريف جبال فلسطين، خاصةً في المناطق التي تقع على تماسٍ مباشرٍ مع عناصر مشهديةٍ استعماريةٍ بارزةٍ (كالطرق الالتفافية والمستعمرات). أما سبب اختيار هذه المنطقة دونًا عن سواها من ريف جبال فلسطين،

فيأتي نتيجةً لعدة أسباب أهمها فرادة وتنوع المشاهد الحجرية (السناسل والقصور الزراعية) في هذه المنطقة، ووجود تحولاتٍ كبيرةٍ على مشهد السناسل في فترة الدراسة. وإضافةً إلى ذلك، كان هناك اهتمام من الباحثة بفهم "تراكبية" مساحةٍ جبليةٍ صغيرةٍ (حوالي 1100 دونم) شمال عين يبرود، إلى الغرب من الالتفافي "رقم 60"، تبين فيما بعد أنها تسمى بمنطقة كفر عانا، وهي منطقة كانت تتبع لقرية كفر عانا التي سكنها الفلسطينيون حتى الربع الأخير من الحكم العثماني لفلسطين على الأكثر، ثم قسمت أراضيها بين سلواد وعين يبرود بعد أن أخليت القرية. [7] [8] ما لفت انتباه الباحثة في هذه المساحة، هو ما يبدو للوهلة الأولى على أنه ازدواجيةٌ أو تراكبٌ متناقضٌ في المشهد، حيث ترى المسافرة – عبر الالتفافي – في هذه المنطقة حبلاتٍ زراعيةً وسناسل متروكةً دون زراعةٍ، وقصورًا مهدمةً كأنها تقبع في الماضي، يقابلها حبلاتٌ زراعيةٌ جديدةٌ مزروعةٌ بأشجار الزيتون، وسناسل دخيلةٌ على المشهد ذات طبيعةٍ ممكننةٍ، تبرز بخطوطٍ هندسيةٍ واضحة المعالم في هذه المنطقة الجبلية الوعرة، وقصورٌ زراعيةٌ مرممةٌ ومنشآتٌ حديثةٌ من مواد غريبةٍ عن المكان. [9]

[7] تعددت الروايات حول إخلاء القرية، لكنها اشتركت في أن خلافًا ما بين قرية كفر عانا وقريتي سلواد وعين يبرود قد أدى إلى خروج أهالي كفر عانا إلى قرىً أخرى. وتشير خرائط مسح فلسطين الغربية عام 1880 إلى كفر عانا على أنها خربة، ما يعني أنها أخليت قبل هذا الوقت. مهوي وقواسمي، سرحة في مرتفعات رام الله، 125؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 6 كانون ثاني 2022)؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (سلواد: 18 كانون الثاني 2022).

[8] Conder and Kitchener, “Palestine Exploration Fund Map (Sheet 14).”

[9] زيارات ميدانية إلى منطقة الدراسة بتواريخ مختلفة.

صورة رقم (1): صورةٌ لمنطقة كفر عانا، تظهر مساحات مغطاة بالنباتات البرية في مقدمة الصورة، وتظهر بقايا قصرٍ زراعيٍ إلى يمين وسط الصورة، وقصرٌ زراعيٌ مرممٌ فوق أرضٍ مسنسلةٍ حديثًا بسناسل مستقيمةٍ. تصوير الباحثة، 13 كانون الأول 2021.

حول منطقة الدراسة

جغرافيًا، تقع سلواد وعين يبرود إلى الشمال الشرقي من مدينة رام الله، على مسافاتٍ تقدر بعشرة كيلومتراتٍ وسبعة كيلومتراتٍ على التوالي. [10] في السابق، كانت سلواد تقع إلى الشرق من الطريق الواصل بين القدس ودمشق، وهي طريق سارت مع طوبوغرافيا المكان، أما عين يبرود، فكانت إلى غرب هذه الطريق، حيث سميت الطريق في السابق بالشارع السلطاني، وهو شارعٌ رومانيٌ بحسب خرائط مسح فلسطين. [11] [12] من ناحية تاريخية، تعود نشأة سلواد إلى العهد الروماني، أما عين يبرود فلم تعثر الدراسة على أي حديث عن تاريخها. [13] أيضًا، تشير الخرائط إلى وجود تسع خربٍ أثريةٍ منتشرةٍ في منطقة الدراسة، ربما لكثرة عيون الماء في هذه المنطقة. [14] في الواقع، فإن تسميات القريتين أيضًا ترتبطان بكثرة الماء، حيث يرجح أن تسمية سلواد قد تعود إلى تجميع كلمتي "سيل" و "واد" وتعديل "سيلواد" لتصبح "سلواد"، أما عين يبرود، فربما ترجع تسميتها لكثرة عيون الماء فيها. [15]

[10] مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الثامن، القسم الثاني (كفر قرع: دار الهدى، 1991)، 337؛ معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل بلدة سلواد (يشمل مخيم سلواد)" (معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، 2012)، 4، تم الوصول من http://vprofile.arij.org/ramallah/ar/index.php.

[11] فرحات مهوي وسحر قواسمي، سرحة في مرتفعات رام الله، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري، سلسلة رواق حول تاريخ العمارة (رام الله: رواق - مركز المعمار الشعبي، 2012)، 118؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

[12] C.R. Conder and H.H. Kitchener, *Palestine Exploration Fund Map*, 1:63,000, Palestine Exploration Fund Maps (Survey of Western Palestine, 1880), https://palopenmaps.org/.

[13] معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل بلدة سلواد (يشمل مخيم سلواد)"

[14] Conder and Kitchener, "Palestine Exploration Fund Map."

[15] معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل بلدة سلواد (يشمل مخيم سلواد)،" معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل قرية عين يبرود" (معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، 2012)، تم الوصول من http://vprofile.arij.org/ramallah/ar/index.php.

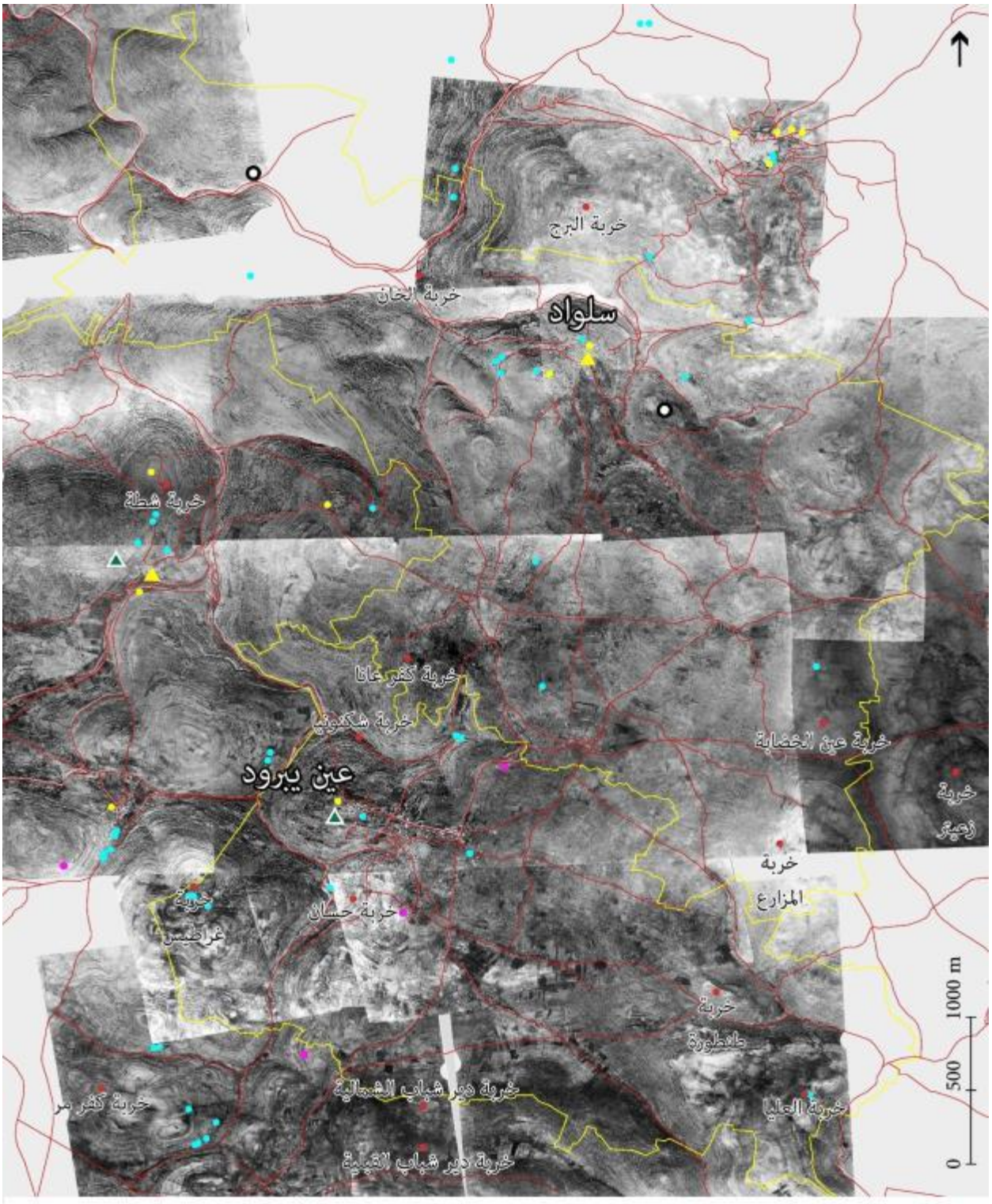

بيدر • محجر △ مطحنة ▲ معصرة زيت

خربة • كبّارة ○ مصدر ماء: عين أو بئر جمع أو بئر نبع

خارطة رقم (1): بعض معالم منطقة الدراسة والمنطقة المحيطة بها، تظهر منطقة الدراسة محاطة باللون الأصفر. الصور الجوية لسلاح الجو البريطاني عام 1944 – 1945، المصدر: الجامعة العبرية. الرسم للباحثة، مصدر المعلومات: ترسيم الشوارع من الصور الجوية لعام 1944 – 1945 بالاستعانة بخرائط مسح فلسطين البريطانية 1942، ترسيم النقاط من خرائط مسح فلسطين البريطانية لعام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة. وخرائط مسح فلسطين عام 1942. حدود منطقة الدراسة من جيوموج.

من حيث تشكيل الأرض، تختبر المتجولة في منطقة الدراسة طوبوغرافيا جبليةٍ تتفاوت درجات انحدارها بين مناطق شديدة الانحدار، خاصةً مع الاقتراب من جبل العاصور الذي يقع في الجزء الشرقي من أراضي سلواد؛ ومناطق أخرى أقل انحدارًا تشكل ما يشبه سهولًا صغيرةً في هذه المنطقة الجبلية، خاصةً في المنطقة المسلوبة لصالح مستعمرة عوفرة والمناطق المحيطة بها، ويتراوح معدل ارتفاع منطقة الدراسة حوالي 840 مترًا فوق سطح البحر، بحيث يصل إلى أعلى ارتفاعٍ عند قمة جبل العاصور (1115 م فوق مستوى سطح البحر)، وإلى أخفض ارتفاعٍ (560 م فوق مستوى سطح البحر) في وادي الحرامية شمال سلواد. [16] [17] أما من حيث المناخ، ففي حين تشير أنظمة المعلومات الجغرافية التابعة لوزارة الحكم المحلي أن معدل درجات الحرارة يقدر بسبعة عشر درجةٍ مئويةٍ في منطقة الدراسة، فإن الزائرة لسلواد وعين يبرود تلاحظ تغيرًا تدريجيًا في مناخ المنطقة وغطائها النباتي مع الاتجاه شرقًا تجاه منطقة الأغوار، كما أن نسبة الأمطار تقل كلما اتجهنا للشرق، حيث أن منطقة الدراسة تقع بين خط 400 ملم وخط 600 ملم هطول. [18] [19]

[16] Palestinian Ministry of Local Government, "Geomolg," accessed May 13, 2022, https://geomolg.ps/L5/index.html?viewer=A3.V1.

[17] زيارات ميدانية لمنطقة الدراسة بتواريخ مختلفة.

[18] Palestinian Ministry of Local Government, "Geomolg."

[19] نادر هريمات وآخرون، التاريخ الزراعي النباتي في فلسطين (بيت لحم: معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج), 2002) ، 25؛ زيارات ميدانية لمنطقة الدراسة بتواريخ مختلفة.

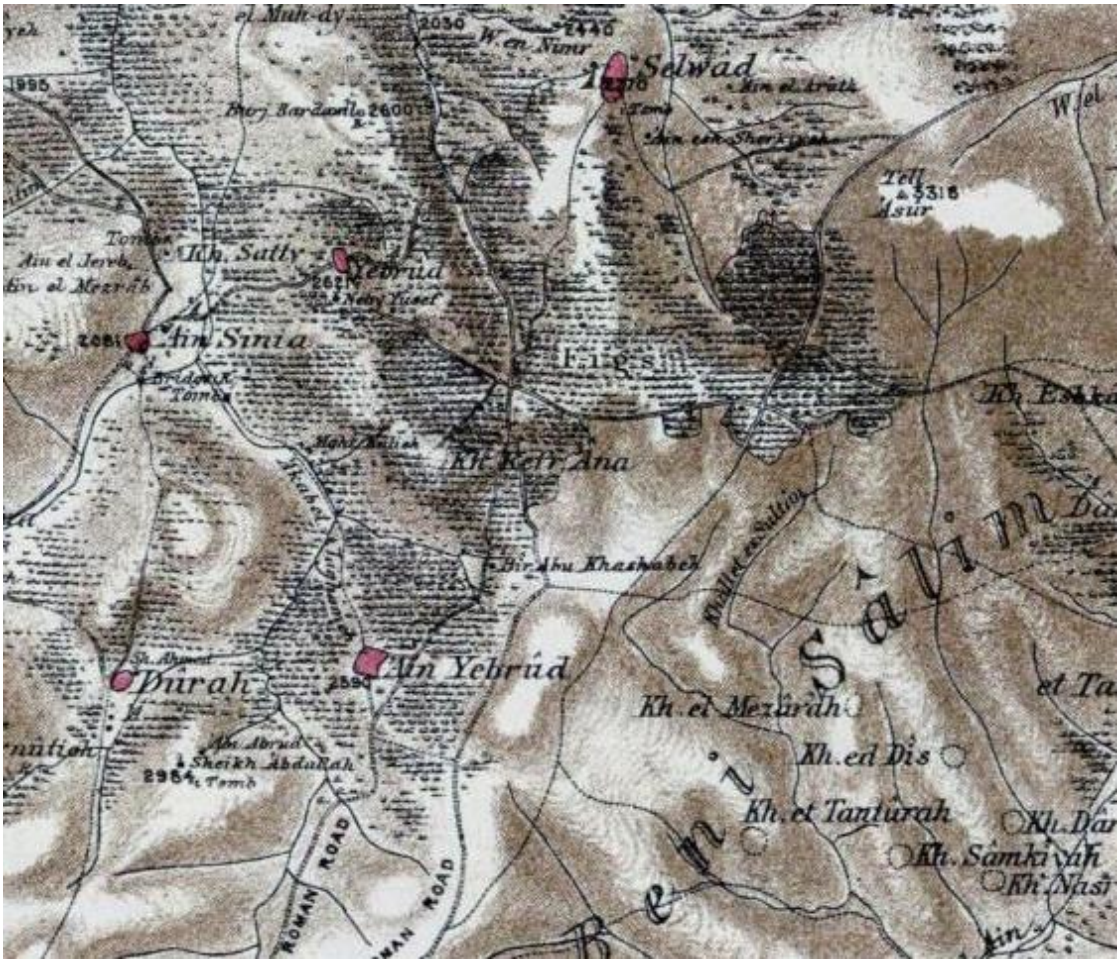

خارطة رقم (2): موقع سلواد وعين يبرود من الشارع السلطاني. خارطة مسح فلسطين 1880.

حتى وقتٍ قريبٍ، كانت المنطقتان المبنيتان في سلواد وعين يبرود محاطتين ببساتين أشجار الفاكهة، خاصةً الزيتون والتين والعنب، هذه البساتين شكلت الجزء الأكبر من استخدام الأراضي في المنطقة حتى زمن الاستعمار البريطاني، تلا ذلك محاصيل الحبوب، التي تركزت في المناطق الأقل انحدارًا والأكثر جفافًا، خاصةً في المنطقة المحصورة بين جنوب الطريق المؤدي إلى قرية الطيبة وشرق طريق القدس – نابلس. [20] اليوم، تغيرت استخدامات الأراضي في القريتين، وأصبح الجزء الأكبر من أراضي القريتين متروكًا دون زراعة. [21]

[20] Survey of Palestine, *Survey of Palestine Maps, Silwad (Sheet 17 - 15)*, 1:20,000, Palestine (Survey of Palestine, 1942), https://palopenmaps.org/; Survey of Palestine; Government Office of Statistics and the Department of Lands, "Village Statistics of 1945" (Government of Palestine, 1945), https://users.cecs.anu.edu.au/~bdm/yabber/census/VillageStatistics1945orig.pdf.

[21] معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل بلدة سلواد (يشمل مخيم سلواد)"؛ معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل قرية عين يبرود،" 10؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (سلواد: 10 آذار 2022)؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

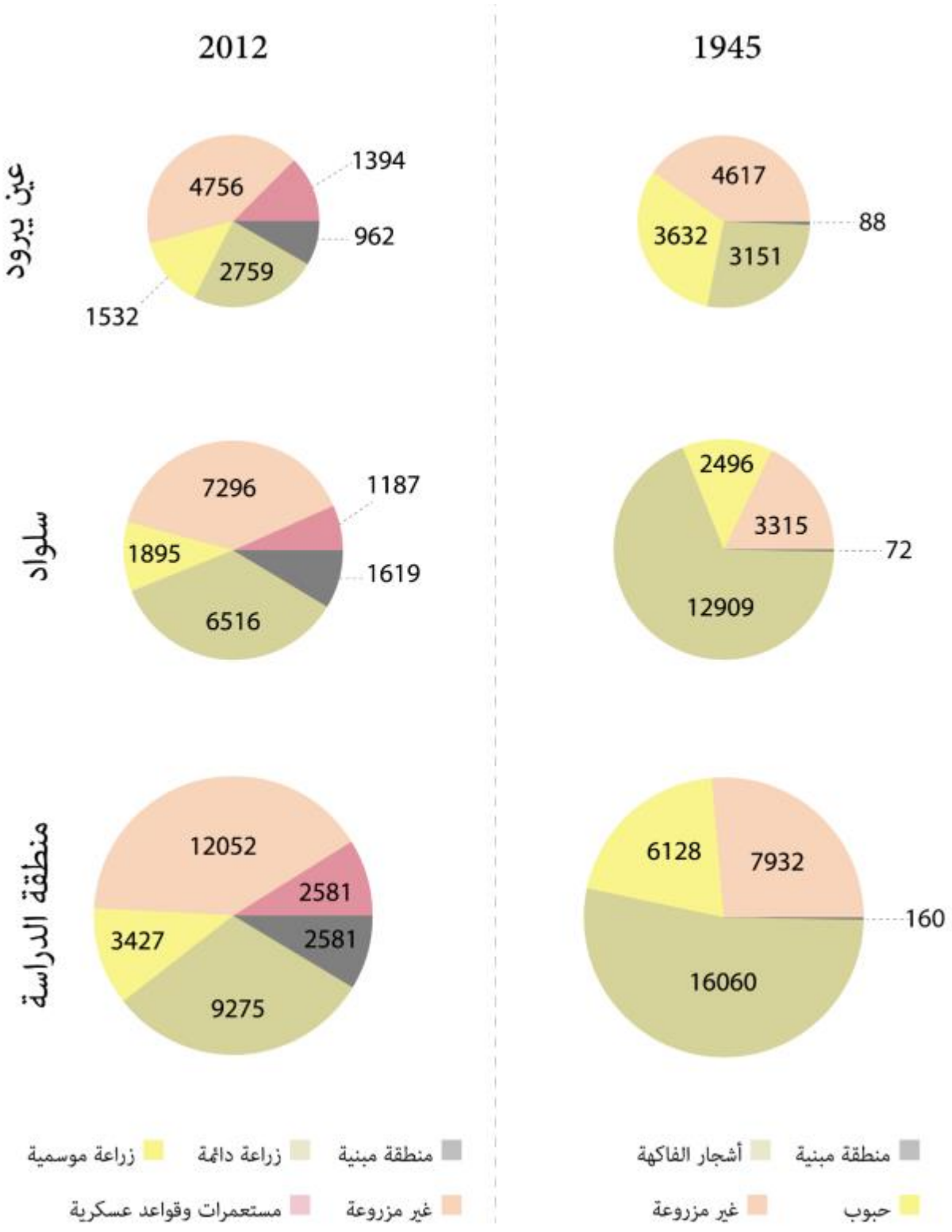

رسم توضيحي رقم (1): استخدامات الأرض في سلواد وعين يبرود عام 1945 وعام 2012. الأرقام تشير إلى المساحة (دونم). مصدر المعلومات: (Village Statistics of 1945)، و معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج).

ديموغرافيًا، كان عدد سكان قريتي سلواد وعين يبرود صغيرًا زمن الاستعمار البريطاني،حيث قدر عدد سكان سلواد بألف وتسعمئة وعشرة أشخاص عام 1945، أما عين يبرود، فبلغ سكانها نحو تسعمئة وثلاثين شخصًا.[22] اليوم، يقدر عدد سكان سلواد (يشمل مخيم سلواد) بسبعة آلاف وخمسمئة نسمة، أما عين يبرود فيقدر سكانها بحوالي ألفين وسبعمئة وسبعين نسمة.[23] حتى نهاية الاستعمار البريطاني وما بعد ذلك ، كانت الغالبية العظمى من سكان القريتين تعمل في الزراعة، سواء زراعة أراضيهم المملوكة أو أراضي أشخاص آخرين في القريتين.[24] ورغم بقاء الزراعة كمصدر أساسي للرزق حتى الربع الثالث من القرن العشرين، فإن القريتين شهدتا هجرة أبناءهما إلى دول أخرى بحثًا عن مصدر رزق آخر منذ بدايات القرن العشرين. بالنسبة لعين يبرود، فقد هاجر الكثير من سكانها إلى عدة دول أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو أن أول هجرة من القرية كانت في بداية القرن العشرين.[25] أما سلواد، فإلى جانب تبدل أحوالها الديموغرافية مع النكبة ونشأة مخيم سلواد غير الرسمي، فإن أوضاع سكانها تبدلت أيضًا نتيجة للهجرة، حيث شهدت هجرة بعض سكانها إلى الأردن بعد نكبة عام 1948، ثم شهدت هجرة إلى الكويت بدءً من خمسينيات القرن الماضي، كما وأنها شهدت هجرة إلى دول أخرى، تحديدًا الولايات المتحدة الأمريكية.[26] في الواقع، فإن الهجرة مسألة مستمرة في القريتين، حيث تشير إحدى الإحصائيات إلى أن حوالي خمسمئة شخص قد هاجروا من عين يبرود في العقد الأول من القرن العشرين، يقابلهم حوالي ألف شخص هاجروا من سلواد في نفس الفترة، وهذه أرقام كبيرة إذا ما قورنت بعدد سكان القريتين.[27] في الحقيقة، فإن هذه الهجرة قد غيرت في علاقة أهالي القريتين بأرضهم. من ناحية أولى، فإن هناك توجهًا من المهاجرين نحو بيع أرضهم في قراهم كونهم قد استقروا بشكل ثابت في الخارج. ومن ناحية أخرى، فإن هناك توجهًا معاكسًا يتمثل في شراء هؤلاء المهاجرين (خاصة أصحاب رؤوس الأموال

---

[22] الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الثامن، القسم الثاني، 307؛ 338.

[23] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، "عدد السكان المقدر في منتصف العام لمحافظة رام الله والبيرة حسب التجمع 2017-2026،" الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2022. تم الوصول بتاريخ 25 تشرين الثاني 2022، من الرابط: https://www.pcbs.gov.ps/statisticsIndicatorsTables.aspx?lang=ar&table_id=701.

[24] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 1.

[25] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة رقم 1.

[26] محمد صقر عبد الغني محمد على ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ عوني فارس، "الهجرة إلى الصحراء: قصة هجرة أهل سلواد إلى الكويت،" *التراث والمجتمع*، عدد 48 (شتاء 2008).

[27] معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل بلدة سلواد (يشمل مخيم سلواد)،" معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، "دليل قرية عين يبرود" (معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)، 2012)، تم الوصول من http://vprofile.arij.org/ramallah/ar/index.php.

الكبيرة) لأراض جديدة وزراعتها وتغيير مشهدها بشكل كبير، يشمل ذلك على المهاجرين الذين عادوا إلى قراهم بعد هجرتهم أم بقوا في الخارج واستمروا بزيارة القرية من حين إلى آخر. [28]

من المؤكد أن سلواد وعين يبرود قد كانتا قريتين متقاربتين بشكلٍ كبيرٍ حتى منتصف/نهاية القرن العشرين، فبالإضافة إلى الاتصال الجغرافي والتداخل بين أراضي القريتين، فإنهما أيضًا تشابهتا في الاعتماد بشكلٍ أساسيٍ على اقتصاد زراعة المحاصيل الشجرية، وما يرتبط بهذا الاقتصاد من موسم ومشاهد التعزيب. [29]بالطبع، فإن اقتصاد التعزيب كان سمةً مميزةً لمنطقةٍ جغرافيةٍ أكبر ضمن سلسلة جبال فلسطين الوسطى، حيث يبدأ انتشار مشاهد التعزيب من شمال منطقة رام الله وينتهي في منطقة الخليل جنوبًا. [30]اليوم، قامت عدة عوامل بتغيير المشهد وتكوينه بطريقةٍ معقدةٍ ستحاول هذه الدراسة تحليلها في مكان آخر. وهنا لا بد من التأكيد على أن تحول مشهد سلواد وعين يبرود ليس تحولًا ثنائيًا وحادًا من مشهدٍ (أ) إلى مشهدٍ (ب)، وهذا ما سيتضح لاحقًا، لكن ما يمكن الحديث عنه الآن هو التغيرات الأكثر وضوحًا – على ما يبدو، والتي يمكن للمسافرة من رام الله إلى نابلس أن تلاحظها بشكلٍ واضحٍ. لقد غير المشهد الاستعماري الصهيوني جذريًا في مشهد القريتين الذي كان متواصلًا بشكل سلس، فإلى جانب سلب أجزاء كبيرةٍ من أراضي القريتين لإقامة مشاهد استعماريةٍ أو لمجرد حجز الأرض، فصل الشارع الالتفافي المسمى بشارع "رقم 60" ما بين سلواد وعين يبرود، ولعبت مستعمرة عوفرة أيضًا على تعزيز هذا الفصل، فحُجزت المنطقة المبنية من سلواد إلى الشرق من الشارع الالتفافي، وحُطط لمباني عين يبرود أن تبقى على الجهة الغربية منه. [31] وبالإضافة إلى الفصل الحاد بين القريتين، فإن أراضي كل منهما بقيت مبعثرةً على الجانب المقابل من الالتفافي، فأصبح الوصول إليها صعبًا دون قطع مسافاتٍ طويلةٍ فوق شوارع مخططةٍ ومحددة المسار، وعبر بواباتٍ وأنفاق قد تسمح أو لا تسمح بالعبور حسب الوضع الجيوسياسي للمنطقة. [32]

---

[28]لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 2؛)؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1؛ **فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 12 كانون الثاني 2022)؛ فواز حامد، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة دانة مسعد وإشراق عواشرة (سلواد: 11 تشرين ثاني 2021)؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 4 تشرين ثاني 2021).**

[29] **لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 2.**

[30] **العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*، 29–30.**

[31] Palestinian Ministry of Local Government, "Geomolg."

[32] **زيارات ميدانية لسلواد وعين يبرود بتواريخ مختلفة؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (سلواد: 21 تشرين ثاني 2021)؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة عبر الهاتف إشراق عواشرة (4 شباط 2022)؛ فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 15 تشرين ثاني 2021)؛ فواز حامد، مقابلة مسجلة.**

صورة رقم (2): صورةٌ من منطقة الدراسة، تظهر عين يبرود في مقدمة الصورة، وخلفها تظهر مستعمرة عوفرة إلى يمين الصورة، وأبراج المراقبة في العاصور في وسط الصورة، وأطراف سلواد في الجزء الأيسر من الصورة. تصوير الباحثة، 12 كانون الثاني 2022.

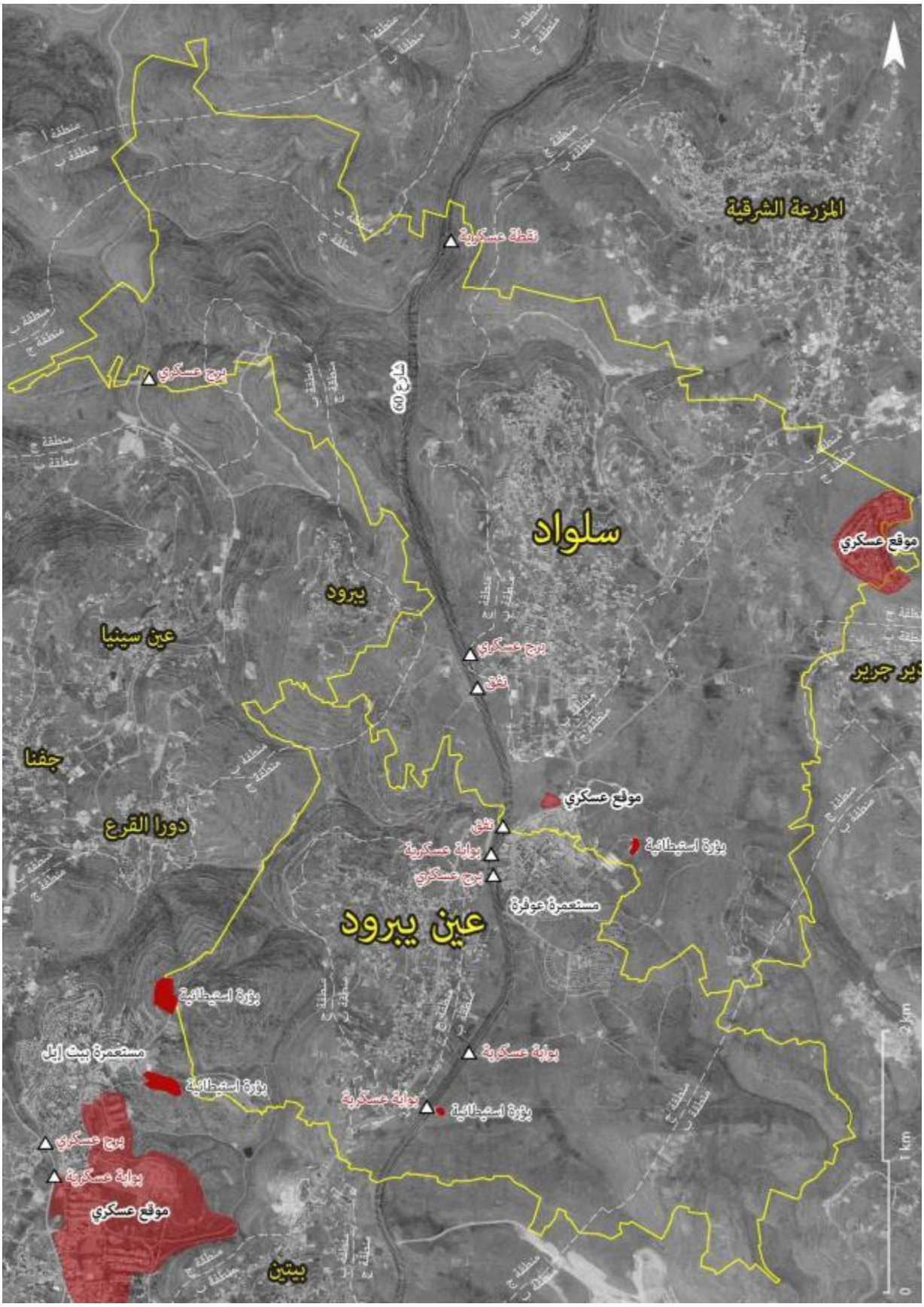
المزرعة الشرقية
نقطة عسكرية
برج عسكري
شارع (4)
سلواد
موقع عسكري
يبرود
عين سينيا
برج عسكري
نفق
جفنا
موقع عسكري
دورا القرع
نفق
بؤرة استيطانية
بوابة عسكرية
برج عسكري
مستعمرة عوفرة
عين يبرود
بؤرة استيطانية
بوابة عسكرية
مستعمرة بيت إيل
بؤرة استيطانية
بوابة عسكرية
بؤرة استيطانية
برج عسكري
بوابة عسكرية
موقع عسكري
بيتين
3 km
1 km
0

خارطة رقم (3): منطقة الدراسة والعناصر البشرية في المشهد. الصورة الجوية والمعلومات من جيومولج، الخارطة من إنتاج الباحثة. الترسيم بناء على المعلومات والصور الجوية المتوافرة على جيومولج.

أسئلة الدراسة

تطرح هذه الدراسة مجموعةً من الأسئلة حول البنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي وتحولاته في بلدة سلواد وقرية عين يبرود في القرن الأخير من الزمن. تتمثل الأسئلة الرئيسية للدراسة في (1) لماذا تنتشر السناسل والقصور الزراعية وغيرها من التكوينات على نحو واسع في منطقة الدراسة؟ (2) كيف كانت السناسل والبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود زمن الاستعمار البريطاني؟ (3) كيف تحولت السناسل والبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود في القرن الأخير؟ (4) لماذا تحولت وتتحول السناسل والبنى التحتية الزراعية ومشاهدها في سلواد وعين يبرود عبر الزمن؟ (5) كيف وصل مشهد البنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود إلى "المرحلة المكانية الحالية"؟ وحتى تتمكن الدراسة من الإجابة على هذه الأسئلة الرئيسية، لا بد من طرح مجموعةٍ من الأسئلة الفرعية: (أ) لماذا ترتبط السناسل والقصور وغيرها من التكوينات بشكلٍ وثيقٍ بالزراعة في منطقة جبال وسط فلسطين؟ (ب) لماذا تحول ويتحول مشهد البساتين الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود؟ (ج) كيف تحول مشهد البساتين الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود؟

فرضيات الدراسة

ترى الدراسة أن انتشار السناسل والقصور الزراعية وغيرها من البنيات هو شرط ضروري للوجود الزراعي الفلسطيني في هذه المنطقة الجغرافية في الأزمنة المختلفة، ولذا تطلق الدراسة تسمية "البنية التحتية الزراعية" على هذه التكوينات. من ناحية أخرى، تفترض الدراسة أن السناسل والبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود في تحولٍ دائمٍ عبر الزمن، وأن التغيرات المستمرة على هذه المشاهد هي نتاج تفاعلٍ مستمرٍ بين عدة عوامل قيد التغير أيضًا، أهمها عوامل اقتصاديةٌ واجتماعيةٌ وسياسيةٌ.

تفترض الدراسة أيضًا أن المحرك الأساسي لتحولات السناسل في منطقة الدراسة هو التحول على المشهد الزراعي الإيكولوجي، خاصةً التحولات على مشاهد الأشجار المثمرة. رغم ذلك، تعتقد الدراسة أن العلاقة بين الزراعة ومشاهد السناسل ليست علاقةً أحادية الطابع، حيث أن الكثير من العوامل الأخرى تؤثر بدرجاتٍ متفاوتةٍ على السناسل. من ناحيةٍ أخرى، تدعي الدراسة أن تحول االسناسل والبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي هو ليس تحولًا موحدًا في كافة منطقة الدراسة، إنما هناك العديد من المسارات التي اتخذتها كل سنسلةٍ أو بنية تحتية منفردة أو مجموعة بنىً تحتية أو موقع محلي في منطقة الدراسة. كذلك فإن هذه التحولات ليست خطية الطابع، وإنما هناك العديد من حالات الصعود والتراجع والتبدل المستمر على أوضاع كل جزئية من جزئيات المشهد الزراعي الإيكولوجي والسناسل.

منهجية الدراسة: بحث معماري

هذه دراسةٌ متقاطعة التخصصات، تستند إلى منهجية البحث المعماري متعدد الأدوات والمخرجات. توظف الدراسة جملةً من أدوات التوثيق والتحليل للإجابة عن أسئلة الدراسة الرئيسية المهتمة بالسناسل والبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في سلواد وعين يبرود: كيف كانت زمن الاستعمار البريطاني؟ كيف تحولت؟ لماذا تحولت؟ وكيف وصل هذا المشهد إلى مرحلته الحالية؟ وإضافةً إلى الأسئلة الرئيسية، تساعد منهجية البحث متعدد الأدوات في التحقيق في الأسئلة الفرعية: لماذا ترتبط السناسل وغيرها من التكوينات بالزراعة؟ لماذا يستمر مشهد البساتين بالتحول في منطقة الدراسة؟ وكيف يتحول؟ أما عن الأدوات التي تستخدمها الدراسة، فأهمها التاريخ الشفوي، والعمل الميداني، والبحث الأرشيفي، وتقنية أنظمة المعلومات الجغرافية، والرسومات المعمارية.

تحمل الرواية الشفوية أنواعًا من المعرفة التي يصعب الوصول إليها من مصدر آخر، لذا تستند هذه الدراسة إلى توثيق وتوظيف الرواية الشفوية كجزءٍ أساسيٍ من الدراسة. [33] تؤسس الرواية الشفوية الموثقة في منطقة الدراسة قاعدةً أساسيةً تبني عليها الدراسة، حيث تم توظيف المقابلات المفتوحة لبناء تصورٍ عن "ما الذي شهده هذا المكان، ولماذا وكيف" في فترة حياة الأشخاص الذين تمت مقابلتهم.

[33] عادل الحاج يحيى، *بين انتفاضتين - التاريخ الشفوي الفلسطيني - دليل الباحثين والمعلمين والطلبة* (البيرة: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي, 2002).

أما الفئة التي ركزت عليها الدراسة، فهي فئة كبار السن الذين تواجدوا لفتراتٍ طويلةٍ من حياتهم في الأرض، ولعبوا دورًا في تكوين المشهد، وشهدوا العوامل الأخرى التي شكلت المكان، وتبدلات حيواتهم بشكل مرافق لتبدلات المكان. من حيث الكمية، فقد تمكنت الدراسة من إجراء تسعة عشر مقابلةٍ في منطقة الدراسة، ولكن درجات أهمية هذه المقابلات تفاوتت، ولما كانت الرواية الشفوية عند الأجداد الأكبر سنًا أقوى وأكثر فائدةً، حاولت الدراسة التركيز على جيل الثمانينات فما فوق، واستطاعت إجراء سبعة مقابلاتٍ مهمةٍ مع خمسة أشخاصٍ فوق عمر الخامسة والثمانين. إضافةً إلى ذلك، أجرت الدراسة خمس مقابلاتٍ مفيدةٍ مع خمسة أشخاصٍ فوق السبعين، أما المقابلات المتبقية فكانت مع فئاتٍ عمريةٍ أصغر. ومن بين المقابلات التسعة عشر، اختارت الدراسة عشرة مقابلاتٍ لتفريغها بشكلٍ شبه كاملٍ ليتم نشرها في المستقبل لفائدة الباحثين الآخرين، وبلغ عدد الكلمات المفرغة حوالي ستين ألف كلمة.

اختبرت هذه الدراسة الفرق بين النظر إلى موضوع من أعلى مقابل تحليله من الداخل. في الحقيقة، استندت المحاولات الأولى للدراسة إلى مجرد مطالعة الأدبيات والتأمل في الصور الجوية والخرائط، ما جعل الدراسة عموميةً معزولةً عن الواقع حينها. أما النقلة النوعية فكانت مع اصطدام الدراسة بالواقع بشكلٍ مباشرٍ، من خلال الاستماع إلى رواية الأجداد، وأيضًا مع الزيارات الميدانية والتواجد لساعاتٍ في منطقة الدراسة. إلى جانب التواجد في منطقة الدراسة أيام المقابلات الشفوية، تمكنت الدراسة من إجراء تسع زياراتٍ ميدانيةٍ طويلةٍ؛ خمسٌ لعين يبرود (في الفترة بين أيلول وكانون الأول 2021)؛ وأربعٌ لسلواد (في الفترة بين تشرين الأول 2021 وكانون الثاني 2022). اشتملت الزيارات الميدانية على توثيق الوضع الحالي للمشهد بالملاحظات والصور الفوتوغرافية، وحاولت توثيق بعض استخدامات الأراضي وأنواع وتوزيع وحالة السناسل وغيرها من العناصر في مشاهد البساتين الزراعية الإيكولوجية. في الحقيقة، وجدت الدراسة هذا التواجد في المكان ضروريًا لفهم الرواية الشفوية، والبناء عليها وعلى المشاهدات الحية لواقع اليوم في سبيل تكوين صورةٍ عن التحولات على المشهد في منطقة الدراسة. ولتتمكن الدراسة من التأمل في بعض القضايا الورادة في الرواية الشفوية والغائبة عن المشهد الآن، حاولت الدراسة البحث في أرشيف مجموعة ماتسون للصور الفوتوغرافية، ما ساعد أحيانًا على تخيل بعض جوانب المشهد الزراعي الإيكولوجي ومشهد السناسل في الفترات السابقة. وإلى جانب مجموعة ماتسون، تمكنت الدراسة من الحصول على بعض المواد الأرشيفية الأخرى ذات الفائدة، من بينها ملفاتٌ ومنشوراتٌ حكوميةٌ حول الزراعة، جميعها خلال فترة الاستعمار

البريطاني.

توظف الدراسة أنظمة المعلومات الجغرافية كأداةٍ أخرى تساعد في فهم تحولات المشهد الزراعي الإيكولوجي ومشهد السناسل في منطقة الدراسة، وقد اختارت الدراسة فترتين فقط لترسيمهما، وهما منتصف الأربعينات، استنادًا إلى صور سلاح الجو البريطاني لعامي 1944-1945 وإلى خرائط مسح فلسطين البريطانية لعام 1942؛ والوضع الحالي، بناءً على الصور الجوية الأحدث لمنطقة الدراسة عام 2021، واستخدمت برنامج (QGIS) مفتوح المصدر للترسيم. تبني الدراسة على الصور الجوية والخرائط والرواية الشفوية والعمل الميداني لتقدم محاولة في ترسيم تحولات استخدام الأراضي وتوزيع انتشار السناسل في منطقة الدراسة، ما يساعد في فهم التحولات وإثبات ادعاءات الدراسة كما سنرى لاحقًا. اشتملت عملية الترسيم من الصور الجوية على تحديد توزيع انتشار المساحات المسنسلة وتوزيع انتشار القصور الزراعية، وترسيم المساحات المزروعة وأنواع المحاصيل الموجودة في الفترتين المختارتين. ولأن صور سلاح الجو البريطاني قليلة الدقة، ولأن أغلب الصور الجوية لمنطقة الدراسة مأخوذة في فترة الشتاء أو أول الربيع (فترة تكون بها أوراق معظم أنواع الأشجار متساقطة ما يعني عدم ظهورها أو عدم وضوح نوعها في الصورة الجوية)، كان لا بد من اللجوء إلى مصدر آخر للمعلومات لتبيان توزيع ونوع الأشجار، هذا المصدر هو خرائط مسح فلسطين لعام 1942، حيث تبين هذه الخرائط استخدامات الأراضي وأنواع المحاصيل. وإضافة إلى ذلك، تساعد هذه الخرائط إلى جانب صور سلاح الجو البريطاني على ترسيم الطرق المستخدمة زمن الاستعمار البريطاني، وترسيم مواقع بعض المعالم الهامة في منطقة الدراسة كعيون الماء والخرب، وبعض البنى التحتية الزراعية، كالبيادر ومعاصر الزيتون، وتبرز أهمية هذه البيانات جميعًا في دراسة التحولات على توزيع ونمط انتشار السناسل وعلاقتها بالبنى التحتية الزراعية الأخرى والأشجار كما يبين الفصل الرابع.

لا شك في أن الخرائط المرسمة حسب التقنيات الحديثة مهمةٌ للدراسة، لكنها ليست كافية لفهم التحولات التي حصلت على المكان. وهنا يأتي دور الصور والرسومات الأخرى التي تنتجها الدراسة، حيث قامت الباحثة بأخذ الكثير من الصور الفوتوغرافية أثناء العمل الميداني، واختارت بعضها لمشاركتها في هذا النص. أما الرسومات، فتنتج الباحثة مجموعة من الرسومات التوضيحية، خاصة في الفصل الثالث لفهم السناسل بشكل تفصيلي.

تجربة باحثة فلسطينية في سياق استعماري

من الصعب كتابة هذا الجزء من الدراسة، ولكن الباحثة ترى أنه من الضروري التطرق إليه، ليس لجعل الدراسة تبدو أكثر أهميةً، وإنما لأن تجربة البحث هي شيء لا ينفصل عن البحث نفسه برأي الباحثة، فعملية البحث العلمي ليست أمرًا معزولًا عن السياق الذي تأتي منه الباحثة، ولا السياق الذي تأتي إليه في بحثها، ولا عن مخرجات البحث. هذه محاولة للإشارة إلى تجربة الدراسة، خاصةً أثناء مرحلة جمع المعلومات من موقع الدراسة ومن المقابلات الشفوية، وهنا يمكن تقسيم النقاش حول تجربة الدراسة إلى جزأين: إجراء البحث العلمي في فلسطين؛ وأن تجري البحث باحثة.

يبدو للباحثة أن هناك صعوبةً في أخذ الأبحاث العلمية في فلسطين على محمل الجد، أو أن هذا ما واجهته هذه الدراسة على الأقل. فقد واجهت الباحثة صعوبةً في جمع المعلومات اللازمة، ما أدى إلى تغييراتٍ كبيرةٍ في توجه البحث أحيانًا، حيث توجهت الباحثة إلى مجموعةٍ من الجهات الفلسطينية، الرسمية منها وغير الرسمية، للحصول على المواد أو لعمل مقابلة، وكان الجواب بالرفض أو عدم الاهتمام أو الادعاء بأن هذه المعلومات ليست متوافرة، أو التحفظ على مشاركتها، أو تأجيل مشاركتها لفترةٍ طويلةٍ ما أثر سلبًا على الدراسة.

إن تجربة إجراء بحثٍ فلسطينيٍ في سياقٍ استعماريٍ هي تجربةٌ مغايرةٌ لتجربة البحث العلمي في مكانٍ آخرٍ، أو لتجربة بحثٍ إسرائيليٍ في فلسطين. يتضح ذلك من إحدى التجارب التي مرت بها الباحثة (وزميلتها دعاء عويس) أثناء العمل الميداني في منطقة سلواد، حيث غفلت الباحثتان للحظة عن احتمال التعرض للخطر في منطقة الدراسة التي تكتظ بالمشاهد الاستعمارية. ففي إحدى الزيارات الميدانية، اقتربت الباحثتان حوالي أربعمئة مترٍ من السياج الشائك حول الطريق الترابي المحيط بمستعمرة عوفرة، حينها تفاجأت الباحثتان بسيارتين عسكريتين إسرائيليتين تقفان في نقطةٍ قريبةٍ وتفتحان صوت التحذير، ومجموعةٍ من الجنود الصهاينة يراقبون الباحثتين حتى ابتعدتا عن المنطقة، وتبين للباحثتين لاحقًا أن هذه المنطقة ممنوعٌ الدخول إليها منذ ما يزيد عن عشرة أعوام. [34]من ناحية أخرى، فإن المشهد الاستعماري أدى إلى صعوبة الوصول إلى عدة أجزاءٍ من منطقة الدراسة، كما أن أثر هذا المشهد في قطع تواصل منطقة الدراسة خلق حاجةً إلى توظيف وقتٍ أكبر في الزيارات الميدانية وفي إجراء المقابلات.

[34] فاطمة حامد. مقابلة غير مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (سلواد: 16 تشرين الأول 2021).

أما عن تجربة الباحثة كونها امرأة، فكانت هناك عدة صعوباتٍ، فالمجتمع الفلسطيني المحافظ، خاصة في الريف، يجعل من الصعب على باحثةٍ إجراء العمل الميداني بالتحديد، ما اضطر الباحثة إلى البحث عن مرافقة تنضم إليها في كل زيارةٍ ميدانيةٍ أو مقابلةٍ، وحتى ذلك لم يجعل الأمر أفضل بكثير، حيث تعرضت الباحثة وزميلاتها إلى النقد في أكثر من موقف، خاصة أثناء العمل الميداني في الجبال. وإلى جانب ذلك، فإن الباحثة تعرضت لمضايقاتٍ (ولو بسيطة) من إثنين من الرجال الذين قامت بمقابلتهم، وألغت مقابلةً هامةً كان من المحتمل إجراؤها حين علمت أن الشخص المفترض مقابلته سبق وأن ضايق غيرها من النساء. أيضًا فإن عدة نساءٍ في منطقة الدراسة أتين على بعض المواقف المزعجة، كالتدخل في الشؤون الشخصية للباحثة ومرافقاتها، والنظر إليهن في كثير من الأحيان على أنهن موضوع للزواج وليس باحثاتٍ مهنياتٍ لديهن مهمة يقمن بها.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة في تأطيرها للتكوينات المختلفة التي دعمت الوجود الزراعي في فلسطين ضمن إطار واسع هو إطار البنية التحتية الزراعية، وفي تحليلها لماهية البنى التحتية الزراعية وكيفية دعمها للوجود الزراعي الفلسطيني، وحيوية هذه البنى التحتية الزراعية وعلاقاتها بالمشهد الطبيعي والفلاح الفلسطيني. من ناحية أخرى، من المرجح أن هذه الدراسة هي أول دراسةٍ فلسطينيةٍ كبيرةٍ لمشاهد السناسل وعلاقتها بمشاهد بساتين الأشجار الزراعية الإيكولوجية وغيرها من البنى التحتية الزراعية في جبال فلسطين، ما يعني أن أهمية الدراسة تتمثل في تقديم إضافةٍ معرفيةٍ فلسطينيةٍ حول مسألتين ما زالتا غير مدروسةٍ بشكلٍ كافٍ، تتعلق الأولى في تأطير التكوينات المختلفة التي أنشأها الفلاح الفلسطيني، بهدف إعادة إنتاج مشهد الطبيعي ليدعم الزراعة، ضمن إطار البنية التحتية الزراعية. أما المسألة الثانية، فتتمثل في محاولة فهم تاريخ حاضر مشاهد السناسل والبنى التحتية الزراعية ومشاهد البساتين الزراعية الإيكولوجية في جبال فلسطين، بطريقةٍ تحليليةٍ نقديةٍ متقاطعة التخصصات لا ترى المشهد الحالي على أنه منتجٌ جامدٌ يقبع في الماضي أو منتجٌ يتهالك مع الزمن، وإنما باعتباره قيد التشكل والتكوين باستمرار.

تتمثل إضافة هذه الدراسة في محورين أساسيين: محور التوثيق ومحور التحليل. ربما من الجائز الادعاء بأن هذه الدراسة قيمةٌ في مجال التوثيق، كونها أنتجت أرشيفًا صغيرًا لروايات الأجداد عن تحولات المشهد في منطقة الدراسة خلال القرن الأخير، إضافةً إلى أرشيفٍ لا بأس به من الصور حول المشهد وأنواع السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة (ومناطق أخرى في رام الله)، وتأمل الدراسة أن تتم مشاركة هذا الأرشيف الصغير على إحدى المنصات الإلكترونية لفائدة المجتمع الفلسطيني. من ناحية أخرى، فقد تمكنت الدراسة من توظيف العمل الميداني والمقابلات في توثيق السناسل على أصعدة مختلفة. من ناحيةٍ تحليليةٍ، تتمثل أهمية الدراسة في تأطيرها العام للبنية التحتية الزراعية، وتمكنها – ولو بشكلٍ جزئيٍ – من إنتاج صورةٍ أوليةٍ تستعرض التبدلات على السناسل والبنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في منطقة سلواد وعين يبرود في القرن الأخير، بطريقةٍ تعتبر المشهد عمليةً "حيةً وقيد التكوين"، وتكمن إضافة هذه الدراسة في تركيزها على فترةٍ زمنيةٍ غير مدروسة بالشكل الكافي، وتركيزها على منطقةٍ جغرافيةٍ صغيرةٍ غير مدروسةٍ أيضًا لتقديم تحليلٍ عميقٍ للتحولات على المشهد في هذه الفترة الزمنية. كما تبرز أهمية هذه الدراسة في إضافتها معرفةً حول تحولات مشاهد السناسل ومشاهد البساتين الزراعية الإيكولوجية استنادًا إلى المعرفة المحلية الفلسطينية بالأساس، بحيث تتميز هذه الدراسة عن سابقاتها في الاهتمام بشكلٍ جادٍ بدور الفلاح الفلسطيني في تكوين المشهد، كذلك الأمر روايته عن هذا المشهد وتبدلاته.

مراجعة الأدبيات حول السناسل

تبحث هذه الدراسة في التكوين المستمر لمشهد البنى التحتية الزراعية والمشهد الزراعي الإيكولوجي في سلسلة جبال فلسطين الوسطى في القرن الأخير. من ناحية الدراسات الأكاديمية، هناك اهتمامٌ كبيرٌ بمشاهد السناسل الزراعية في العالم وفي فلسطين أيضًا، رغم ذلك فإن الصوت الفلسطيني ليس حاضرًا بشكلٍ كافٍ في هذه الأبحاث، ففي حين يوجد كمٌ هائلٌ من المنشورات الإسرائيلية حول السناسل الزراعية ومشاهدها في فلسطين، فإن هناك غيابًا ملحوظًا لكتاباتٍ فلسطينيةٍ حول هذه المشاهد بشكلٍ خاصٍ. وحتى يتم وضع الدراسة في السياق المناسب للإنتاج الأكاديمي حول مشاهد السناسل، تحاول هذه الجزئية من الدراسة الوقوف على بعض

الأدبيات التي تحلل مختلف العمليات على السناسل في السياق الأوسع، خاصة في حوض المتوسط، ثم تستعرض الأدبيات المنتجة حول هذه المشاهد في فلسطين، خاصةً تلك التي تدرس سلسلة الجبال الوسطى في فلسطين.

تمثل دراسة (Spencer and Hale) حول أصل وطبيعة وتوسع المصاطب الزراعية واحدةً من أبرز الأدبيات الكلاسيكية حول مشاهد المصاطب الزراعية. يحاول (Spencer and Hale) دراسة أصل وطبيعة وأنواع ووظائف المصاطب الزراعية حول العالم، ويشيران إلى أن أصول المصاطب تعود إلى عدة مناطق في العالم من بينها فلسطين، ويتطرقان إلى أنواعٍ من المصاطب تتضمن وأخرى لا تتضمن وجود سدٍ أو حاجزٍ ماديٍ، اللافت هنا إشارة الكاتبين إلى أن مصطلح (المصطبة) والمصطلحات التي تعبر عن السد المادي (كالسناسل في حالة فلسطين) هي مصطلحاتٌ مترادفةٌ في مناطق كثيرة حول العالم. [35]بالفعل، فإننا نجد هذا التوجه في فلسطين، حيث يتم أحيانًا استخدام مصطلح (سنسلة) ومصطلحات (حبلة، مسطبة، مدرج) بشكلٍ متبادلٍ في الأدبيات وفي الرواية الشفوية كما سنرى لاحقًا. [36]

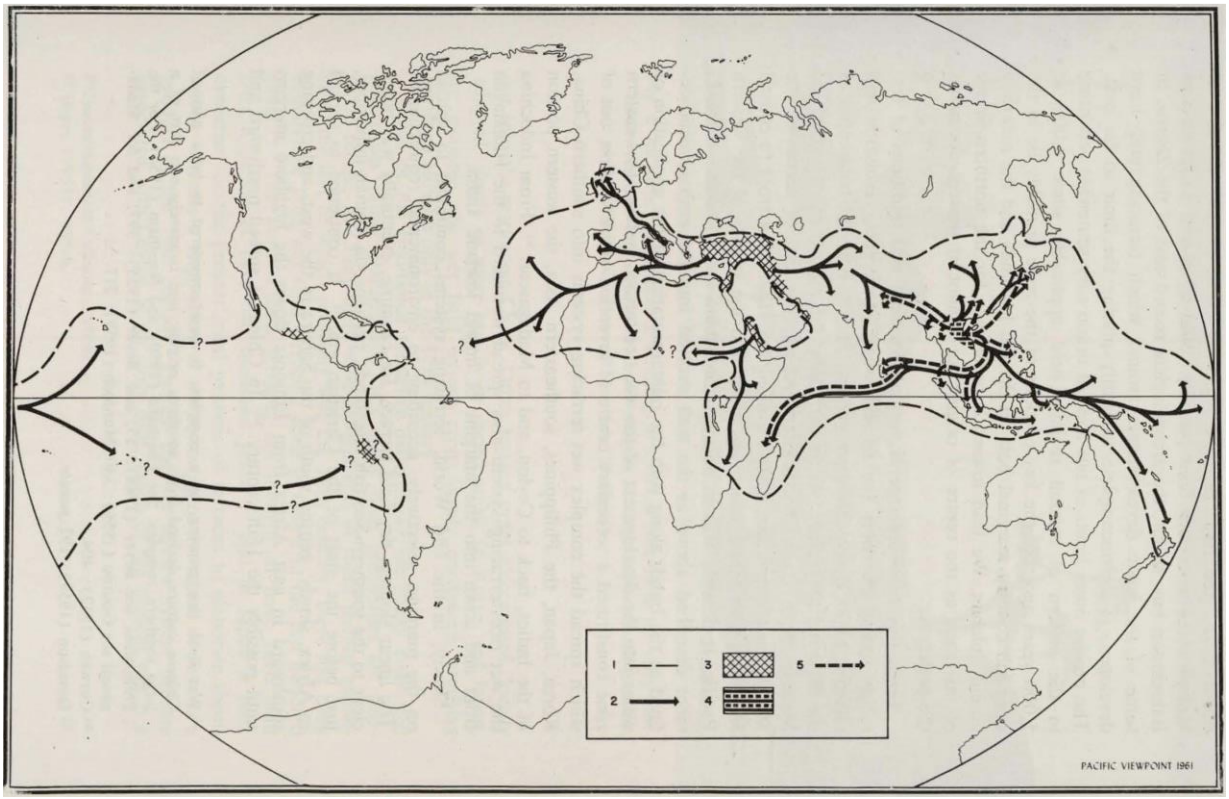

[35] J. E. Spencer and G. A. Hale, "The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing," *Pacific Viewpoint: Change, Conflict, Continuity* 2, no. 1 (1961).

[36] هذه الدراسة أيضًا تستخدم المصطلحات بشكلٍ متناوب إلا حين تقتضي الضرورة التميز بينهما.

خارطة رقم (4): محاولة لتتبع أصل وتوسع انتشار المصاطب حول العالم. (1) حدود انتشار المصاطب الزراعية، (2) خطوط الانتشار الأولى لتكنولوجيا المصاطب، (3) المناطق التي ظهرت فيها المحاولات الأولى لإنشاء المصاطب، (4) المناطق التي ظهرت فيها المحاولات الأولى لمصاطب الزراعية المائية، (5) انتشار مصاطب الزراعة المائية. مصدر الصورة ووصفها: Spencer and Hale.

هناك إضافةٌ أخرى ذات أهميةٍ قدمتها دراسة (Spencer and Hale)، وهي محاولة تحليل أصل مشاهد المصاطب الزراعية وتوسع انتشارها في العالم. [37]يشير الباحثان إلى أن أصل النشأة غير واضحٍ بشكلٍ قطعيٍ، وأن ابتكار أنظمة المصاطب الزراعية قد بدأ في عدة مواقع مختلفةٍ، ويفترض الباحثان أن المحاولات الأولى لهذه التقنية نشأت في الشرق الأدنى على الأرجح. [38] أما المجادلة الأساسية لهذه الدراسة، فتتمثل في اعتبار السناسل منتجًا ثقافيًا يشير إلى فهم الإنسان للبيئة الطبيعية منذ زمنٍ بعيدٍ جدًا، ثم رغبته وقدرته تقنيًا على تغيير بيئته المحيطة لتصبح أكثر فائدةً لحاجاته، يثبت ذلك عدم وجود علاقةٍ واضحةٍ بين انتشار الزراعة وانتشار مشاهد المصاطب بحسب الباحثين. [39]جاءت هذه المجادلة لتناقض الدراسات الجغرافية السابقة التي ترى أن الطبيعة فرضت على الإنسان إنشاء المصاطب ليتمكن من الزراعة في الأماكن التي تخلو من الأراضي المستوية بشكلٍ طبيعيٍ. [40] فمثلًا، جادل (Lewis) قبل (Spencer and Hale) أن ضيق مساحة الأرض وندرة التربة وزيادة تعداد السكان في لبنان خلق الحاجة إلى إنشاء المدرجات الزراعية في المناطق شديدة الانحدار وقليلة التربة للحصول على المزيد من الناتج الزراعي لسد حاجة سكان المنطقة من الغذاء. [41]

لم تقتصر دراسة (Lewis) حول المنطقة الجبلية في لبنان على دراسة ماضي مشهد السناسل والمشهد الزراعي الإيكولوجي في جبال لبنان، وإنما ركزت على واقع هذه المشاهد زمن نشر الدراسة، أي في نهاية أربعينيات وبداية خمسينيات القرن العشرين، حيث تعرضت الدراسة إلى الدور الاقتصادي المتزايد للسناسل حينها، ففي حين كانت أكثر الحبلات الزراعية القديمة مخصصةً لأشجار العنب والزيتون، فإن إنشاء مصاطب جديدةً في لبنان منذ عشرينيات القرن العشرين ارتبط بتوسع مساحات أشجار الفاكهة المزروعة لأهداف تجاريةٍ، هذه التغييرات على الزراعة أثرت وتأثرت بالعديد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية في جبال لبنان. [42]

[37] Spencer and Hale, “The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing.”
[38] Spencer and Hale.
[39] Spencer and Hale, 1–4.
[40] Spencer and Hale, 1.
[41] Norman N. Lewis, “Lebanon. The Mountain and Its Terraces,” *The Geographical Review* 43, no. 1 (1953): 1–14.
[42] Lewis, 7–14.

وكما قدم (Lewis) دراسةً حول تاريخ حاضر سناسل لبنان، فإن الكثير من الدراسات حول مشاهد السناسل والمشاهد الزراعية الإيكولوجية في أوروبا تركز على دراسة العمليات التي أدت إلى الوصول إلى الوضع الحالي لهذه المشاهد. على سبيل المثال، تستعرض دراسة (Bonardi) تطور مشاهد مدرجات كروم العنب في أوروبا، وتبين أن تفاعلاتٍ بين الظروف البيئية–الجغرافية والعوامل التاريخية أدت إلى إنتاج هذه المشاهد على ما هي عليه حتى بدايات القرن العشرين. [43] برأي الباحث، فإن الحاجة التقنية للمصاطب الزراعية ليست مبررًا كافيًا لتفسير توسع هذه المشاهد التي تحتاج إلى موارد هائلة، لذا يقترح الباحث تفسيرًا اقتصاديًا لتوسع مشاهد المصاطب الزراعية في أوروبا، حيث يفترض أن محاصيل الأشجار الاقتصادية المتمثلة في العنب أولًا والزيتون ثانيًا ساهمت بشكلٍ جذريٍ في ازدياد مساحة المصاطب الزراعية، كون هذه المحاصيل ذات جدوىً اقتصاديةٍ عاليةٍ، ما يعني ضمان الفلاح الأوروبي استرجاع رأس المال الذي وظفه في إنشاء المصاطب الزراعية المكلفة. [44]

بشكلٍ مشابهٍ، يقدم (Sereni) دراسةً في المشاهد الزراعية في إيطاليا، ويتطرق بشكلٍ مجملٍ إلى أصل المشاهد الزراعية الإيطالية المعاصرة حينها، وعوامل توسع مشاهد المصاطب الزراعية منذ القرن الثاني عشر وحتى القرن التاسع عشر. [45] تقليديًا، ارتبطت التعديلات الكبيرة على المشهد الزراعي الإيطالي في هذه الفترة بزراعة أشجارٍ وشجيراتٍ جديدةٍ، حيث كانت عمليات "إزالة الغطاء النباتي وتنظيم الأرض وتحسينها" وتشكيل المصاطب وإنشاء السناسل شرطًا مسبقًا لتوسع مساحة زراعة الأشجار المثمرة ذات الجدوى الاقتصادية، سواء أكانت هذه الأشجار ذات مردودٍ ماديٍ كبيرٍ كالزيتون والعنب، أو ذات مردودٍ أقل كالكستناء. [46]

إلى جانب الاهتمام بالماضي البعيد والبعيد نسبيًا، تهتم العديد من الدراسات حول مشاهد المصاطب في أوروبا بدراسة التغيرات في الماضي القريب، إضافةً إلى دراسة الحاضر. من ذلك نقاش (Bonardi) حول تراجع مشاهد مصاطب كروم العنب – والزيتون – في أوروبا منذ بداية القرن العشرين مع تراجع الزراعة في المناطق الجبلية في أوروبا بشكلٍ عامٍ، نتيجة أمراض العنب والهجرة الداخلية

[43] Luca Bonardi, "Terraced Vineyards in Europe: The Historical Persistence of Highly Specialised Regions," in *World Terraced Landscapes: History, Environment, Quality of Life*, ed. Mauro Varotto, Luca Bonardi, and Paolo Tarolli, Environmental History (Cham: Springer International Publishing, 2019), 7–25, https://doi.org/10.1007/978-3-319-96815-5_2.
[44] Bonardi, 9–11.
[45] Emilio Sereni, *History of the Italian Agricultural Landscape* (Princeton University Press, 1997), 251–55.
[46] Sereni, 251–55.

والانتقال إلى الزراعة الممكننة في المناطق المنبسطة، هذه التحولات أدت في أغلب الأحيان إلى استبدال مشاهد مصاطب الكروم التقليدية الطابع بمشاهد جديدةٍ قد تبدو أكثر ملاءمةً للظروف القائمة. [47]

أما عن دراسة الحاضر، فتتعرض دراسة (Asins-Velis) إلى واقع مشاهد الحبلات الزراعية في إسبانيا في القرن الواحد والعشرين، وتجادل أن هذه المشاهد التي كانت مستخدمةً بطريقةٍ تقليديةٍ لقرون طويلة قد شهدت العديد من التبدلات مع التحولات على الوضع الاقتصادي والاجتماعي لإسبانيا، فأصبح هناك ثلاثة أنماطٍ لمشاهد المصاطب في إسبانيا: مشاهد المصاطب الزراعية الممكننة؛ ومساحات مصاطب زراعيةٍ صغيرةٍ لا زالت تستخدم بالطريقة التقليدية؛ ومشاهد مصاطب متروكةٍ دون زراعة. [48]

يبدو أن طبيعة الدراسات حول مشاهد السناسل في فلسطين تختلف قليلًا عن دراسات هذه المشاهد في أماكن أخرى حول العالم. بشكلٍ عامٍ، تقسم الدراسات الإسرائيلية السناسل الزراعية حسب المنطقة الجغرافية والمناخ، وتدرس مشاهد السناسل في كل منطقةٍ مناخيةٍ بشكلٍ منفصلٍ، حيث أدى اختلاف الظروف المناخية والجغرافية في هذه المناطق إلى فروقاتٍ كبيرةٍ بين مشاهد السناسل في فلسطين، ما خلق الحاجة على ما يبدو لدراسة كلٍ منها على حدى. [49] يختص القسم الأكبر من الدراسات الإسرائيلية بالبحث في مشاهد السناسل في سلسلة الجبال الوسطى ذات مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط، يليها دراسة هذه المشاهد في المنطقة الصحراوية المتمثلة بصحراء النقب، ويختص عددٌ أقل من الدراسات بالبحث في مشاهد السناسل الزراعية في المنطقة شبه الصحراوية في منطقة غور الأردن وشمال النقب.[50] فلسطينيًا، توجد بضعة دراساتٍ صغيرةٍ تدرس السناسل، وهناك عدة دراساتٍ كبيرةٍ تدرس العمارة المحلية الفلسطينية أو المشهد بشكلٍ عامٍ، وتتطرق إلى السناسل بشكلٍ هامشيٍ. [51]

---

[47] Bonardi, "Terraced Vineyards in Europe," 19–20.

[48] Sabina Asins-Velis, "Terraced Fields in Spain: Landscapes of Work and Beauty," in *World Terraced Landscapes: History, Environment, Quality of Life*, ed. Mauro Varotto, Luca Bonardi, and Paolo Tarolli, Environmental History (Cham: Springer International Publishing, 2019), 79–96, https://doi.org/10.1007/978-3-319-96815-5_6.

[49] Oren Ackermann, Helena Zhevelev, and Tal Svoray, "Agricultural Systems and Terrace Pattern Distribution and Preservation along Climatic Gradient: From Sub-Humid Mediterranean to Arid Conditions," *Quaternary International* 502 (October 1, 2018), https://doi.org/10.1016/j.quaint.2018.09.032.

[50] Shimon Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," in *Soils and Sediments as Archives of Environmental Change. Geoarchaeology and Landscape Change in the Subtropics and Tropics.*, ed. Bernhard Lucke, Rupert Bäumler, and Michael Schmidt (Erlangen: Fränkische Geographische Gesellschaft, 2015), 295–314; Z. RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," *Israel Exploration Journal* 16, no. 1 (a 1966): 33–49; Z. RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," *Israel Exploration Journal* 16, no. 2 (b 1966): 111–22; Michael Evenari et al., *The Negev: The Challenge of a Desert* (Harvard University Press, 1982); Oren Ackermann, Tal Svoray,

خلال دراستها حول القصور الزراعية في فلسطين، تتحدث سعاد العامري عن ثلاثة عناصر أنشأها الفلاح الفلسطيني في المشهد الريفي في جبال وسط فلسطين بشكلٍ متناغمٍ مع المشهد الطبيعي، هذه العناصر هي المصاطب الزراعية والسناسل الحجرية والعمائر الحجرية الصغيرة. [52] وفي دراسته للقرية العربية الفلسطينية، يتعرض شكري عراف سريعًا إلى المدرجات الزراعية. [53] يظهر ذلك حين يتطرق إلى منطقة الجدر؛ وهي مصاطب الحواكير المحيطة بنواة القرية العربية الفلسطينية. [54] وتحت عنوان "مقاسم لها أسماء"، يتأمل عراف أيضًا في توزيع المصاطب في جبال فلسطين، ويلاحظ انتشار المدرجات الزراعية على السفوح الشمالية للجبال الفلسطينية، كونها أكثر ملاءمةً للزراعة في هذه البقعة من العالم. [55] وإلى جانب الحديث العمومي عن المصاطب الزراعية والسناسل، يتطرق كلٌ من العامري وعراف إلى بعض الجوانب التقنية المرتبطة بوظائف المصاطب الزراعية والسناسل الحجرية وطرق إنشائها. [56]

توجد العديد من الدراسات الإسرائيلية التي تبحث في السناسل بشكلٍ عامٍ، سواءً من ناحيةٍ جغرافيةٍ أو أركيولوجيةٍ. تقدم دراسة (Ron) حول "المصاطب الزراعية في جبال يهودا" خلفيةً جغرافيةً عامةً عن المصاطب ومشاهدها في المنطقة الجبلية الممتدة من الخليل إلى رام الله. تتوصل الدراسة إلى أن الفلاح الذي سكن هذه البقعة الجغرافية فهم ظروف المكان بشكلٍ دقيقٍ، ثم غير فيه بشكلٍ كبيرٍ، فكانت المصاطب بصمةً ثقافيةً مميزةً لهذا المشهد. [57] تتوصل الدراسة أيضًا إلى أن الزراعة في هذه الجبال لم تكن ممكنةً بدون سناسل، وأن الإنسان طور العديد من التقنيات ليجعل هذه المشاهد فعالةً بشكلٍ كبيرٍ. [58] وإضافةً إلى هذه النتائج، تستعرض الدراسة العديد من الجوانب التقنية للمصاطب، كوظائفها وأنواعها والعوامل المؤثرة على توزيع انتشارها. [59] إن هذه الدراسة قيمةٌ، لكن ما يؤخذ

---

and Mordechai Haiman, "Nari (Calcrete) Outcrop Contribution to Ancient Agricultural Terraces in the Southern Shephelah, Israel: Insights from Digital Terrain Analysis and a Geoarchaeological Field Survey," *Journal of Archaeological Science* 35, no. 4 (April 1, 2008): 930–41, https://doi.org/10.1016/j.jas.2007.06.022.

[51] من بينها، العامري ورحال، مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين؛ شكري عراف، القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض (القدس: جمعية الدراسات العربية، 1985)؛ مهوي وقواسمي، سرحة في مرتفعات رام الله.

[52] العامري ورحال، مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين، 15.

[53] يستخدم شكري عراف مصطلح (المدرج) الزراعي ومصطلح (السنسلة) بشكلٍ متبادلٍ وكأنهما مترادفان. هذه الدراسة أيضًا تستخدم المصطلحين بشكلٍ متناوب إلا حين تقتضي الضرورة التمييز بينهما.

[54] عراف، القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض، *96-110*.

[55] عراف، 96-110.

[56] عراف، 121-123؛ العامري ورحال، مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين، 15-16.

[57] RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," b 1966, 121–22.

[58] RON, 121–22.

[59] RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," a 1966, 34–49; RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," b 1966, 111–21.

عليها هو غياب الشق التاريخي، وغياب الحديث عن الفاعلين في تشكيل مشهد المصاطب، وعن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المرتبطة بهذه المشاهد.

في دراسةٍ أركيولوجيةٍ، يستعرض (Gibson) المصاطب الزراعية في مرتفعات جنوب بلاد الشام ذات مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط، ويبين العديد من الجوانب التقنية المرتبطة بالمصاطب؛ كأنواع المصاطب ووظائفها ورواسبها وسناسلها وتقنيات إنشائها. [60]يأتي (Gibson) أيضًا بشكلٍ مختصرٍ على المراحل الأولى لإنشاء المصاطب، ويقترح أن السبب الرئيس وراء إنشائها كان الحصول على ناتجٍ زراعيٍ أكبر، وأن ذروة التوسع في هذه المصاطب كانت خلال العصر الحديدي الثاني أي خلال النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد. [61]

دراسة (Gibson) ليست الدراسة الإسرائيلية الوحيدة التي تتطرق إلى أصل السناسل وتوسع انتشارها. في الحقيقة، ثمة الكثير من الدراسات الإسرائيلية التي تقتصر على دراسة أصل نشأة السناسل وتوسع انتشارها. يقدم غطاس صايج، وهو باحثٌ فلسطينيٌ، قراءةً نقديةً في بعض التوجهات الأركيولوجية الإسرائيلية حول تأريخ أصل السناسل، ويتعرض إلى أربع توجهاتٍ تشترك في تركيزها على العصر الحديدي باعتباره العصر الذهبي لنشأة السناسل أو نشرها في جبال وسط فلسطين، ثم يقدم نقدًا لكل دراسة، ويتوصل إلى اتفاقٍ مع الأدبيات على وجود علاقةٍ بين انتشار السناسل والعصر الحديدي، لكن يقترح أن النشأة الأولى للسناسل تعود إلى قبل ذلك بثلاثة آلاف سنةٍ على أقل تقدير. [62]

من الواضح أن الدراسات التي ينقدها صايج هي دراساتٌ توراتية الطابع، تحاول ربط السناسل بالوجود اليهودي الأول في فلسطين، وهذا توجهٌ ملحوظٌ في الدراسات الأركيولوجية الإسرائيلية حول السناسل، خاصة تلك المنتجة في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. [63]في دراسة مخصصة لفحص نشأة المصاطب الزراعية وتوسعها، يساهم (Gibson) أيضًا في نقد الأدبيات الإسرائيلية

[60] Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," 298–304.
[61] Gibson, 303–4.
[62] Ghattas J. Sayej, "The Origin of Terraces in the Central Hills of Palestine: Theories and Explanations," in *The Landscape of Palestine: Equivocal Poetry*, ed. Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef (Birzeit: Birzeit University, 1999), 201–9.
[63] Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," 297.

توراتية الطابع، والتي تتركز في ثلاث توجهاتٍ: أن الإسرائيليين هم الذين ابتكروا السناسل؛ أو أنهم طوروها بشكلٍ كبيرٍ جدًا؛ أو أنهم نشروها على نطاقٍ واسعٍ في جبال فلسطين. [64] يلجأ (Gibson) إلى البحث الأركيولوجي ليثبت ادعاءً مفاده أن المصاطب كانت موجودةً في جبال فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ، لكن انتشارها الواسع لم يبدأ قبل القرن الثامن قبل الميلاد، حيث ارتبط توسع المصاطب بتوسع الاستيطان البشري في هذه الجبال، كون المصاطب وفرت القاعدة الأساسية للزراعة في هذه المنطقة الوعرة. [65]

رغم اتفاق صايج وجبسون (Gibson) على العلاقة بين الاستيطان البشري وانتشار السناسل على نطاقٍ واسعٍ، إلا أن بعض الدراسات الأركيولوجية الأخيرة ترفض هذا التفسير. على سبيل المثال، تقترح النتائج الأولية لبحثٍ أركيولوجيٍ بعنوان "تكوين مشاهد المصاطب في جبال يهودا، إسرائيل" أن الاستيطان البشري في جبل الظهر – وربما جبال القدس بشكل عام – كان ممكنًا دون الحاجة إلى إنشاء السناسل على مستوىً واسعٍ. [66] يلجأ هذا البحث إلى تقنياتٍ متعددةٍ من أجل فهم تاريخ إنشاء واستخدام المصاطب الزراعية في جبل الظهر ووادي صرار، ويركز على تأريخ اللحظة الأولى لتوسع انتشار مشاهد المصاطب، إضافةً إلى دورات الاستخدام اللاحقة، ويتوصل إلى أن توسع مشاهد المصاطب على نطاقٍ واسعٍ في هذه المنطقة لم يحدث قبل الفترة الهيلينة، أما التوسع الكبير الأخير فكان خلال الفترة الممتدة بين نهاية الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية. [67] وبخصوص دورات استخدام المصاطب الزراعية في جبل صرار، فإن الدراسة تدعي عدم وجود تأثيرٍ كبيرٍ بعد فترة التوسع الأخيرة (القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر)، متجاهلةً بذلك دور القريتين الموجودتين في المنطقة، أي خربة اللوز وصطاف، في تكوين مشهد المصاطب، وهذا إشكاليٌ على أكثر من صعيدٍ كون الفلسطينيين في هذه القرى استمروا في إنتاج المشهد حتى تهجيرهم قسرًا عام 1948. [68]

---

[64] Gibson, "Agricultural Terraces and Settlement Expansion in the Highlands of Early Iron Age Palestine: Is There Any Correlation between the Two," 116–28.

[65] Gibson, 124–40.

[66] Gadot et al., "The Formation of Terraced Landscapes in the Judean Highlands in Israel, and Its Implications for Biblical Agricultural History," 415.

[67] Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, "Land Management and the Construction of Terraces for Dry Farming," 416.

[68] علاء اقطيش، "دراسة أولية حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛ قبل عام 1948 وبعد" (بيرزيت، جامعة بيرزيت، 2018)، 33–40، تم الوصول من http://library.birzeit.edu/librarya/bzu-ths/download.php?cn=DS110.S73I88%202018&ftype=c&fname=thesis_18082018_115034.pdf&src=0.

بينما ترفض النتائج الأولية لبحث "تكوين مشاهد المصاطب في جبال يهودا، إسرائيل" وجود علاقةٍ بين تعداد السكان وتوسع السناسل في جبل صرار، فإنها لا تقدم تفسيرًا بديلًا لسبب التوسع. [69] رغم ذلك، فإن نتائج مؤخرةً لنفس البحث أكدت على عدم وجود علاقةٍ بين زيادة السكان وانتشار السناسل، وافترضت أن هناك مساحاتٍ منبسطةً كافيةً للزراعة في منطقة القدس، ما يستلزم تفسيرًا آخر أساسه نظام ملكية الأراضي. [70] أما عن التفسير، فتقترح النتائج الأخيرة للبحث أن نظام المشاع زمن الدولة العثمانية خلق حاجةً أمام الفلاحين للتوسع الزراعي في مناطق جديدة، وأن طبيعة العلاقات في نظام المشاع وتوافر عددٍ كبيرٍ من الأيدي العاملة قد ساهمت في حشد أعدادٍ كبيرةٍ لإنشاء المصاطب. [71] ومن هذه الخلاصة انتقل الباحثون لتفسير توسع السناسل في الفترات السابقة، وربطوها بتمركز ملكيات الأرض في أيدي ملاكٍ ذوي نفوذ، أو إدارة الأراضي من قبل أنظمة ملكيةٍ معقدةٍ للأراضي. [72] في الحقيقة فإن هذا التفسير لم يبن على أدلةٍ كافيةٍ، وعلاوةً على ذلك، فإن هناك تناقضًا في هذا الادعاء. من ناحية أولى، هناك افتراضٌ يبدأ به هذا البحث، مفاده أن توسع السناسل لم يرتبط بزيادة تعداد السكان، ومن ناحية ثانية، يبني البحث نتائجه على افتراض أن زيادة عدد العائلات المنخرطة في نظام المشاع العثماني هو المحرك وراء التوسع الزراعي وإنشاء السناسل في مناطق جديدةٍ. [73] وبما أن الزراعة كانت مصدر حياة الغالبية العظمى من سكان هذه المنطقة في الفترة العثمانية، فلا بد أن أغلب المجتمع كان منخرطًا في نظام المشاع العثماني منذ بداياته، ما يعني أن زيادة عدد العائلات المنضمة لنظام المشاع هو مؤشر على زيادة تعداد السكان على الأرجح.

كما يتضح، فإن هناك توجهًا ملحوظًا في الكتابات الإسرائيلية حول مشاهد السناسل في فلسطين، يتمثل في التركيز على أصل نشأة السناسل وتوسعها بشكل كبير. ما يؤخذ على هذه الدراسات هو اعتبار السناسل منتجاتٍ تقبع في الماضي، ووصفها على أنها "تاريخيةٌ" أو "أركيولوجيةٌ". إن هذه الدراسات تنظر إلى لحظة ولادة السناسل إن صح التعبير، وتتجاهل نمو هذه المشاهد أو تقلل من الاهتمام بنموها وتكونها وتبدلاتها مع الزمن، ما يجعل قراءة هذه المشاهد ناقصةً وتستثني أجزاءً هامةً من تاريخ السناسل، لعل أبرزها دور الفلاح الفلسطيني في الفترة العثمانية وما تلاها.

---

[69] Gadot et al., "The Formation of Terraced Landscapes in the Judean Highlands in Israel, and Its Implications for Biblical Agricultural History," 416.
[70] Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, "Land Management and the Construction of Terraces for Dry Farming," 274–81.
[71] Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, 281–83.
[72] Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, 283–85.
[73] Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, 275–76, 282.

مقابل الدراسات التي ترى بدايات السناسل، توجد دراسات أخرى — أغلبها فلسطينية – تتطرق إلى حاضر سناسل جبال وسط فلسطين وماضيها القريب، ومتى حدث ذلك، فإن هذه الدراسات تضع السناسل في سياق التراجع والخراب. فمثلًا، في مقالةٍ حول القصور الزراعية، يتطرق شادي غضبان إلى الوضع الحالي للمنشآت الحجرية التقليدية في جبال فلسطين، ويتحدث عن تراجع دور السناسل وحالتها وتعرضها للخطر بالتزامن مع تراجع الزراعة، ويأتي على عدة تحولاتٍ ساهمت في تراجع مشاهد السناسل والقصور الزراعية، خاصةً منذ عام 1967، من بين ذلك السياسات الاستعمارية الصهيونية في مصادرة الأرض وإنشاء المستعمرات وجدار الفصل والضم والتوسع، والتحولات على أنماط العمل الفلسطيني والتبعية الاقتصادية لإسرائيل، إضافةً إلى التوسع العمراني الفلسطيني على حساب المشاهد الزراعية وما تحتويه من منشآتٍ حجريةٍ. [74] وبطريقةٍ مشابهةٍ، تأتي سعاد العامري على تراجع دور السناسل والقصور الزراعية وتراجع حالتها نتيجة تراجع النشاط الزراعي والدور الاقتصادي الذي كانت تلعبه الزراعة في فلسطين. [75]

يقدم ندي سعادة مساهمةً عامةً في دراسة السناسل، ويرى بأن السناسل كانت في السابق الملمح الأبرز في جبال فلسطين، لكنها الآن في حالة تراجعٍ مستمرٍ. برأي سعادة، فإن السناسل والحدائق الفلسطينية شهدت محاولاتٍ للتغيير زمن الاستعمار البريطاني، وأن الاستعمار الإسرائيلي أيضًا بدل في حالة هذه المشاهد وعرضها للخطر، حيث أدت المشاهد الاستعمارية الصهيونية وتؤدي إلى تفتيت السناسل وتجزئتها من جهةٍ، وإلى تدميرها بشكلٍ متعمدٍ من جهةٍ أخرى، ما جعل مشاهد السناسل اليوم "رقعًا من الذاكرة الفلسطينية على قماشٍ من الإسمنت المستورد." [76] وإلى جانب الحديث عن تراجع السناسل، فإن مقالة سعادة تشير إلى محاولاتٍ "لإعادة اكتشاف" السناسل والتفكير في حاضرها ومستقبلها، تتمثل في مساهماتٍ بحثيةٍ وتصميميةٍ وتنفيذيةٍ قامت بها مؤسسة رواق والمتحف الفلسطيني. [77]

العديد من الأدبيات الفلسطينية تتفق على ما يبدو على أثر الاستعمار الإسرائيلي كعاملٍ أساسيٍ لتراجع السناسل. في دراسةٍ تنموية الطابع، يتحدث الباحثان (Hammad and Børresen) عن انجراف التربة وتراجع الأرض وكأنها شيءٌ مقتصرٌ على الدول

[74] Ghadban, “Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape,” 36, 45–46.
[75] العامري ورحال، مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين، *22-25*.
[76] Abusaada, “Palestine’s Garden Walls.”
[77] Abusaada.

النامية، من بينها فلسطين، ويبينان أهمية السناسل الحجرية في حماية الأرض من هذا التدهور. [78] بعدها يأتي الباحثان على الوضع الحالي للسناسل الحجرية، ويتحدثان عن عدة عوامل أدت إلى تراجع الزراعة الفلسطينية، أبرزها الاستيلاء الاستعماري الصهيوني على الأرض، وإنشاء المشاهد الاستعمارية. [79] هذه العوامل أدت إلى هجران مساحاتٍ كبيرةٍ من السناسل في جبال فلسطين، ما قاد إلى تدهور السناسل، هذا يخلق حاجةً إلى تدخلٍ تنمويٍ على عدة أصعدةٍ برأي الباحثين، كالقروض الزراعية والتشريعات وتطوير بنيةٍ تحتيةٍ وخدماتٍ جديدةٍ. [80]

توجد بضع دراساتٍ إسرائيليةٍ تتحدث عن حالة السناسل الفلسطينية اليوم، وهي دراساتٌ ليست مبنيةً على بحثٍ واستقصاءٍ. فرغم أن (Gibson) مدرك لحقيقة غياب دراساتٍ إثنوغرافيةٍ تبحث في السناسل استنادًا إلى الرواية الفلسطينية، إلا أنه يحاول التطرق إلى الوضع القائم للسناسل. [81] يرى (Gibson) أن معرفة الفلاحين الفلسطينيين بإنشاء المصاطب وزراعتها بالطرق التقليدية في تراجعٍ، وأن مشهد السناسل أيضًا في تراجعٍ، نتيجة "تدمير" الفلسطينيين لبعض السناسل القديمة بشكلٍ متعمدٍ، أو بسبب تراجع الزراعة في فلسطين، بالتالي عدم الاكتراث بإنشاء المزيد من السناسل أو صيانة الموجودة، وهذا أدى برأيه إلى ضياع المعرفة بإنشاء سناسل جديدةٍ عند أغلب الفلاحين الفلسطينيين، مع بقاء المعرفةٍ بصيانة السناسل. [82] وفي دراسةٍ أقدم، يستخدم (de Geus) الصور الجوية لمقارنة التغير في مساحات استخدام السناسل، ويخرج بنتائج عدةٍ تدور جميعها حول حدوث تراجعٍ ملحوظٍ في مساحات المصاطب ومساحات المصاطب المزروعة، وذلك منذ بداية الحرب العالمية الأولى. [83]

مما سبق، يتضح أن هناك توجهًا في الكتابات الفلسطينية – والإسرائيلية في بعض الأحيان – يناقش تراجع السناسل وتدهورها ودمارها في العقود الأخيرة، نتيجة أسبابٍ متعمدةٍ أهمها سياسات الاستعمار، أو كحصيلةٍ لتراجع الزراعة على إثر تحولاتٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ شهدتها فلسطين مؤخرًا. المشترك في هذه الأدبيات هو قراءتها للسناسل كشيءٍ منتهي الاستخدام ومتروكٍ للخراب

[78] Hammad and Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine," 380.
[79] Hammad and Børresen, 381.
[80] Hammad and Børresen, 381,392.
[81] Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," 304.
[82] Gibson, 304–5.
[83] C. H. J. de Geus, "The Importance of Archaeological Research into the Palestinian Agricultural Terraces, with an Excursus on the Hebrew Word Gbī," *Palestine Exploration Quarterly* 107, no. 1 (January 1, 1975): 65–74, https://doi.org/10.1179/peq.1975.107.1.65.

والدمار، وكأنها عناصرٌ "ميتةٌ" انتهى دورها في الماضي القريب، وأصبحت غير ضروريةٍ وغير واضحةٍ إلا في المخيلة أو التأملات الرومانسية عن ماضي هذا المشهد، بل هي شيءٌ منسيٌ وبحاجةٍ "لإعادة الاكتشاف" من قبل مؤسساتٍ ثقافيةٍ ومعماريةٍ، أو بحاجةٍ لخطةٍ تنمويةٍ. في الواقع، فإن هذا التوجه قد يكون محقًا إلى حد ما في مسألة تراجع مشاهد السناسل، لكنه مع ذلك توجهٌ إشكاليٌ. من ناحية، فإن مشاهد السناسل لا زالت موجودةً وذات حضورٍ كبيرٍ، كذلك فهي مستخدمةٌ في الكثير من الحالات، وهي لم تنتقل من حالةٍ أولى (حالة الاستخدام) إلى حالةٍ ثانيةٍ (حالة الإهمال)، إنما مرت وتمر بالكثير من الحالات، وهي قيد النمو والتبدل باستمرار.

إلى جانب اعتبار السناسل تكوينات في حالة من التراجع والدمار، فإن هناك نقاطًا أخرى تؤخذ على الدراسات الفلسطينية، من بينها أنها تقرأ السناسل بشكل منعزل نسبيًا عن البنى التحتية الأخرى كتكوين أكبر، وتنظر لكل نوع من البنى التحتية الزراعية بشكل منفرد على أنها "أنظمة" منعزلة، وهذا يتجاهل العلاقات المتينة بين البنى التحتية الزراعية والمشهد، ويتجاهل حيوية هذه التكوينات. من ناحية أخرى، فإن الدراسات الفلسطينية تنظر إلى السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية نظرة فلكلورية، وتدرسها لمجرد توثيق الماضي، وهذا إشكالي ويستلزم النظر إلى البنى التحتية الزراعية والسناسل على أنها لا تزال ذات أهمية للوجود الزراعي الفلسطيني، ولكنها تتحول مع الزمن.

الكتابات حول السناسل في منطقة المتوسط (والعالم) تتراوح في دراسة هذه المشاهد على طول الخط الزمني من النشأة إلى الحاضر والمستقبل أيضًا، أما في فلسطين، فهناك توجهان لدراسة السناسل. يتمثل التوجه الأول في دراسة بداية السناسل أو ولادتها وانتشارها على مستوىً واسعٍ، ويعتبر أن آخر لحظة نشأةٍ واضحةٍ لمشاهد السناسل كانت في بداية الحكم العثماني لفلسطين. أما التوجه الثاني، فيركز على تراجع السناسل وانتهاء استخدامها بشكلٍ متفاقمٍ مع الزمن، خاصةً زمن الاستعمار. من المؤكد أن هذه الدراسات مهمةٌ وضروريةٌ لفهم مشاهد السناسل، لكن ثمة ضرورةٌ للبناء عليها والنظر إلى مشاهد السناسل بطريقةٍ مغايرةٍ.

هذه الدراسة تحاول تأطير السناسل ضمن التكوين الأكبر للبنى التحتية الزراعية، وتحاول معالجة البنى التحتية الزراعية والسناسل من منظورٍ جديد، يستند إلى قراءة تاريخ حاضر البنى التحتية الزراعية، والكيفية التي وصلت بها مشاهد البنى التحتية الزراعية إلى اللحظة "المكانية" الحالية. ترى هذه الدراسة أن السناسل والبنى التحتية الزراعية ليست منتجاتٍ ماديةً تقبع في الماضي البعيد أو القريب، وليست بقايًا مبعثرةٍ بحاجةٍ إلى "إعادة اكتشاف"، وإنما هي مشاهد بدأت تتكون منذ آلاف السنين، واستمر تكونها وإنتاجها على

طول الخط الزمني حتى اللحظة، وهي لا تزال قيد التكوين الآن. إن مشاهد السناسل والبنى التحتية الزراعية مشاهد مستمرةٌ في النمو والتغير والتبدل مع تحولات الظروف المحيطة بها، ماديةً كانت أم بشريةً. أيضًا هي ليست مشهدًا واحدًا ثابتًا في الزمان والمكان، وإنما نسيجٌ ملونٌ من مشاهد متنوعةٍ ومختلفةٍ، وكل خيطٍ في هذا النسيجٍ هو قيد التكوين الدائم. بالفعل، هناك أجزاءٌ كبيرةٌ من مشاهد السناسل والبنى التحتية الزراعية متروكةٌ ومهدومةٌ، لكن هناك أيضًا حالاتٌ أخرى عديدة، من بينها أجزاءٌ نمت مؤخرًا، وأجزاءٌ قديمة الإنشاء حديثة الصيانة وقيد الاستخدام، وأجزاءٌ تغير استخدامها أو أعيد استخدامها بعد الهجران، وأجزاءٌ تراجع دورها بالنسبة للبشر، لكن ما زالت ذات فعاليةٍ من ناحيةٍ إيكولوجيةٍ.

الفصل الثاني: البنى التحتية الزراعية

مقدمة

يقدم هذا الفصل قراءة أولية للعديد من التكوينات التي ساهمت في تمكين الوجود الزراعي في جبال وسط فلسطين، حيث يبني على العديد من الأدبيات الفلسطينية التي وثقت المنشآت المرتبطة بالزراعة في فلسطين، وعلى العمل الميداني والمعرفة المحلية وأدبيات أخرى. إن الأدبيات الفلسطينية التي عالجت المنشآت المرتبطة بالزراعة هي أدبيات هامة، فهي أعمال دقيقة، تفصيلية، وشاملة، وهذا إنجاز كبير حققه باحثون وباحثات فلسطينيون في سياق الاستعمار الاستيطاني الذي لا يخلق بيئة مناسبة للبحث العلمي.[84] [85] رغم ذلك، فإنه من الضروري البناء على هذه الأدبيات وأخذها إلى مستويات أخرى. من ناحية أولى، حين تتحدث الأدبيات الفلسطينية عن المنشآت المرتبطة بالزراعة، فإنها تأخذ كلًا منها على حدىً، فتدرس الآبار بمعزل عن القصور، وتدرس معصرة العنب بشكل منفصل عن السناسل. برأي الدراسة، فإنه من الضروري قراءة هذه العناصر على مستوى أوسع، بمعنى تحليلها كجزء من كل، فهي على علاقة دائمة التكوين معًا ومع المشهد الطبيعي والمجتمعات البشرية.[86] لذلك، تقترح الدراسة وضع هذه التكوينات تحت إطار أشمل يربطها جميعًا معًا ومع مسألة الوجود الزراعي واستدامته على هذه الأرض منذ آلاف السنين، وتطلق على هذا الإطار تسمية "البنية التحتية

---

[84] عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*.

[85] Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape"; Salah Al-Houdalieh and Shadi Ghadban, "Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and 'Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine," *International Journal of Architectural Heritage: Conservation, Analysis, and Restoration* 7 (January 1, 2012), https://doi.org/10.1080/15583058.2011.654049; Hammad and Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine"; Ghattas J. Sayej, "The Origin of Terraces in the Central Hills of Palestine: Theories and Explanations," in *The Landscape of Palestine: Equivocal Poetry*, ed. Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef (Birzeit: Birzeit University, 1999), 201–9.

[86] تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."

الزراعية." من ناحية أخرى، فإن أغلب الدراسات الفلسطينية هي دراسات وصفية لشكل ووظيفة وإنشاء البنيات المرتبطة بالزراعة وما يرتبط بها من علاقات اجتماعية، وتعتبر هذه التقنيات نوعًا من"الأنظمة،" بمعنى أنها متماسكة وثابتة على المستوى المادي والاجتماعي، وهذا يستلزم إعادة التفكير، والنظر إلى هذه البنى على أنها "تكوينات" قيد التشكل باستمرار، بدلًا من اعتبارها "أنظمة" ثابتة في الزمان والمكان.[87] من ناحية ثالثة، فإن الطابع الغالب على الدراسات الفلسطينية التي تدرس المنشآت المرتبطة بالزراعة هو الطابع الفلكلوري الذي يوثق الماضي لأجل الماضي، وهو أمر مهم، لكن الأهم هو البناء على هذه التكوينات التي تطورت عبر آلاف السنين والمعارف المرتبطة بها، من أجل فهم الحاضر بل والنظر إلى المستقبل، حيث ترى الدراسة أن البنى التحتية الزراعية هي مفاتيح يمكن من خلالها قراءة علاقتنا مع الأرض، وعلاقاتنا البشرية المرتبطة بالوجود في الأرض، إضافةً إلى التأمل في المستقبل الذي نريده مع الأرض. وهناك ناحية أخيرة، وهي مرتبطة بمسألة تراجع البنية التحتية الزراعية.[88] [89] حين تتحدث الأدبيات الفلسطينية عن هذه المسألة، فإنها تتطرق إلى تراجع حالة ومساحة ودور البنى التحتية الزراعية، وهو مهم بالتأكيد، لكنه يستلزم النظر بشكل أوسع والحديث عن تراجع تنوع البنى التحتية الزراعية وحيويتها، وتراجع المعرفة بها، وهذا ما تحاول هذه الجزئية من الدراسة نقاشه.

تحاول الدراسة في هذا الفصل تقديم تعريفٍ أوليٍ لمفهوم "البنى التحتية الزراعية"، ثم الوقوف سريعًا على تنوعها في فلسطين، وتصنيفها. بعد ذلك، تأخذ الدراسة نماذج من البنى التحتية الزراعية، وتفحص ديناميكيتها عبر الزمن والمكان، ثم تنظر بشكل أوسع إلى البنى التحتية الزراعية باعتبارها تكوينات مترابطة وطبقات متراكمة. في النهاية، تتأمل الدراسة في البنى التحتية الزراعية والمعارف حولها وتراها على أنها "بذور" أو "مفاتيح" ضرورية للمستقبل. وللوصول إلى تعريفٍ لمفهوم "البنى التحتية الزراعية المحلية" وتحليلها، لا بد للدراسة من الوقوف بدايةً على بعض المفاهيم النظرية، وهي الجنيالوجيا وتاريخ الحاضر؛ والمشهد كعمليةٍ قيد التكوين؛ والمعرفة المحلية؛ والبنية التحتية.

---

[87] تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."

[88] العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين.*

[89] Abusaada, “Palestine’s Garden Walls”; Hammad and Børresen, “Socioeconomic Factors Affecting Farmers’ Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine”; Ghadban, “Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape.”

الأطر النظرية

الجنيالوجيا وتاريخ الحاضر

توفر الجنيالوجيا، وهي واحدةٌ من أدوات النقد التاريخي التي بدأها فريدريك نيتشة وطورها ميشيل فوكو، منهجيةً للتفكير بالتاريخ بطريقةٍ مغايرةٍ للتوجه التقليدي أو التوجه الأركيولوجي.[90] بالنسبة للتاريخ التقليدي، هناك اهتمامٌ بتتبع عمليات التغيير عبر الزمن، وبالنسبة للأركيولوجيا، يتم التركيز على تتابع الفترات التاريخية التي حدثت فيها التغييرات في الماضي، وإيضاح الفروقات البنيوية التي تميز فترةً عن الأخرى، والفجوات التي تميز بين هذه الفترات.[91] أما الجنيالوجيا، فتختص في تتبع "انبثاق وانحدار العمليات، وأثر الصدف التي شهدتها هذه العمليات على تشكيل الحاضر"، بمعنى أن الجنيالوجيا تحاول تفسير "الكيفية التي أتى بها ما هو موجودٌ إلى الوجود."[92]

ترى الجنيالوجيا أن هناك جملةً من "القوى والتأويلات والاهتمامات المتنافسة والمتعاونة" التي تعمل معًا على تشكيل التاريخ، وتقترح أن القوة (power) والصدفة (contingency) هما المحركان لهذا التشكيل، بهذا المعنى فإن التاريخ قيد التغيير، كما أن التاريخ "عمليةٌ فيها محوران أساسيان: الاستمرارية وعدم الاستمرارية."[93] وفي حين أن التاريخ قيد التشكل، فإنه أيضًا – برأي الجنيالوجيا – يشكل الممارسات البشرية عبر الزمن، فالممارسات الموجودة حاليًا ليست سوى نتاج عمليات تفاعلٍ عبر الزمن بين عوامل مختلفةٍ أنتجت

[90] R. Kevin Hill, "Genealogy," in *Routledge Encyclopedia of Philosophy* (London and New York: Taylor and Francis, 1998), https://www.rep.routledge.com/articles/thematic/genealogy/v-1; Yvonne Sherratt, *Continental Philosophy of Social Science* (Cambridge University Press, 2005), 119–64.

[91] David Garland, "What Is a 'History of the Present'? On Foucault's Genealogies and Their Critical Preconditions," *Punishment & Society* 16, no. 4 (October 1, 2014): 370–71, https://doi.org/10.1177/1462474514541711.

[92] Garland, 371; Colin Koopman, "Foucault's Historiographical Expansion: Adding Genealogy to Archaeology," *Journal of the Philosophy of History* 2, no. 3 (January 1, 2008): 354, https://doi.org/10.1163/187226308X335994.

[93] Hill, "Genealogy"; Koopman, "Foucault's Historiographical Expansion," 353; Sherratt, *Continental Philosophy of Social Science*, 147.

الحاضر بطريقةٍ مغايرةٍ لماضيه، هذه العوامل تتواجد على درجاتٍ متفاوتةٍ من الإدراك في الحاضر، لدرجة أن قسمًا كبيرًا منها منسيٌ في الوقت الحالي، ما يخلق الحاجة إلى الكشف عنها وعن أثرها على تشكيل الحاضر، وهنا يبرز دور الجنيالوجيا.[94] وحين تتتبع الجنيالوجيا العوامل المختلفة، فإنها لا تراها استمرارًا "لأصلٍ" ما، حيث ترفض الجنيالوجيا وجود "أصلٍ" واحدٍ للأشياء، وتقترح بالمقابل تعددية الأصول وعدم تجانسها، وكما أن الأصول متعددةٌ، فإن هناك تعدديةً وعدم استمراريةٍ في "انحدار" (descent) هذه الأصول المختلفة مع الزمن.[95]

من بين المفاهيم المرافقة لمفهوم الجنيالوجيا، يبرز "تاريخ الحاضر" باعتباره أداةً "لتشخيص الحاضر باختلافه عن الماضي."[96] برأي الجنيالوجيا، فإن الكثير من الممارسات الحالية تظهر على أنها " مفروغٌ منها" و "إشكاليةٌ أو غير مفهومةٍ" في الوقت ذاته، ما يجعلها بحاجةٍ إلى تفسيرٍ يستند إلى تتبع ظروف إنتاجها والقوى التي ساهمت ولا زالت تساهم في تشكيلها.[97] هذا يعني أن دور "تاريخ الحاضر" يتمثل في دراسة العوامل المختلفة التي قادت إلى تكوين الحاضر على ما هو عليه الآن، فالحاضر قد تطور من جملة الأوضاع والعوامل المتغيرة عبر الزمن.[98] وهنا لا بد من الانتباه إلى أن الغاية من "تاريخ الحاضر" ليست مجرد التحقيق التاريخي أو إثبات أن الحاضر "تشكل عبر الصدف"، وإنما التأمل في هذا الحاضر بهدف التغيير.[99] برأي فوكو، فإن فهم "تاريخ الحاضر" على أنه "تاريخ الصدف" يفتح المجال أمام توظيف الأدوات التاريخية المستمدة من فهم الصدفية في سبيل تغيير الحاضر وتغيير الذات.[100]

المشهد عملية قيد التكوين

بينما تلجأ الدراسات الجغرافية التقليدية إلى تحليل المشهد باعتباره شيئًا ثابتًا، فإن هناك توجهاتٍ نقديةً تسعى إلى فهم المشهد كشيءٍ متغيرٍ.[101] على سبيل المثال، ترى مجموعة مكانيات المشهد الطبيعي "كعمليةٍ حيةٍ وكجزئيةٍ تتشكل باستمرار"، وتقترح مفهوم

[94] Hill, “Genealogy”; Garland, “What Is a ‘History of the Present’?,” 372.
[95] Sherratt, *Continental Philosophy of Social Science*, 146–47.
[96] Koopman, “Foucault’s Historiographical Expansion,” 345.
[97] Garland, “What Is a ‘History of the Present’?,” 373.
[98] Koopman, “Foucault’s Historiographical Expansion,” 346–47.
[99] Koopman, 347–61.
[100] Koopman, 347–61.
[101] تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."

"المكانية" للإشارة إلى "تكوين العلاقات البيئية والاجتماعية التي لا تفصل بشدةٍ بين الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية"، بهذا المعنى فإن المشهد الطبيعي في حالةٍ مستمرةٍ من "التكوين" مع الزمن، نتيجة تفاعل عوامل مختلفةٍ في الزمان والمكان.[102] بطريقةٍ مشابهةٍ، يقدم (Ingold) مجادلةً حول زمانية المشهد، حيث يعتبر المشهد قصةً تتكون بشكلٍ موازٍ لسير حياة الإنسان، وأن كلا الأمرين مرتبط بالزمن، وكأن المشهد "سجلٌ مستمرٌ لحيوات وأشغال الأجيال السابقة التي سكنت فيه وتركت شيئًا من أنفسها فيه."[103] في الحقيقة، يربط (Ingold) بين المشهد وبين النشاطات المترابطة (taskscape) التي تؤديها الفواعل المختلفة بشكلٍ مرتبطٍ بالوجود، وحيث أن هذه النشاطات مستمرةٌ مع الزمن، فإن المشهد أيضًا يتغير باستمرار.[104]

يمكن النظر إلى المكان باعتباره "تكوينًا مستمرًا من الطبقات/الآثار."[105] أحيانًا، يتم الإشارة إلى الثقافة كمحركٍ أساسيٍ لتغيير المكان، كونها تترك الكثير من الطبقات/الآثار المادية وغير المادية في السياق الجغرافي الذي توجد فيه.[106] لكن لا بد من الإشارة إلى أن العامل البشري ليس المحرك الوحيد للتغيير، فالمشهد يتغير على سبيل المثال مع تغيرات المواسم، وتغير المناخ، والكوراث البيئية، وحركة الحيوانات، ونمو النباتات أو جفافها، وانجراف التربة، وتحلل الصخور، وسير الماء في الأودية، وغير ذلك من العمليات.[107] [108] ويبدو أن المشترك بين هذه العمليات التي تحول المكان هو ارتباطها بالحركة أو التدفق للمادة والطاقة بأشكالهما المختلفة.[109]

ولكن هل كل المشاهد قيد التغير مع الزمن؟ في الظاهر، قد تبدو بعض المشاهد شبه ثابتةٍ بالنسبة للمراقب، لكن فحصها عن قربٍ يؤكد أن الكثير من التحولات تجري على هذه المشاهد بمرور الوقت. في الحقيقة، فإن مدى سرعة التحول يختلف من حالةٍ إلى أخرى.[110] من ناحية أخرى، فإن مقاييس الزمن تختلف من وجهة نظر الذوات المختلفة في العالم، وبالنسبة للإنسان، فإن الذاكرة البشرية تلعب دورًا هامًا في قراءة التغيرات، ففي حين يصعب على الإنسان مشاهدة التحول الطبيعي على شكل الهضاب نتيجة

---

[102] تسدال وآخرون.

[103] Tim Ingold, "The Temporality of the Landscape," *World Archaeology* 25, no. 2 (October 1, 1993): 152, https://doi.org/10.1080/00438243.1993.9980235.

[104] Ingold, 158–62.

[105] Jon Anderson, *Understanding Cultural Geography: Places and Traces*, Third Edition (Taylor & Francis, 2021).

[106] Anderson.

[107] تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."

[108] Ingold, "The Temporality of the Landscape," 164–71; Richard Huggett and Chris Perkins, "Place as Landscape," in *Companion Encyclopedia of Geography*, ed. Ian Douglas, Richard Huggett, and Chris Perkins (Routledge, 2007), 17–18; Anderson, *Understanding Cultural Geography*.

[109] Huggett and Perkins, "Place as Landscape," 24–25.

[110] Anderson, *Understanding Cultural Geography*.

العوامل الجوية، كون وضوح هذا التحول يحتاج إلى مئات وربما آلاف السنين التي تفوق عمر الإنسان، فإن من السهولة أن يلحظ المراقب تحول المشهد مع نمو محصول القمح على سبيل المثال، أو مع إنشاء مبنىً جديدٍ.[111]

قراءة المشهد كعمليةٍ قيد التكوين تفتح المجال أمام إعادة التفكير بالمشهد، وهذا لا يقتصر على نقد المشهد كما هو موجودٌ، وإنما إدراك إمكانية المشاركة في تكوينه، بهذا المعنى يمكن النظر إلى المشهد كمساحةٍ غير مسلّمٍ بها، وهذا يسمح للباحث الناقد بالانخراط في المشهد بطريقةٍ فعالةٍ بغرض التغيير، وهو أمرٌ ضروريٌ على ما يبدو، خاصةً في ظل الأزمات المختلفة التي يشهدها العالم، كأزمة المناخ.[112] [113]

المعرفة المحلية

تبني هذه الدراسة على مفهوم المعرفة المحلية كمحورٍ أساسيٍ للتحليل، ولذا تسعى إلى تقديم قراءةٍ في بعض التوجهات النظرية حول هذا المفهوم. بدايةً، لا بد من الإشارة إلى أن هناك تشكيلةً من المفردات المستخدمة في الأدبيات، والتي تقترب بشكلٍ كبيرٍ من مفهوم المعرفة المحلية وتتقاطع معه، وأن الدارج في الأدبيات هو الحديث عن "المعرفة الأصلانية" وليس المعرفة المحلية.[114] كذلك من الضروري التأكيد على أن مفهوم الأصلانية هو مفهومٌ شائكٌ ويقع خارج نطاق هذه الدراسة. وللخروج من جدلية تشابه المعنى واختلاف المفردات، تلجأ الدراسة إلى قراءة بعض هذه المفاهيم المتشابهة ثم محاولة إجمال محاورها الأكثر أهميةً لأغراض هذه الدراسة.

تشير منظمة الأغذية والزراعة (FAO) إلى أن المعرفة المحلية هي "المعرفة التي يحملها مجتمعٌ ما، وهي معرفةٌ متراكمةٌ وغير ثابتةٍ، طورها المجتمع ويطورها بناءً على التجربة عبر فترةٍ طويلةٍ من الزمن، وهي معرفةٌ مرتبطةٌ بالثقافة والبيئة المحلية، ومتأصلةٌ في الجوانب الحياتية

---

[111] Ingold, “The Temporality of the Landscape,” 164–71.

[112] تسدال وآخرون، "مكانيات: مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."

[113] Anderson, *Understanding Cultural Geography*.

[114] Christoph Antweiler, “Local Knowledge and Local Knowing: An Anthropological Analysis of Contested ‘Cultural Products’ in the Context of Development,” *Anthropos* 93, no. 4/6 (1998): 469–71; FAO, *Building on Gender, Agrobiodiversity and Local Knowledge – A Training Manual* (Rome, Italy: FAO, 2006), 7, https://www.fao.org/documents/card/en/c/79c1ae5f-c15a-567f-9467-6beca7e90797/; H. Warburton and A. Martin, *Local People’s Knowledge in Natural Resources Research* (Chatham, UK: Natural Resources Institute, 1999), 1, https://gala.gre.ac.uk/id/eprint/11694/.

المختلفة لهذا المجتمع."[115] ويرى (Antweiler) أن المعرفة المحلية هي "معرفةٌ متجذرةٌ في ثقافةٍ وإيكولوجيا محليةٍ أو إقليميةٍ، والسياق الاجتماعي، والإقتصاد المرتبط بهذه الثقافة والإيكولوجيا."[116] أما (Bruchac) فتستخدم مفاهيم أخرى لنفس التعريف، حيث تطلق تسمية "المعرفة الأصلانية" أو "المعرفة التقليدية" أو "معرفة السكان الأصليين" على جملة "المعارف والاعتقادات والتقاليد" التي شكلتها جماعةٌ ذات ثقافةٍ مشتركةٍ في مشهدٍ ما، بهدف تنظيم علاقات هذه الجماعة مع ثقافتها ومشهدها.[117] وبطريقةٍ مشابهةٍ، يستخدم الباحثان (Martin & Warburton) مصطلح "معرفة السكان المحليين" للإشارة إلى نظامٍ متكاملٍ من المعارف التي يشكلها سكان منطقةٍ ما عن العالم المحيط بهم، بحيث يشمل هذا النظام المعرفي جوانب اجتماعيةً وأخرى تقنيةً لتنظيم التفاعل مع المجتمع والبيئة المحيطة.[118] وإلى جانب هذه التشكيلة من المفاهيم، يمكن إضافة مفهوم "المعرفة الإيكولوجية التقليدية،" الذي يشير إلى نظامٍ من "المعارف والممارسات والاعتقادات،" وهو حصيلة تراكم تجارب مجتمعٍ ما عبر آلاف السنين، هذه المعارف متخصصةٌ ببيئةٍ ما وثقافةٍ ما، ومتجذرةٌ بشكلٍ كبيرٍ في المشهد، وهي معارف متناقلةٌ عبر الأجيال، وتشكل الثقافة والمجتمع وتتشكل بهما.[119]

كما يتضح، فإن هناك مفاهيم متعددةً تدور حول معانٍ مشابهة لمفهوم المعرفة المحلية. في هذه الدراسة، يتم استخدام مفهوم المعرفة المحلية كونه المفهوم الأعم.[120] من ناحية أخرى، فإن مفهوم المعرفة المحلية قد يكون أكثر ملاءمةً للحالة الفلسطينية من المفاهيم الأخرى. وبالمجمل، فإن هذه الدراسة تستعير فهم المعرفة المحلية من الدراسات أعلاه، وتعتبر أن المعرفة المحلية هي موروثٌ متكاملٌ من "المعارف والممارسات والاعتقادات" الاجتماعية والتقنية، التي طورها مجتمعٌ ما نتيجة تفاعلٍ مستمرٍ مع بيئته وثقافته لفترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ، وهي معرفةٌ متراكمةٌ ومتناقلةٌ عبر الأجيال، دقيقةٌ ومتجذرةٌ في المكان، ومتغيرةٌ مع الزمن. وكما أن هذه المعارف على علاقة تشكيلٍ

---

[115] FAO, *Building on Gender, Agrobiodiversity and Local Knowledge – A Training Manual*, 7.
[116] Antweiler, "Local Knowledge and Local Knowing: An Anthropological Analysis of Contested 'Cultural Products' in the Context of Development," 469.
[117] Margaret Bruchac, "Indigenous Knowledge and Traditional Knowledge," in *Encyclopedia of Global Archaeology*, January 1, 2014, 3814, https://repository.upenn.edu/anthro_papers/171.
[118] Warburton and Martin, *Local People's Knowledge in Natural Resources Research*, 1–13.
[119] Kenneth Ruddle, "The Transmission of Traditional Ecological Knowledge," in *Traditional Ecological Knowledge: Concepts and Cases* (Ottawa: International Program on Traditional Ecological Knowledge & International Development Research Centre, 1993), 18–20; Fikret Berkes, "Traditional Ecological Knowledge in Perspective," in *Traditional Ecological Knowledge: Concepts and Cases*, ed. Julian T. Inglis (Ottawa: International Program on Traditional Ecological Knowledge & International Development Research Centre, 1993), 1–5; Bruchac, "Indigenous Knowledge and Traditional Knowledge," 3816–17.
[120] FAO, *Building on Gender, Agrobiodiversity and Local Knowledge – A Training Manual*, 7.

متبادلةٍ مع الثقافة، تؤثر بها وتتأثر بها، فإنها أيضًا على علاقةٍ متبادلةٍ مع المشهد المحيط، لا تقتصر على إدراكه فحسب، وإنما تعيد إنتاجه.

البنية التحتية

ثمة العديد من التوجهات للنظر إلى مفهوم البنية التحتية، فهو مفهومٌ يحمل معانٍ عدةٍ، كما أن النقاشات حول البنية التحتية هي نقاشاتٌ "تصنيفيةٌ" تختلف بحسب السياق.[121] وبشكلٍ عامٍ، فإن الكثير من الأدبيات تربط بين البنية التحتية والحداثة.[122] هذا الربط على ما يبدو يستند إلى الاعتقاد بوجود علاقةٍ عضويةٍ بين البنية التحتية والحداثة. فمن جهةٍ أولى، هناك افتراضٌ بأن البنية التحتية جوهريةٌ أو تأسيسيةٌ للظروف الحديثة، ومن جهةٍ ثانيةٍ، هناك تصورٌ بأن أفكار الحداثة ونقاشاتها ساهمت في تعريف "أهداف البنية التحتية ووظائفها وخصائصها."[123]

يمكن إجمال توجهين أساسيين لتأطير البنية التحتية إذا ما أمعنا النظر في الكتابات حول البنية التحتية والحداثة. التوجه الأول هو منظور الشبكة المادية، كون الجزء الأكثر وضوحًا في البنى التحتية هو الجزء الفيزيائي الذي يسمح بحركة المادة والإنسان – أو يسهل هذه الحركة، فالبنية التحتية هي "شيءٌ ماديٌ يسمح لأشياء ماديةٍ أخرى بأن تعمل وتستمر."[124] ولكن هل كل شبكةٍ ماديةٍ هي بنيةٌ تحتيةٌ؟ لا يبدو الأمر كذلك. من وجهة نظر (Smith)، فإن البنية التحتية هي "شبكةٌ ممتدةٌ في المشهد بشكل أوسع من إطار بيتٍ واحدٍ،" بمعنى اشتراط "إنشاء واستخدام وصيانة" الشبكة المادية من قبل عدد أفراد يفوق عدد أفراد البيت الواحد حتى تندرج تحت

[121] Brian Larkin, "The Politics and Poetics of Infrastructure," *Annual Review of Anthropology* 42 (October 21, 2013): 330, https://doi.org/10.1146/annurev-anthro-092412-155522.
[122] Larkin, "The Politics and Poetics of Infrastructure"; Timothy Mitchell, "Introduction: Life of Infrastructure," *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East* 34, no. 3 (December 1, 2014): 437–39, https://doi.org/10.1215/1089201X-2826013; Paul Edwards, "Infrastructure and Modernity: Scales of Force, Time, and Social Organization in the History of Sociotechnical Systems," in *Modernity and Technology*, 2002, 185–225.
[123] Edwards, "Infrastructure and Modernity," 186–91.
[124] Monica L. Smith, "Urban Infrastructure as Materialized Consensus," *World Archaeology* 48, no. 1 (January 1, 2016): 2, https://doi.org/10.1080/00438243.2015.1124804; Larkin, "The Politics and Poetics of Infrastructure," 328–29.

تصنيف البنية التحتية.[125] رغم ذلك، فإن العديد من الباحثين يجادلون بإمكانية تحول "تكنولوجياتٍ صغيرةٍ مستقلةٍ" إلى بنيةٍ تحتيةٍ، وذلك حين "تندمج في شبكةٍ واحدةٍ، أو حين تهيمن إحدى هذه التكنولوجيات على غيرها."[126] أما التوجه الثاني لفهم للبنية التحتية فيضيف الفهم الاجتماعي إلى الفهم المادي، باعتبار البنية التحتية منظومةً متكاملةً من الجوانب التقنية والجوانب الاجتماعية، حيث تشمل الأخيرة على "المعارف والتنظيمات والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية" التي لا يمكن للعناصر الفيزيائية العمل بدونها.[127]

يبدو أن التعريفات المختلفة للبنية التحتية في سياق الحداثة تتفق على مركزية البنية التحتية للمجتمعات الحديثة، حيث تفترض أنها أنظمةٌ "مسؤولةٌ عن ثباتية الحياة في العالم المتقدم،" وأن المجتمعات الحديثة "لا يمكن أن تعمل بدونها."[128] من الواضح أن حصر مفهوم البنية التحتية على المجتمعات الحديثة بل والمجتمعات "المتقدمة" يحمل معانٍ سياسيةً. في الحقيقة، ثمة علاقةٌ بين البنية التحتية والاستعمار – من بين بنيات السيطرة الأخرى، فكثيرًا ما يلجأ الاستعمار إلى توظيف البنية التحتية كأداةٍ للسيطرة والتحكم، يقابل ذلك وضع الأنظمة المركزية لحياة المجتمعات المستعمَرة في مرتبةٍ دونيةٍ لا ترتقي إلى إدراجها تحت مفهوم البنية التحتية.[129] ولا بد من تجاوز هذه القراءة الفوقية للبنية التحتية، ولذا تستعير هذه الدراسة توجه (Toso) ونقاشها عن البنية التحتية عند "السكان الأصليين."[130] إضافة إلى طرحها حول البنى التحتية عند المجتمعات المختلفة، حيث تشير إلى أن المجتمعات المختلفة قد "طورت أنظمة بنيةٍ تحتيةٍ وبيئةً مبنيةً مميزةً لكل منها" لتجعل الوجود والحياة ممكنين في الموقع الجغرافي والمناخ المحيط بهذه المجتمعات.[131]

هناك إشكاليةٌ أخرى في تعريف البنية التحتية بعلاقتها بالمجتمعات "الحديثة المتقدمة"، وهي إشكالية الزمن، فهل البنية التحتية نتاج الحداثة بالفعل؟ ربما من المفيد هنا قراءة (Wilkinson) الذي يبدأ بنقاشٍ حول البنية التحتية من منظورٍ أركيولوجيٍّ، ثم يخرج بتعريفٍ عامٍ للبنية التحتية، لا ينحصر في زمنٍ معينٍ.[132] يعرف (Wilkinson) البنية التحتية باعتبارها " تكنولوجيات كبيرة الحجم

[125] Smith, “Urban Infrastructure as Materialized Consensus,” 2.
[126] Larkin, “The Politics and Poetics of Infrastructure,” 330.
[127] Larkin, 329; Edwards, “Infrastructure and Modernity,” 187–88.
[128] Edwards, “Infrastructure and Modernity,” 187–88.
[129] Tricia Toso, “‘Keeping the Road Clear between Us’: Indigenous Infrastructure and the Potential for Transformative Design,” *Stream: Interdisciplinary Journal of Communication* 10, no. 1 (January 23, 2018): 12–25, https://doi.org/10.21810/strm.v10i1.255.
[130] Toso.
[131] Toso, 12.
[132] Darryl Wilkinson, “Towards an Archaeological Theory of Infrastructure,” *Journal of Archaeological Method and Theory* 26, no. 3 (September 1, 2019): 1216–41, https://doi.org/10.1007/s10816-018-9410-2.

وثابتةٌ في المكان، تنشئها وتستخدمها وتقوم بصيانتها مجتمعاتٌ عددها أكبر من عدد أفراد المنزل الواحد، يُستثنى من ذلك كافة الهياكل المعمارية."[133]

البنية التحتية الزراعية

نحو تعريفٍ أوليٍ للبنية التحتية الزراعية في فلسطين[134]

تبرز البنى التحتية الزراعية المحلية كمجموعةٍ من التكوينات التي أنتجها وينتجها التفاعل البشري مع المشهد الطبيعي لجعل الوجود الزراعي ممكنًا في مكانية ما. في الواقع، فإن المجتمعات البشرية تطور مع الزمن معارف محليةً دقيقةً بالمكان الذي تسكنه، وتطور معها تركيباتٍ تخدم الوجود في هذا المكان بالتحديد.[135] [136] من الواضح أن البنى التحتية الزراعية تقع ضمن مجموع هذه التركيبات، حيث تنتج المجتمعات الزراعية مجموعةً من التقنيات الوظيفية المختلفة بعد فهمٍ عميقٍ للحاجات الزراعية والظروف المختلفة في مكانٍ ما وزمانٍ ما، وبشكل مرافقٍ لهذه التقنيات، تنشئ هذه المجتمعات مجموعة من العلاقات التي تدير البنيات المادية وتنظم التفاعل البشري المرتبط بها.[137] في الواقع، فإن هناك تنوعًا كبيرًا في البنى التحتية الزراعية في منطقةٍ جغرافيةٍ ما، وهو نابعٌ من خصوصية ظروف إنتاج كل واحدةٍ منها، ويرافق هذا التنوع تنوعٌ في آليات التنظيم المجتمعي حول هذه التقنيات عبر الزمن وفي المكان.[138] أيضًا فإن البنى التحتية الزراعية ديناميكية وقيد التشكيل عبر الزمن، حيث تتعرض لصعودٍ وتراجعٍ وتوسعٍ ودمارٍ وغير ذلك، كما أنها تلعب أدوارًا مختلفة بالنسبة للمجتمعات التي تتواجد حولها عبر الزمن، وتكون على علاقةٍ مستمرةٍ ومتبادلةٍ مع التحولات التي تشهدها المجتمعات، هذا يعني أن

---

[133] Wilkinson, 1223.

[134] من المؤكد أن هناك العديد من الأدبيات السابقة التي توصلت إلى تأطيرٍ لمفهوم "البنية التحتية الزراعية"، لكن الباحثة لم تنجح في الوصول إلى أي من هذه الأدبيات حتى اللحظة، ولذا تبني الدراسة على تعريفات البنى التحتية بشكلٍ عامٍ، إضافةً إلى الأدبيات الفلسطينية التي تتحدث عن التكوينات المرتبطة بالزراعة، والمعرفة المحلية الفلسطينية والزيارات الميدانية، وأدبيات أخرى.

[135] عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على* أرضنا؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*.

[136] Toso, "Keeping the Road Clear between Us"; Paul Oliver, *Built to Meet Needs: Cultural Issues in Vernacular Architecture* (London: Routledge, 2006); Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape"; Al-Houdalieh and Ghadban, "Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and 'Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine"; Hammad and Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine"; Sayej, "The Origin of Terraces in the Central Hills of Palestine: Theories and Explanations."

[137] Daniel Plekhov, "The Social Dimensions of Water Management at Petra, Jordan," *Levant* 52, no. 3 (September 1, 2020): 321–36, https://doi.org/10.1080/00758914.2021.1879491.

[138] Plekhov.

فهم البنى التحتية الزراعية ودورها يساهم في فهم تاريخ هذه المجتمعات، ليس لمجرد أنها شهدت تحولات المجتمعات عبر الزمن، وإنما باعتبارها ساهمت في هذه التحولات في كثيرٍ من الأحيان.[139]

تبني هذه الدراسة على الأدبيات المختلفة حول البنى التحتية للوصول إلى تعريفٍ للبنية التحتية الزراعية. يبدو أن البنى التحتية الزراعية – شأنها شأن البنى التحتية الأخرى – مركزيةٌ بالنسبة للمجتمعات التي تنشئها، حيث أنها توفر الظروف المناسبة لنمط الحياة الزراعي، بالتالي تجعل وجود المجتمع الزراعي واستمراره أمرًا ممكنًا في المكان، وذلك من خلال توفيرها القاعدة المادية – الاجتماعية التي تسمح بالزراعة.[140] بشكلٍ عامٍ، ترى الأدبيات أن البنى التحتية هي تقنياتٌ كبيرةٌ ثابتةٌ منتشرةٌ كشبكةٍ على مستوى المشهد.[141] وبينما تعتبر الدراسة أن ذلك صحيحٌ في أغلب الأحيان، كما في حالة الطرق الزراعية والسناسل، فإنها ترى أن بعض البنيات قد تكون منفردةً أو صغيرة الحجم محدودة الانتشار، لكنها ذات طابعٍ مركزيٍ بالنسبة للمجتمعات، ما يستلزم إدراجها تحت تصنيف البنية التحتية الزراعية، مثال ذلك طواحين القمح محدودة الانتشار كبيرة الأهمية.[142] من ناحيةٍ أخرى، فإن الدراسة تتفق مع الأدبيات التي ترى اشتراط إنشاء البنى التحتية من قبل عدد أفرادٍ يفوق عدد أفراد المنزل الواحد، كما في حالة منشآت الماء المركزية، لكنها أيضًا تبني على الأدبيات التي تشير إلى احتمالية انضمام عناصر منفردةٍ لتكون معًا بنيةً تحتيةً، مثال ذلك المناطير والسناسل.[143] [144] هذا يعني إمكانية إدراج مجموعةٍ متشابهة من التقنيات المنشأة على مستوى المنزل ضمن نطاق البنية التحتية الزراعية، وذلك في حال تكرار هذه المنشآت وعملها بشكلٍ متناغمٍ. إن عمل هذه العناصر المنفردة معًا يعني تحقيق نوعٍ من الوحدة بين المنازل المختلفة، وهذا من خصائص البنية التحتية بشكلٍ عامٍ.[145] وبينما تتفق الدراسة مع (Wilkinson) في الفصل بين العمارة والبنية التحتية، فإنها ترى احتمال وجود منشآتٍ تعمل كعمارةٍ وبنيةٍ تحتيةٍ زراعيةٍ محليةٍ في آنٍ معًا، ولعل أكبر مثال على ذلك المناطير متعددة الوظائف.[146] ومن ناحية أخرى، في حين

---

[139] Plekhov.

[140] Plekhov; Edwards, “Infrastructure and Modernity,” 187–88.

[141] Smith, “Urban Infrastructure as Materialized Consensus,” 2; Larkin, “The Politics and Poetics of Infrastructure,” 328–29; Wilkinson, “Towards an Archaeological Theory of Infrastructure,” 1223.

[142] عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على* أرضنا.

[143] عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على* أرضنا؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*.

[144] Smith, “Urban Infrastructure as Materialized Consensus,” 2; Wilkinson, “Towards an Archaeological Theory of Infrastructure,” 1223.

[145] Wilkinson, “Towards an Archaeological Theory of Infrastructure,” 1221.

[146] Wilkinson, 1223.

ترى الأدبيات المختلفة أن البنى التحتية هي أنظمة عالية الدقة وفيها نوع من الاستقرار والتنظيم والثبات، فإن الدراسة تتجاوز هذا التصور وتتبنى التوجه الذي يعتقد بحيوية المكان والعلاقات البشرية — الطبيعية في المشهد.[147] [148]

البنية التحتية الزراعية، إذًا، هي تركيبات أو تكوينات من التقنيات المادية والعلاقات المتداخلة بشكل وثيق، والمرتبطة بوجود مجتمعٍ زراعيٍ في مكانيةٍ ما، وهي تكوينات حيوية مع الزمن، وعلى تفاعل مستمر مع المشهد الطبيعي والإنسان. يتمثل الجزء المادي من البنى التحتية الزراعية في أدواتٍ أو تقنياتٍ ثابتةٍ، لها دورٌ وظيفيٌ يخدم حاجاتٍ معينةً تمكن من الزراعة في المكانية، ويرتبط بها شبكات من العلاقات على مستويات مختلفة: علاقات متبادلة بين البنى التحتية الزراعية والمشهد الطبيعي، وبين البنى التحتية الزراعية والإنسان، وبين المشهد الطبيعي والإنسان. هذه العلاقات تجعل البنى التحتية الزراعية ديناميكية ومتفاعلة باستمرار مع المكان وعناصره ومع الإنسان عبر الزمن. إن هذه التكوينات المادية والعلائقية قد تطورت وتتطور مع التبدل المستمر على أنماط حياة المجتمعات وفهمها لمكان تواجدها بشكلٍ عميقٍ، وإدراك خصائص هذا المكان ومحددات الزراعة والوجود فيه، ومع التبدل في البنى التحتية نفسها نتيجة التأثر بالظروف الطبيعية والبشرية المحيطة بها. تشكل البنية التحتية الزراعية عمودًا فقريًا لا يمكن للمجتمعات الزراعية الاستمرار بدونه، ما يعني أن السمة الأساسية للبنية التحتية الزراعية هي سمة المركزية، وقد تنعكس هذه الخاصية المركزية في انتشار البنى التحتية الزراعية على مستوىً واسع في المشهد، أو في وجودها في منطقةٍ محصورةٍ مع كونها ذات أهميةٍ كبيرةٍ للمجتمع ككل، لدرجة أن الوجود بدونها غير ممكنٍ أو صعبٌ بالنسبة للمجتمعات الزراعية. من ناحية أخرى، فإن البنى التحتية الزراعية ترتبط بعددٍ كبيرٍ من الناس، سواءً أكانت منشأةً من قبل عدد أفرادٍ يفوق أفراد المنزل الواحد، أو كانت عناصر صغيرةً مكررةً تعمل بشكلٍ متجانسٍ على دعم المجتمع ووجوده في المكان. وإضافةً إلى ذلك، فإن البنى التحتية الزراعية المختلفة تعمل معًا بشكل متكامل، بمعنى أن أهميتها الجوهرية تأتي من تفاعلها مع البنى التحتية الزراعية الأخرى ومع المشهد الطبيعي والمجتمعات الزراعية، سواء أكان ذلك تفاعلًا مباشرًا أو غير مباشر.

[147] تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."

[148] Ingold, “The Temporality of the Landscape.”

صورة رقم (3): بنىً تحتية في سلواد. قصرٌ زراعيٌ كبيرٌ، بجانبه غرفةٌ صغيرةٌ ربما كانت لحجز الحيوانات (صيرة)، تظهر أيضًا مجموعة من السناسل الحجرية.

تصوير الباحثة، 18 كانون الثاني 2022.

صورة رقم (4): بئر جمعٍ وقصرٌ زراعيٌ في وادي العقدة – رام الله. تظهر منطقة جمع الماء مبلطةً في مقدمة الصورة، أما البئر فهو مغلق بحجرٍ غير منتظمٍ إلى يسار الساحة المبلطة، ويظهر قصرٌ زراعيٌ في الخلفية إلى اليمين. تظهر أيضًا بعض السناسل او بقاياها. تصوير عمر تسدال، 13 نيسان 2022.

تنوع البنى التحتية الزراعية

بناء على التعريف الأولي للبنى التحتية الزراعية، تستطيع الدراسة الادعاء بوجود تنوعٍ هائلٍ في البنى التحتية الزراعية في فلسطين. يمكن القول بأن هذا التنوع يأتي على مستويين: يتمثل المستوى الأول في تعدد أنواع البنى التحتية الزراعية، حيث تتحدث الأدبيات الفلسطينية عن الكثير من التكوينات التي يمكن لهذه الدراسة تصنيفها كبينة تحتيةٍ زراعيةٍ فلسطينيةٍ، من ذلك التركيبات المختلفة المرتبطة بحصاد الماء، والسدود وقنوات الماء والبرك ومخازن الماء الأخرى والآبار على اختلافها جميعًا، وهناك أيضًا المصاطب والسناسل الزراعية بأنواعها، والمناطير والعزبات وما شابهها، وصير حجز الحيوانات، والطرق الزراعية، ومعاصر الزيتون والنبيذ، والبيادر ومطاحن القمح،

على سبيل المثال لا الحصر.[149] [150] أما المستوى الثاني، فهو التنوع في النماذج التي تندرج تحت النوع الواحد من البنى التحتية الزراعية. فمثلًا، يشير شكري عراف وعمر حمدان إلى فروقات كبيرة بين أنواع الآبار المختلفة، وتتحدث سعاد العامري عن أنواع مختلفة من القصور الزراعية.[151] إن تفسير الأسباب وراء تنوع البنى التحتية الزراعية هو موضوعٌ كبيرٌ بحد ذاته، وربما يحتاج إلى دراسةٍ عميقةٍ لكافة الأنواع – بل وحتى كافة التكوينات المنفردة – والبحث في تاريخها المستمر ووظائفها والعلاقات وأنماط الوجود المرتبطة بها، وهذا بالطبع أكبر بكثيرٍ من نطاق هذه الدراسة. رغم ذلك، فإن معرفةً بسيطةً بالبنى التحتية الزراعية المحلية في فلسطين تشير إلى أن التنوع على المستوى الأول قد يأتي من تظافر جملةٍ من العوامل، من بينها التنوع الجغرافي والتنوع المناخي؛ وتتابع حضاراتٍ مختلفةٍ على أرض فلسطين، اختلفت ثقافاتها وظروف وحاجات وأنماط وجود كل واحدةٍ منها عبر الزمان وفي المكان، ناهيك عن التنوع على مستوى الحضارة الواحدة منها؛ ويضاف لذلك تنوع أنماط الزراعة والوجود الزراعي وأنواع المحاصيل. أما التنوع على المستوى الثاني، فلعله يأتي نتيجةً لاختلاف مكان وزمان إنتاج كل عنصر منفرد من البنية التحتية الزراعية، وما يرتبط بها من خصوصية الموقع (كاختلاف شكل الأرض وميلانها وصخورها وتربتها ونباتها ومناخها وغير ذلك)، وخصوصية الحاجة لذلك تكوين البنية التحتية المنفرد، وطبيعة المعرفة التي حملها مصمم البنية التحتية وبانيها، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي ارتبطت بهذا التكوين. وإلى جانب ذلك، فإن تنوع البنى التحتية واختلاف عنصر عن الآخر يأتي من تراكم طبقات مختلفة من أزمنة مختلفة على مستوى العنصر الواحد، حيث أن البنى التحتية الزراعية ديناميكية، بمعنى أنها ليست جامدة، وإنما على تفاعل مستمر مع المشهد الطبيعي والمجتمعات البشرية، وهذا يجعل أحوالها تتبدل مع الزمن.

---

[149] عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على* أرضنا؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*.

[150] Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape"; Al-Houdalieh and Ghadban, "Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and 'Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine"; Ackermann, Zhevelev, and Svoray, "Agricultural Systems and Terrace Pattern Distribution and Preservation along Climatic Gradient"; Evenari et al., *The Negev*; Shimon Gibson and Gershon Edelstein, "Investigating Jerusalem's Rural Landscape," *Levant* 17, no. 1 (January 1, 1985): 139–56, https://doi.org/10.1179/lev.1985.17.1.139; Zvi YD Ron, "Development and Management of Irrigation Systems in Mountain Regions of the Holy Land," *Transactions of the Institute of British Geographers*, 1985, 149–69.

[151] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*.

مجموعة صور رقم (5). بعض نماذج المناطير في منطقة الدراسة، العمود الأيمن في سلواد، واالعمود لأيسر في عين يبرود. تصوير الباحثة في تواريخ مختلفة.

نحو تصنيف أولي للبنى التحتية الزراعية

لما كان هناك تنوع في البنى التحتية الزراعية، كانت هناك ضرورة لتصنيف هذه الأنواع لتسهيل دراستها. في الحقيقة، يختلف التصنيف المحلي للبنى التحتية الزراعية عن التصنيف الأكاديمي، ما يستلزم الوقوف عليه وتوظيفه. على سبيل المثال، عند سؤال السيد فريد علوان (87 سنة) عن السناسل في الأودية، لم يرَ أنها تختلف عن السناسل الأخرى، واعتبر أن كل جدارٍ حجريٍ هو سنسلةٌ بصرف النظر عن وظيفته: " **نفس الإشي سنسال، اه سنسال، كله، وين ما رحتي سنسال**"[152] رغم ذلك فإنه ميّز في مكانٍ آخر بين أنواعٍ مختلفةٍ من الوظائف المرتبطة بهذه السناسل: "**وبقينا السناسل هذول يبنوهن، يبنوا سناسل، مثل ما تقولي، يلقوا الأرض، بعدين يبنوا سناسل عاليات، مثل ما تقولي، الواحد في عنده شوية غنم، خوف يطلعن والا يفقسن، وبعطي هيذ، عليهن من هان ومن هان، ويحطوا الغنم في جواهن**".[153] ويبدو أن طريقة السيد فريد علوان في التصنيف نابعةٌ من ارتباط هذه العناصر بحياته اليومية وإدراكه لوجود أمورٍ مشتركةٍ تجمعها – قد تكون الشكل أو مادة البناء أو أسلوب البناء أو حتى انتشارها الخطي في المشهد الزراعي — مع وجود اختلافاتٍ في نفس الوقت، وهي اختلافاتٌ وظيفيةٌ في هذه الحالة.

أكاديميًا، تصنف أغلب الدراسات الفلسطينية البنى التحتية الزراعية بناء على الوظيفة التقنية واستنادًا إلى المعرفة المحلية، وأحيانًا تضيف أبعادًا أخرى للتصنيف، مثال ذلك تصنيف العامري ورحال للقصور الزراعية بناء على المخطط المعماري.[154] [155] تبني هذه الدراسة على التصنيفات المحلية وتصنيفات الأدبيات الفلسطينية، لكنها أيضًا تستعير بعدًا آخر للتصنيف من عند (Wilkinson) الذي يميز بين أربعة أنواعٍ مختلفةٍ من البنى التحتية: البنية التحتية الثابتة (Static Infrastructure)، وهي الأنواع التي تخلق نوعًا من "الاستقرار والثباتية البيئية في منطقة هذا النظام مقارنةً مع محيطه؛" والبنى التحتية المرتبطة بالحركة (Circulatory Infrastructure)، التي " تسمح بحصول الحركة والتنقل عبرها أو فوقها، أو تسهل هذه الحركة؛" والبنية التحتية المحيطية (Bounding Infrastructure) المسؤولة عن منع الحركة أو إدراتها؛ والبنية التحتية التأشيرية (Signaling

---

[152] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

[153] فريد موسى علوان.

[154] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين.*

[155] Ghadban, “Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape”; Al-Houdalieh and Ghadban, “Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and ‘Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine.”

Infrastructure) التي تخدم وظيفة التواصل.[156] في الحقيقة، لا تعتقد الدراسة بوجود أي بنية تحتيةٍ زراعيةٍ تأشيريةٍ في فلسطين، غير أنها تعتقد بإمكانية إضافة صنفٍ رابعٍ مغايرٍ للتصنيف المذكور، وهو البنى التحتية الزراعية المعالجة/التحويلية، وتقصد الدراسة بذلك التكوينات المركزية في حياة المجتمعات الزراعية، والتي تخدم وظيفة تحويل المحصول من شكله الأولي إلى شكلٍ آخر أكثر ملاءمة للاستخدام البشري.

إن مسألة علاقة الزمان – المكان مهمة عند الحديث عن التصنيفات الأربعة. لذا، تبني الدراسة على النقاش حول زمانية ومكانية هذه التصنيفات في القسم التالي من هذه الدراسة، وتحاول التوسع فيها والوقوف على بعض أنواعها وتحليلها، خاصة فيما يرتبط بمسألة الحيوية الدائمة لهذه المكانيات، وطبيعة التفاعلات الطبيعية – البشرية المرتبطة بهذه التكوينات.[157] [158] من ناحية أخرى، هناك أهمية لدراسة طبيعة العلاقات البشرية المرتبطة بكل صنف من هذه البنى التحتية الزراعية، لكن هذه الدراسة أصغر من أن تتسع لتحليل علاقات اجتماعية معقدة ومتشابكة ارتبطت بكل أو بعض أو أحد هذه التكوينات، لذا تكتفي الدراسة هنا بالإشارة إلى أن الكثير من الدراسات الفلسطينية الهامة قد بحثت بشكل بسيط أو عميق في هذه المسألة. [159] [160]

[156] Wilkinson, “Towards an Archaeological Theory of Infrastructure,” 1223–35.
[157] Wilkinson, “Towards an Archaeological Theory of Infrastructure.”
[158] تسدال وآخرون، "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي."
[159] من بين ذلك: عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ عراف، *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*.
[160] Ghadban, “Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape”; Al-Houdalieh and Ghadban, “Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and ‘Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine.”

رسم توضيحي رقم (2): تصنيف البنى التحتية الزراعية. تصنيف المناطير من كتاب العامري ورحال، وتصنيف منشآت تخزين الماء من كتاب عمر حمدان.

بعض نماذج البنى التحتية الزراعية وديناميكياتها

البنى التحتية الزراعية الثابتة

هناك العديد من البنى التحتية الزراعية الثابتة في فلسطين، لعل أهمها السناسل التي تثبت التربة في مكانها – من بين عدة وظائف أخرى؛ والمناطير التي تعمل كبنيةٍ تحتيةٍ لتخزين المحصول وتوفير ارتياح بيئي للفلاح الفلسطيني ودرجة حرارة مناسبة لتخزين المحصول إلى جانب وظيفتها المعمارية المتمثلة بالسكن المؤقت؛ ومنشآت تخزين الماء على أشكالها المختلفة، والرجوم التي تعمل كمكان لجمع الحجارة الفائضة من الأرض.[161] [162] فيما يرتبط بحالة المشهد عبر الزمن، فإن الإنسان يوظف البنى التحتية الثابتة لمحاولة السيطرة على المادة و/ أو الطاقة وتثبيتهما –بطريقة أو بأخرى – في المكان عبر الزمن، بمعنى أن البنى التحتية الزراعية توفر ظرفًا للتفاعل بين الإنسان والمشهد الطبيعي أو بعض عناصره بهدف ضبط شيء ما في المشهد.[163] ولكن ما معنى ذلك؟ يمكن الاستعانة بالآبار التقليدية كنموذج للتوضيح.

توفر آبار الانجاصة التقليدية ثباتية معينة للماء، حيث أن الفلاح الفلسطيني تمكن بواسطة الآبار من حفظ مياه الأمطار التي تسقط شتاءً لفترة زمنية أطول.[164] [165] إن تخزين الماء في البئر يعني تمكن الفلاح من إدارة الماء على صعيدين: زماني ومكاني، أو بالأحرى، فإن تفاعل الفلاح الفلسيطني مع عناصر المشهد الطبيعي (كالصخر المحفور به البئر، والمساحة المخصصة لجمع الماء، والمواد الطبيعية المستخدمة للقصارة، والمطر) مكنه من تطويع المشهد لإدارة الماء زمانيًا ومكانيًا. زمانيًا، مكنت آبار الانجاصة الفلاح من تحويل الماء من حالة الحركة الدائمة عبر الزمن – من الغيوم إلى سطح التربة والصخر مرورًا بطبقات التربة ثم إلى المياه الجوفية أو إلى الأودية ذهابًا إلى مسطحات المياه السطحية – إلى حالة الحركة المؤقتة في مسارات صممها الفلاح نفسه لينقل الماء، ثم إلى وضع السكون في البئر، وبذلك تمكن من جعل الماء يبقى مدة أطول للاستغلال البشري، بدلًا من أن يذهب بانتهاء موسم المطر. مكانيًا، حصر الفلاح

---

[161] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ عراف: *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض.*

[162] Al-Houdalieh and Ghadban, "Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and 'Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine"; Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape."

[163] Wilkinson, "Towards an Archaeological Theory of Infrastructure," 1223–26.

[164] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين.*

[165] Mansour Abed al Zeez Shqairat, Fawzi Qasim Abudanh, and Saad Ahmed Twaissi, "Water Management and Rock-Cut Cisterns with Special Reference to the Region of Udhruh in Southern Jordan," 2010.

الفلسطيني الماء في مساحة صغيرة، فبدلًا من أن يتحرك هذا الماء في أجزاء كبيرة من المشهد الطبيعي – بفعل الجاذبية مثلًا أو التبخر أو امتصاص النباتات، مكنت كينونة البئر من حصر تواجد الماء في المكان الذي قرره الفلاح، أي البئر. ورغم أن البئر يوفر نوعًا من الثباتية، إلا أن ذلك لا يعني أن البئر نظام جامد أو ميت. بالعكس، فإن البئر تكوين حي، حيث أنه يتفاعل باستمرار مع الإنسان والمشهد الطبيعي، فمنسوب الماء داخل البئر يتغير بحسب الموسم زيادةً أو نقصانًا، أو قد يتسرب الماء في الصخر بفعل تشقق مواد البئر أو اقتراب جذور شجرة ما منه، ودرجة حرارة الماء تتبدل متأثرة بدرجة حرارة الأرض، وطبيعة النشاطات البشرية المرتبطة بالبئر تتبدل عبر الزمن الطويل بدءً من حفر البئر، وعلى الزمن القصير المرتبط بالمواسم؛ كعمليات "تعزيل" البئر، وعلى الزمن الأقصر المرتبط باليوم الواحد كأخذ الماء منه.[166]

[166] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا؛* حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين؛* زيارة ميدانية للآبار في وادي الدلب بتاريخ 7 كانون أول 2021؛ يوسف يعقوب، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة دانة مسعد وإشراق عواشرة (وادي الدلب 7 كانون أول 2021).

صورة رقم (6): بئر انجاصة في سلواد. تصوير الباحثة، 11 تشرين الثاني 2021.

البنى التحتية المرتبطة بالحركة

كما يشير العنوان، فإن البنى التحتية المرتبطة بالحركة تسمح بحدوث حركة المادة والطاقة فوقها أو عبرها، ولدرجة ما، يمكن اعتبارها " كيانات تبقى ثابتة لتسمح بحركة غيرها،" لكن هذا ليس دقيقًا جدًا كما تبين الأسطر اللاحقة.[167] إن الكثير من التكوينات التي أنشأها الفلاح الفلسطيني في المشهد الزراعي الإيكولوجي تندرج تحت تصنيف البنى التحتية المرتبطة بالحركة، مثال ذلك الطرق الزراعية وقنوات نقل الماء بأشكالها المختلفة، وتأخذ هذه الدراسة قنوات الماء كنموذج للتحليل.[168] [169]

تنتشر قنوات الماء بأشكالها المختلفة في فلسطين، وتكون إما محفورةً في الصخر أو مبنيةً من الحجارة أو غيرها من المواد، وتشكل واحدةً من بين عدة بنىً تحتيةٍ زراعيةٍ مرتبطةٍ بنقل الماء من نقطة إلى أخرى، وقد تكون جزءً من تكوينات أكبر كبنيات حصاد الماء، أو قد توظَّف لنقل الماء من العيون إلى مواقع أخرى كالمصاطب الزراعية، وربما تعمل بشكلٍ مرافقٍ لبنىً تحتيةٍ أخرى كطواحين القمح، وتأتي أهمية قنوات الماء للمجتمعات الزراعية من حقيقة أنها تنقل الماء إلى المواقع التي يحتاج الفلاح وجود الماء فيها، سواء أكان للاستخدام المباشر للإنسان، أو لري المحصول وسقي الماشية، أو لمعالجة المحصول الزراعي.[170] [171]

بينت الدراسة أن كافة أصناف البنى التحتية الزراعية هي كيانات ديناميكية وحيوية في الزمان والمكان، وأنها ليست ثابتة، إنما تشكلها التفاعلات البشرية – المشهدية، أيضًا فإنها تتشكل من هذه التفاعلات. فيما يتعلق بقنوات الماء ومسألة الزمان والمكان، من الممكن الحديث عن عدة مستويات. إن إنشاء الفلاح لقنوات الماء يعني أنه يحصر الماء في مسارات يقررها الإنسان بدلًا من أن يسير الماء بشكل طبيعي في المشهد، فقناة الماء المرتبطة بعين المجور في وادي الدلب، مثلًا، تجعل الماء يسير من العين إلى الخزان في خط محدد

---

[167] Wilkinson, "Towards an Archaeological Theory of Infrastructure."

[168] حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين؛ عراف: القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض.*

[169] Suad Amiry, *Peasant Architecture in Palestine : Space, Kinship and Gender* (Ramallah: Riwaq--Centre for Architectural Conservation, 2017).

[170] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*، 33-37؛ 80-90.

[171] Ron, "Development and Management of Irrigation Systems in Mountain Regions of the Holy Land"; Sabina Asins, "Linking Historical Mediterranean Terraces with Catchment, Harvesting and Distribution Structures," *The Archeology of Crop and Gardens*, January 1, 2006, 21–40.

بدلًا من أن ينتشر بشكل عشوائي عند نزوله من العين، وبذلك يقلل مساحة الأرض التي كانت سابقًا مصبًا للعين، ثم يستغلها للزراعة.[172] من ناحية أخرى، فإن الفلاح بإنشائه للقنوات يقرر إلى أين تذهب المياه، سواء إلى البئر أو الطاحونة أو البحر أو غيرها، بذلك فإنه يدير تواجد الماء في المشهد الطبيعي. زمانيًا، تساهم القنوات في جعل حركة الماء أسرع إلى وجهتها، فالقنوات شبه مفرغة من المعيقات المادية التي تبطئ حركة الماء، كالنباتات والحجارة.

إن البنى التحتية المرتبطة بالحركة تحدد مسارات الحركة وموقع السكون في المكان، وتسرع الحركة في الزمان، هذا يعني أنها تكوينات ديناميكية باعتبارها تساهم في التكوين الدائم للمشهد الطبيعي. ولكن هل هي حقًا كينونات جامدة بحد ذاتها لتسمح بحركة غيرها؟ يمكن الاستعانة بقنوات الماء للإجابة. ظاهريًا، قد تبدو قنوات الماء ثابتة مع الزمن، لكن النظر بعمق يبين أن قنوات الماء تنمو وتتضاءل باستمرار، فقد تُهدم أجزاء من قناة الوادي لو زادت كمية المياه عن المتوقع أو إذا حدثت هزة أرضية مثلًا، ما يستلزم من الفلاحين ترميم الأجزاء المهدومة، أما قناة عين الماء فقد تحتاج إلى قصارة جديدة مع الزمن، أو تغيير المسار والتوسعة لتملأ خزان ماء جديد، وهذا استلزم إشراف الفلاح الفلسطيني على البنى التحتية الزراعية باستمرار، ما يعني أن قنوات الماء حية وتنمو باستمرار نتيجة التفاعل مع الظروف الطبيعية والبشرية المحيطة بها.

[172] زيارة ميدانية إلى وادي الدلب، 8 كانون الثاني 2022.

صورة رقم (7): تظهر قنوات قصيرة محفورة في الصخر، تستخدم لنقل الماء إلى بئر جمع وإلى مقر محفورين في الصخر. الصورة من خربة التل بين سنجل والمزرعة الشرقية. تصوير الباحثة، 30 آذار 2022.

صورة رقم (8): تظهر قناة مبنية من الحجارة، وأرضيتها مقصورة، تستخدم لنقل الماء من عين المجور إلى خزان ماءٍ مفتوحٍ محفورٍ في الصخر. الصورة في منطقة عين المجور في وادي الدلب. تصوير الباحثة، 8 كانون الثاني 2022.

صورة رقم (9): تحويل أجزاء من وادي الدلب إلى قناةٍ لنقل الماء، وهي محاطة بسناسل حجريةٍ. الصورة في منطقة عين المجور في وادي الدلب. تصوير الباحثة، 8 كانون الثاني 2022.

صورة رقم (10): بقايا قناةٍ لنقل الماء من عين سامية إلى طاحونة قمح (تظهر بقاياها إلى يمين وسط الصورة)، وهي محاطة بسناسل حجريةٍ. الصورة في منطقة عين سامية. تصوير الباحثة، 24 تشرين أول 2022.

البنى التحتية الزراعية المحيطية

ترتبط البنى التحتية المحيطية بإدارة التواجد في المكان عبر الزمن، فتسمح أو لا تسمح بوجود الأشخاص والأشياء في المكان، وتحدد من يمكن له أن يتواجد ومتى.[173] من بين البنى التحتية الزراعية المحيطية في فلسطين، يمكن الحديث عن السناسل المحيطة بالأراضي الزراعية والطرق، والسناسل المستخدمة لحجز الحيوانات، حيث تشير الأدبيات الفلسطينية إلى أن السناسل ليست دائمًا لمنع الانجراف، وإنما

[173] Wilkinson, "Towards an Archaeological Theory of Infrastructure," 1230–34.

قد تخدم وظائف تحديد المسارات أو تحديد الملكية أو حصر الحيوانات في مكان محدد، وتركز الدراسة هنا على السناسل المحيطية كنموذج للتحليل.[174]

تتميز السناسل المحيطة بالأراضي الزراعية باتجاهها المعاكس لخطوط الكنتور، وذلك خلافًا للسناسل التي تمنع انجراف التربة، حيث أن الهدف منها ليس حمل وزن التربة وإنما التسييج بأنواعه.[175] تنتشر السناسل المحيطية كشبكة ممتدة على مستوى كبير من مشهد فلسطين، وتخدم عدة وظائف، من بينها منع دخول الحيوانات إلى الأراضي المزروعة وتعريف حدود الملكية.[176] تمثل هذه السناسل كيانات وظفها الفلاح الفلسطيني لضبط التواجد في المكان، حيث تشكل السناسل الحدودية عائقًا ماديًا يصعّب الدخول إلى الأرض الزراعية إلا عبر فتحات محددة، ما يعني أن الفلاح يقرر من (وما) يمكن أن يدخل إلى الحيز ومن أين يدخل. من ناحية أخرى، فإن السناسل المحيطية تضبط التواجد في الحيز عبر الزمن. مثال ذلك فتح بوابة (أو أي عائق مادي آخر) السنسلة الحدودية ليسمح الفلاح بمرور الأشخاص أو الحيوانات حين يرغب هو بذلك. إن هذه الإدارة للحيز ولطبيعة التواجد فيه عبر الزمن تخدم وظيفة حماية الأرض من الحيوانات إلى جانب تعريف الملكية كما بينت المقابلات الشفوية.[177]

تأتي ديناميكية السناسل المحيطية من دورها في تنظيم تواجد الإنسان والحيوان في المشهد، أي تنظيم التفاعلات مع أجزاء من المشهد الطبيعي. ولكن هل السناسل المحيطية بحد ذاتها بنيات جامدة؟ بشكل مشابه للبنى التحتية المرتبطة بالحركة، قد تبدو السناسل المحيطية وغيرها من البنى التحتية الزراعية المحيطية عناصر ثابتة في المشهد، لكنها ليست كذلك. فمثلًا، قد تنهار أجزاء من السناسل المحيطية بسبب الثلوج أو الزلازل أو محاولة إنسان أو حيوان ما تجاوز حدود السنسلة، ما يستلزم صيانتها في أقرب وقت ممكن. من ناحية أخرى، قد يزيد الفلاح من حدة تنظيم الدخول إلى أرضه أو يقلل ذلك بحسب الموسم ونوع المزروعات. على سبيل المثال، يشير السيد فريد علوان (87 سنة) إلى اللجوء إلى وضع الحطب أحيانًا فوق السناسل كنوع من الحماية الإضافية للمزروعات: " **بقوا يحطوا حطب**

---

[174] *عراف: القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض؛* العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين.*

[175] Jennifer Moody and AT Grove, "Terraces and Enclosure Walls in the Cretan Landscape" (Man's Role in the Shaping of the Eastern Mediterranean Landscape: Proceedings of the Symposium on the Impact of Ancient Man on the Landscape of the E Med Region & the Near East: Groningen, March 1989, CRC Press, 1990), 183.

[176] Moody and Grove, 184.

[177] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 4 كانون الثاني 2022)؛ فظية يحيى سالم، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 15 تشرين ثاني 2021)؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1؛ أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 28 تشرين ثاني 2021)؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 12 كانون الثاني 2022).

فوق السنسلة، مشان الواحد عنده أرض، وبغدى زارع فيها زراعة، بيجين الغنم، الحيوانات، بدخلن فيها عن السنسال، شايفة، بس لما يقبى في حطب عالي، الغنم بطحنش عالأرض يخربنها."[178] بهذا المعنى، فإن السناسل المحيطية دائمة التكون مع الزمن، وتتبدل أحوالها إثر التفاعل المباشر مع المشهد الطبيعي والإنسان.

صورة رقم (11): سنسلة محيطية (وسط الصورة ونزولًا إلى أسفل الصورة) تظهر بعكس اتجاه خطوط الكنتور في عين يبرود، نلاحظ تدهور حالة السنسلة وأن الأراضي على طرفيها غير مزروعة. تصوير الباحثة، 18 أيلول 2021.

[178] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

صورة رقم (12): سنسلة محيطية في عين قينيا، يظهر باب لإدارة الحركة في المكان. تصوير الباحثة، 20 شباط 2022.

البنى التحتية الزراعية التحويلية

رأت الدراسة أن تضيف هذا الصنف إلى الأنواع الثلاثة الأخرى من البنى التحتية الزراعية، واعتبرت أنه يشتمل على التكوينات التي يستخدمها الفلاح الفلسطيني لتحويل المحصول الزراعي من شكل إلى آخر، كالبيادر ومطاحن القمح ومعاصر الزيت والنبيذ، وربما يمكن توسيع هذا المفهوم ليشمل أيضًا الكبارة (اللتون) التي حولت الحجارة إلى شيد استخدمه الفلاحون لبناء بيوتهم.[179] وللتوسع في هذا الصنف، تأخذ الدراسة البيدر كنموذج لتحليل ديناميكية البنى التحتية الزراعية التحويلية. لقد كان البيدر عنصرًا مهمًا للوجود

[179] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ *عراف: القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض.*

الزراعي الفلسطيني المعتمد بشكل كبير على زراعة مساحاتٍ كبيرةٍ بالقمح والشعير، حيث أنه مكن من معالجة كميات محاصيل كبيرة للحصول على الطحين المغذي للإنسان والتبن المغذي للحيوان.[180] وظيفيًا، يتحدث شكري عراف عن البيدر باعتباره حيزًا لدرس المحصول وتذريته بهدف إخراج الحب من السنابل، وهو عنصر مركزيٌ للقرية كما يذكر عراف، أو قد يكون هناك عدة بيادر في القرية الواحدة.[181]

فيما يرتبط بتحليل حيوية البيدر المكانية، يمكن القول بأن البيدر حيز صغير المساحة نسبيًا، ولكن أهميته تأتي من استقباله المحاصيل من مساحات كبيرة من المشهد الزراعي الإيكولوجي، بمعنى أنه حيز تكثيف وتركيز. أما فيما يرتبط بالزمن، فإن البيدر كيان يسمح بالسكون والحركة في الزمن: السكون يتمثل في المحاصيل التي تنتظر المعالجة، والحركة حركة المحاصيل بشكل مكثف أثناء المعالجة بعد موسم الحصاد. من ناحية أخرى، فإن البيدر يشكل نقطة لا بد للمحاصيل أن تمر منها بعد حصادها، وتمكث هناك، ثم تعود لتتوزع على أجزاء القرية المختلفة، هذه الحركة هي نوع من التفاعل المكاني والزماني، وهي تفاعل مؤقت أو مرحلي. بهذا المعنى، فإن البنى التحتية التحويلية هي كيانات ديناميكية نظرًا لأنها تلعب دور التركيز والتكثيف والسكون والحركة في المكان المحصور، ثم التشتيت في المشهد الأوسع، كل ذلك في مرحلة زمنية قصيرة، لكنها مليئة بالتفاعلات السريعة. وإلى جانب دور البيدر في حيوية المشهد، فإن البيدر نفسه حي أيضًا، فأرضيته تتعرض للخراب أو الأوساخ أحيانًا ما يستلزم صيانته أو تنظيفه، وكمية ونوعية المحاصيل والأشخاص والحيوانات الموجودة فوقه تتغير حسب المواسم وحسب الوقت من النهار، وطبيعة النشاطات المرتبطة به تتغير كذلك الأمر.

[180] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*، 17-43.
[181] عراف.

صورة رقم (13): بيدرٌ أثناء درس محصول القمح، من الواضح الدور المركزي للبيدر بالنسبة للمجتمع الزراعي الفلسطيني زمن التقاط الصورة. الصورة من مجموعة ماتسون، وتعود للفترة بين 1898 – 1946. المصدر: أرشيف مكتبة الكونجرس. رابط الصورة هنا.

البنى التحتية تكوينات حيوية مترابطة

عالجت الجزئية السابقة من الدراسة حيوية البنية التحتية الواحدة وديناميكيتها في المكان والزمان، وعلاقتها الحية مع المشهد الطبيعي والإنسان، لكنها لم تأت على مسألة التكوين الأشمل لمشاهد البنى التحتية الزراعية في المكان وعبر الزمن، وحيوية البنى التحتية ككل، وترابطها معًا، وهذا ما تحاول هذه الجزئية من الدراسة فحصه وتحليله.

يمكن القول بأن تجارب الإنسان في المشهد الطبيعي ومعرفته بالمشهد، وإدراكه لوجود حاجات عديدة عليه أن يتعامل معها ليتمكن من الزراعة، قد أدت به إلى وضع (أو زرع) العديد من البنى التحتية الزراعية في المشهد الطبيعي، وقد كانت هذه العملية تجريبية وتراكمية عبر الزمن، نتيجة تطور المعارف المحلية وتبدل الحاجات، وبسبب طبيعة البنى التحتية الزراعية الديناميكية.[182] [183] ربما نستطيع النظر إلى البنى التحتية الزراعية على أنها أدوات استخدمها الإنسان ليخلق أشكالًا جديدة من التفاعلات في المشهد ومعه، هذه التفاعلات هدفها الأول جعل المشهد أكثر ملاءمة للوجود الزراعي على هذه الأرض، وكلما تطورت المعارف والبنى التحتية الزراعية، وزادت عناصر البنى التحتية بأنواعها في المشهد، كلما أصبح المشهد أكثر ملاءمة لوجود الإنسان الزراعي. إن أهمية البنية التحتية الزراعية لا تأتي من مجرد توظيف البئر لتخزين لماء، أو السنسلة لمنع انجراف التربة، ولكن من الدور الذي تلعبه التركيبة المترابطة من البنى التحتية الزراعية في جعل الزراعة أكثر إمكانية، وأسهل، وأكثر إنتاجية. بهذا المعنى، فإن الدور المركزي للبنية التحتية الزراعية يأتي من عمل الوحدات المختلفة معًا بشكل متكامل على دعم الوجود الزراعي، سواء أكان عملها معًا واضحًا مباشرًا أو أقل وضوحًا. على سبيل المثال، يمكن بسهولة إدراك العلاقة الوثيقة بين قناة ماء في الوادي وطاحونة قمح تعمل بقوة الماء، فالقناة تنقل الماء الذي يحرك الطاحونة. العلاقة بين السنسلة ومعصرة الزيت أيضًا علاقة متينة، لكنها أقل وضوحًا، ويمكن إجمالها بحقيقة أن السنسلة تحمي التربة من الانجراف، ما يسمح لشجرة الزيتون بالاستمرار في الحياة وإعطاء الكثير من الثمار، وهذه الثمار تذهب إلى المعصرة التي تساعد في استخراج الزيت. أما العلاقة بين بئر الجمع ومعصرة الزيت، فقد تبدو غير واضحة، لكن ما يمكن قوله هو أن كلا التكوينين يعملان معًا ومع التكوينات الأخرى على توفير الظروف اللازمة للوجود الزراعي. إن عمل البنى التحتية الزراعية معًا ومع المشهد والإنسان يجعلها عالية الأهمية للوجود الزراعي على هذه الأرض. من ناحية أخرى، فإن حيوية البنية التحتية الزراعية وقدرتها على التكون المستمر تجعلها ذات قوة، فمن السهل توسعة البنية التحتية لو لزم الأمر، ولو تعطل عنصر واحد أو جزء من تركيب أكبر، فلن تتعطل تكوينة البنية التحتية الزراعية ككل، ولن تنهار الزراعة، ولا المجتمع الزراعي.

---

[182] يبين الفصل الثالث أن السناسل طبقات متراكمة من أزمنة مختلفة، ويبين الفصل الرابع العلاقة الوثيقة بين نمو السناسل والمناطير.

[183] يتحدث شكري عراف عن أن علاقة الفلسطيني بالأرض كانت علاقة "محب ومجرّب." عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*.

أرض السيدة زينب: نموذج على حيوية وترابط البنى التحتية الزراعية والمشهد الطبيعي

" أرضنا، بقا فيها عد، لليوم ولبكرة فيها عد مية، اااه، في كرم، عد مية، وفي عيون كبار، وبرك، اتطيح المية فيهن، بقوا الناس ييجوا يسبحوا فيها، إللي رعيان إشي، ونعزب، اااه... نقول العين الكبيرة، والعين الزغيرة، أكبر عين تقبى، عسوى حكورة أبويا، تقبى نقولها الحكورة العين الكبيرة، واللي منها وشامة العين الزغيرة، واللي منها وكبلة، نقول العين الكبلاوية، الكبلية، اللي من كبلة، انقول الكبلية... بكوا الكبار... الكبار الختيارية، تقولي امي، وابويا، وعمي ومرت عمي... يعزبوا هناك، للخظرا يعني يسقوها ونبحشها، إحنا نروّح والصبح نروح هناك، كل يوم الصبح، الصبح نروح، المغرب نروّح، اه... الكبار يناموا، في عريش كبير تقولي عرشان، كل عيلة تنام في، قصر... انعزب هناك، ونوكل ونزرع، وكل اشي، نقطع من الحكورة ونطلع عالسكيفة، نطبخ ونتدغى، كل العيال. والعنب، العنب نقطعه... والختيارية حماتي وإمي وأبويا، يفغصوا العنب، في ايديهم، وينظفوه، ويطبخوه عالنار، العنب، اه، كل جرة نسوي هلكدي توخذ تنكتين، دبس... [العيون] إلنا، أبويا وعمامي... إحنا أهل العين الوسطة، والحكورة الوسطة، وعمي، واحد في العين الشامية، وعمي الثاني عالعين الكبلية، بس احنا حكورتنا في الوسط، والعين الكبيرة عسوى حكورتنا، اه. عمي، تقبى حكورته من تلا شامة والعين، بس من العيون الثلاث، من العيون الثلاث، نسكي الحواكير، دورية يعني، كل واحد يستلم المية جمعة، اااه، نسكي الفصوليا والفجل... نزرع هالأرض خضرا، في الحكورة، المي اتطيح عليها بتسكيها، بنسكيها إحنا، بنسكيها بنسكر العين، واللي الدور إله بروح يفتحها ويسكيها، وإشي بحسر... نزرع بندورة في البستان، وخيار، وفصوليا، ونجاص، وتفاح... بعدينش قرع، كوسا، يعني، خظار، وفيها شجر تفاح، انجاص، اه، وبعدينش نزرع الثومة، البصل... بكينا نبيعها نحطها، نطيحها عالسوق، نروح عراماالله، نقطعها كبل بيوم، مهو هول... كياس أبو خط احمر... نملي كياس، فصوليا، فصوليا توكليها نية زي الخيار، تكبى عالمية، نبحش، ونعشب، ونسكي، وبندورة نبيعها، والبصل نبيعه، والبطاطا هذيكا خليك عنها، البطاطا، بنقطعها، في سكيفة إلنا كبيرة، امليها انكلعها، ميعاد تكليعها ها، نكلعها في وقتها، ونحطها في هاللوظة تحت هالقصر، بعدين اللي بده ييجي يوخذ بطاطا من هناك، واحنا صيبتنا، نوكل يعني، بكيناش نشتري، انبيع، ونوكل، نوكل منها، ونبيع... ومنها ونازل، هالبساتين، هالجسورة، نزرع كمح، نزرع شعير، عدس، في أرضنا يعني، الخظرا والعدس وكل إشي في أرضنا، نازل، تحت البستان، نزرع شجر، برقوق، بنجر، يقطع اهله محسنه، يصحلنا حبة منه اليوم هالبنجر، واللهي بكينا نحمّل التركات، نحمّل التركات بنجر، وبرقوق يا حبيبتي، وعنب، أرضنا تبقى... بتيجي هييت هناك، هيني ببحر وبتقهّر، منا وجاي، هي حطوا اليهود فيها... مش وقت محتلونا، بعد ما احتلونا بوبيين، بكينا نروح اشي نجيب خظرا انقطع خظرا، صرنا نخاف نروح هناكا، ونطوّل، صرنا نروح نقطع خظرا، تفاح، فصوليا، بندورة، انحمل روسنا ونروّح، أنا وبنات عمي، ونجري جري جري خوف منهم، بقوا يلاقونا، بقوا ييجوا علينا ميحكوش... باكيين جايين يبحروا،

تيشوفوا هالدنيا المليحة كيف بدنا نوخذها، وأخذوها... والله مبتلي الجميع، فتحوا طريق... من غربا، تجابوها تحت بستاننا، بين البستان وبين الحكورة اللي فيها الزتون، ااه، وبتلف أخرى لفة داير ميدور عالجبل... عكبره، وبعدين صاروا يختاروا، مترح مبدهم، يفتحوا طريق... واللهي بحكي معاك يوم ييجي عبالي كلبي بتحسر، عالخظرا اللي فيه، عالفجل، على الإشي، وراح منا راح، طرونا منه، وعين البركة، برك ثلاث فيها مية... الزتون اخسرناه، والخظرا اخسرناها، والأرض المفتلح، فيها، القمح، العدس، الشعير، الحمص، اخسرناه، راح علينا، شو نسوي، شو نسوي."[184]

رأت الدراسة أن تعطي لرواية السيدة زينب شحادة (86 سنة) مساحة كبيرة في هذا الفصل، لأنها تجسد معاني السلب؛ سلب الأرض وسلب البنية التحتية الزراعية وسلب التفاعل مع المشهد الطبيعي وسلب المعرفة، ولأنها أيضًا تعبر عن تفاعلات كبيرة بين السيدة زينب والمشهد الطبيعي، وهي تفاعلات مرتبطة بوجود البنى التحتية الزراعية، ولأنها تبين الكيفية التي تهيئ فيها البنى التحتية الزراعية الظروف للوجود الزراعي، وتعطي صورة عن ترابط البنى التحتية الزراعية وعملها معًا. كانت عيون الماء تجمع عائلة السيدة زينب الممتدة في بساتين الخضار المروية في منطقة المزراب إلى الغرب من عين يبرود، وإلى جانب زراعة الخضار المروية، تحدثت السيدة زينب عن زراعة عائلتها لأشجار الفاكهة والزيتون والحبوب بأنواعها، لكن هذا قد انتهى مع الاستيلاء الاستعماري على الأرض. في هذه الرواية المليئة بالحسرة، هناك حديثٌ عن تفاعلات عديدة بين البنى التحتية الزراعية والإنسان والمشهد الطبيعي، هذه التفاعلات سبق وأن خلقت نمط حياةٍ فريدٍ لعائلة السيدة زينب، وهو نمطٌ مرتبطٌ بخصوصية وجود عيون الماء في هذه البقعة الجغرافية المحددة.

ليس لدى الدراسة وصفٌ دقيقٌ لطبيعة الأرض والعلاقات المادية – البشرية التي ارتبطت بأرض السيدة زينب، لكن ما تعرفه الدراسة هو وجود شبكات عديدة من العلاقات في هذه الأرض، فالماء ينزل من ثلاث عيونٍ إلى بركٍ يبدو أنها لتجميع الماء إلى حين استخدامها للري، كما أنه من الواضح وجود تكوين معينٍ للري – وربما نوع من القنوات – يبدأ "بفتح العين" مرورًا بالري وانتهاءً

[184] زينب شحادة شحادة، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة بمساعدة السيدة سوزان شحادة (عبر الهاتف: 3 شباط 2022).

"بتسكير العين" إلى أن يحل دور الراوي التالي.[185] وعلى ما يبدو، كانت حقوق الري من العيون الثلاثة مقتصرةً على والد السيدة زينب وعمّيها، ولكن أشخاصًا آخرين (كالرعيان) كانوا أيضًا يستخدمون الماء لحاجاتهم. وإضافةً إلى وجود البرك وتكوين مرتبط بالري، هناك بنىً تحتيةٌ زراعيةٌ أخرى، من بينها القصور وغرفةٌ تابعةٌ لها لتخزين المحصول والسكن المؤقت في الأرض. وإلى جانب هذه البنى التحتية الزراعية، فمن المؤكد أن هذا التكوين الزراعي اعتمد على مصاطب زراعيةٍ وسناسل حجريةٍ، نظرًا لوجوده في منطقةٍ منحدرةٍ في جبل المزراب، ومن المؤكد تنوع هذه السناسل واختلاف سناسل أرض الزراعة المروية عن أرض الزراعة البعلية، وتنوع البنى التحتية الأخرى في الموقع. من ناحية أخرى، لا بد من أن هذه التكوينات في أرض السيدة زينب قد ارتبطت ببنى تحتية أخرى وبالمشهد الزراعي الإيكولوجي الأوسع، فالقمح والعدس وغيرها من الحبوب عليها أن تذهب إلى لبيدر لمعالجتها، ولا بد للزيتون من الانتقال إلى المعصرة لإخراج الزيت، وربما صُنع الشيد الذي يغطي أسطح البركة (لمنع تسرب الماء) في الكبّارة، ورحلة الذهاب والإياب إلى الأرض ومنها هي رحلة عبر العديد من الطرق الزراعية، وتنظيف الأرض من الحجارة الزائدة ربما استلزم رجمًا يجمع هذه الحجارة. إن هذه العلاقات بين البنى التحتية الزراعية المختلفة، وبين الإنسان والمشهد الطبيعي، وبين البنى التحتية والمشهد، هي علاقات مركبة وكثيرة التشعبات، وتمتد لتشمل الكثير من الأشخاص والأشياء المنتشرة في مساحة كبيرة من المشهد الطبيعي، فهذه الشبكات من العلاقات كانت تمتد إلى رام الله أو أبعد من ذلك.

سلب الاستعمار الاستيطاني الصهيوني أرض السيدة زينب لصالح مستعمرة بيت إيل، وسلب معها نمط الوجود الزراعي المرتبط بهذه الأرض والعيون.[186] في الحقيقة، فإن رواية السيدة زينب تطرح قضيةً مهمةً، وهي قضية المعرفة المحلية المرتبطة بالزراعة في البيئات المحلية المتنوعة في قريةٍ صغيرةٍ من قرى فلسطين، هي قرية عين يبرود. لقد شكلت أرض السيدة زينب نموذجًا واضحًا على ماضٍ زراعيٍ عالي التنوع في فلسطين، وعلاقات معقدة في المشهد الزراعي الإيكولوجي، ومعارف محليةٍ كانت تنمو وتتكيف مع الحاجات المستجدة التي تفرضها الظروف المحيطة، لكن الاستعمار جعل ذلك في مرحلةٍ خطرةٍ من التراجع والضياع، فقد كانت السيدة زينب يومًا ما تمارس الزراعة بأشكالها المختلفة في أرضها، وكانت تحمل المعرفة بتفاصيل النبات والأرض وما عليها، وتفاصيل البنى التحتية الزراعية ومبدأ عملها، لكن سلب الأرض منها يعني أن هذه المعرفة بقيت جامدةً وموجودةً في ذاكرتها هي فقط، ولم تنتقل إلى أبنائها أو أحفادها،

[185] كانت مقابلة السيدة زينب قصيرة ولم تكف لنقاش أكثر وضوحًا عن أرضها، وحاولت الباحثة الحديث مع السيدة زينب عدة مرات بعدها، إلا أن ذلك لم ينجح لظروفها الصحية وأسباب أخرى.

[186] يُنظر الملحق رقم (1) لقراءة التحولات على مشهد أرض السيدة زينب.

بل ولم تتكيف مع المستجدات المرتبطة بزراعة هذه الأرض منذ لحظة سلبها (كأثر تغير المناخ على مستويات الماء في العيون، أو أمراض النبات المستجدة، أو متطلبات السوق). بهذا المعنى، فإن السلب ليس مجرد سلب الأرض، وإنما سلب نمط الوجود، وسلب المعرفة عن طريق تجميدها في زمانٍ ما وفي ذاكرة جيلٍ فارق أغلبه الحياة لسوء الحظ. إن عيون الماء الثلاثة لا زالت موجودة، بل وستبقى الأرض والعيون موجودةً في المستقبل: **"لليوم ولبكرة فيها عد مية،"** ولكن هل ستبقى المعرفة بتوظيف هذه العيون موجودةً للمستقبل إن لم تنقل السيدة زينب المعرفة النظرية والعملية بهذه العيون إلى الأجيال اللاحقة؟

خارطة رقم (5): الموقع المتوقع لأرض السيدة زينب بناءً على روايتها (لصورة أقرب وفهم التحولات يمكن الرجوع للملحق رقم (1)). الصورة الجوية لعام 2021 من موقع جيومولج.

حاضر البنى التحتية الزراعية

لا شك في أن حالة البنى التحتية الزراعية ومساحة انتشارها ودورها الزراعي في تراجع الآن، نتيجة تراجع الزراعة والتحولات على العمالة، ونتيجة السلب الاستعماري للأرض —كما بينت رواية السيدة زينب – وإقامة المشاهد الاستعمارية، ونتيجة التوسع العمراني الفلسطيني وغيرها، وقد تحدثت العديد من الأدبيات الفلسطينية عن هذه المسألة.[187] [188] إن تراجع حالة البنى التحتية الزراعية وتراجع مساحة انتشارها وتراجع دورها هي مسائل جديرة بالدراسة بكل تأكيد، لكن الدراسة ترى أن هناك العديد من القضايا الإشكالية الأخرى فيما يتعلق بتراجع البنى التحتية الزراعية، من بين ذلك تراجع تنوع البنى التحتية الزراعية وحيويتها والمعرفة بها، وهذا ما تحاول هذه الجزئية من الدراسة نقاشه.[189]

بينت الدراسة في قسم سابق من هذا الفصل أن تنوع البنى التحتية الزراعية يأتي على مستويين: مستوى أنواع البنى التحتية الزراعية، ومستوى النماذج التي تندرج تحت النوع الواحد من البنى التحتية الزراعية. في الحقيقة، فإن المستويين في تراجع ملحوظ مع الزمن. على المستوى الأول، هناك العديد من أنواع البنى التحتية الزراعية التي فقدت دورها الزراعي مع الزمن، كالمناطير، وهناك أنواع أخرى بدأت تختفي من المشهد الفلسطيني أو أصبحت مجرد آثار، كالبيادر والمعاصر على الترتيب.[190] أما على صعيد المستوى الثاني، فإن نماذج البنى التحتية الزراعية التي تندرج تحت النوع الواحد في تراجع ملحوظ. على سبيل المثال، بينت المقابلات الشفوية أن تصميم السناسل قديمًا كان يختلف باختلاف الموقع الجغرافي ونوع الحجارة وطبيعة استخدام السنسلة وطبيعة الأدوات المتوفرة ودرجة خبرة الباني وأسلوب البناء وغيرها.[191] أما اليوم، فإن هناك توجهًا نحو توحيد السناسل، وهو توجه مدفوع بوجود الآلة الثقيلة والوقود الأحفوري ورأس المال الكبير، وإمكانية تغيير المشهد تمامًا ونقل مواد البناء من مواقع أخرى، إضافة إلى تراجع المعرفة بالسناسل.[192] بالطبع، فإن السناسل التي تنشأ اليوم لا زالت متنوعة، إلا أن مستوى التنوع يتراجع مع الزمن. ولكن ما المشكلة في تراجع التنوع؟ يمكن القول بأن تراجع

---

[187] عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*.

[188] Abusaada, "Palestine's Garden Walls"; Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape"; Hammad and Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine"; Salim Tamari, "Building Other People's Homes: The Palestinian Peasant's Household and Work in Israel," *Journal of Palestine Studies* 11, no. 1 (1981): 31–66, https://doi.org/10.2307/2536046.

[189] لقراءة بعض التحولات على البنى التحتية الزراعية، يُنظر الملحق رقم (1).

[190] لوزية يوسف مصلح، مقابلة مسجلة؛ فظية يحيى سالم، مقابلة مسجلة؛ عراف، *القرية العربية الفلسطينية*؛ عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*.

[191] حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1، فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

[192] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2.

التنوع من المستوى الأول يعني تراجع ديناميكية تكوينات البنى التحتية الزراعية، ما يعرض البنى التحتية ككل، وبالتالي الزراعة، للخطر. إن خسارة الكثير من أنواع البنى التحتية الزراعية يعني أن التكوين الأكبر للبنى التحتية الزراعية وللمشهد الطبيعي يصبح أقل ديناميكية واستدامة مع الزمن، وهذه مشكلة، فصحيح أن المجتمع الفلسطني لم يعد مجتمعًا زراعيًا بنفس القدر الذي كان عليه في السابق (يتوسع الفصل الرابع في هذه الجزئية)، إلا أن هذا الواقع قد لا يبقى على حاله، ما يعني أن ضعف تكوينات البنى التحتية قد يكون له عواقب على المدى البعيد.

بالإنتقال إلى المستوى الثاني من خسارة التنوع، يمكن القول أن إشكاليته الأكبر تكمن في تراجع ديناميكية العنصر الواحد من البنية التحتية الزراعية نتيجة عدم تصميمه بطريقة ملائمة للظروف المحيطة، ويمكن أخذ السناسل للتدليل على ذلك ونقاش تراجع ديناميكية التفاعل في المشهد الطبيعي، والتفاعل بين البنية التحتية الزراعية والمشهد الطبيعي، وبين الإنسان والمشهد الطبيعي، وبين الإنسان والبنى التحتية الزراعية. ولتوضيح التراجع في الحيوية والتفاعل، تستعين الدراسة بتحليل سنسلة مبنية بالطريقة التقليدية وجدار صخري مقابل لها. بداية، لا بد من التأكيد على أن كلًا من السنسلة والجدار الصخري يغيران في طبيعة المكان، لكن هذا التغيير نسبي، فأثر السنسلة على التفاعلات الأخرى في المشهد أقل من أثر الجدار الصخري، لأن عمليات إنشاء السنسلة الصغيرة لا تقتضي تغييرات كبرى على تكوين المشهد وموجوداته (كالنبات والحيوان والتربة والصخر)، أما الجدار الصخري فيستلزم إنشاؤه إزالة ملامح المشهد الطبيعي واستيراد مواد من مواقع أخرى، ما يخلق حالة مغايرة للمشهد الطبيعي الذي كان، والمشهد الطبيعي المحيط، وهذا يقلل من التفاعلات في المشهد نفسه.[193] أما التفاعل بين السنسلة نفسها والمشهد الطبيعي، فمثاله سماح السناسل التقليدية بتسرب الماء – الفائض عن حاجة المصطبة بعد الهطول – من فراغات كثيرة وصغيرة وموزعة بين الحجارة الصغيرة، مقابل الجدار الصخري الذي يسمح بتسرب الماء من فتحات كبيرة قليلة العدد، مما يؤدي إلى تكوين مسارات سيول تحت الجدار الصخرية، وهذا يؤدي إلى انجراف التربة وغيرها من الأضرار. من ناحية أخرى، فإن إنشاء الجدار الصخري هي عملية سريعة جدًا وتعتبر حدثًا واحدًا منتهيًا بانتهاء الإنشاء، وذلك خلافًا للسنسلة غير المنتهية أبدًا، كونها لا تبنى دفعة واحدة، ولأن بانيها يعلم أنها قد تنهار جزئيًا في الشتاء، وهو مهيء لإصلاحها حين يلزم ذلك، بمعنى أن حيويتها وعدم اكتمالها واحتمال خرابها هي نقطة لصالح تفاعل الإنسان معها ومع المشهد، فحين تكون

[193] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1.

السنسلة على تفاعل دائم مع المشهد، فإنها تحتاج إلى الكثير من تدخل الإنسان لتستمر بالعمل بالشكل المطلوب. على سبيل المثال، بينت المقابلات الشفوية ضرورة صيانة السناسل بشكل دوري لو انهارت أو ضعفت بفعل المطر، أما الجدران الصخرية "**بتروح أبدي**" بحسب رواية السيد حربي عياد (74 سنة).[194] إن هذه الحقيقة تشير إلى أن نموذج السنسلة التقليدية يحتاج إلى تفاعل مستمر مع الإنسان، وهذا بحد ذاته يجعل الإنسان على تفاعل مستمر مع المشهد حين يذهب لإصلاح السنسلة، أما الجدار الصخري الذي يندر أن يحتاج إلى التفاعل البشري بعد إنشائه، فإنه أيضًا يقلل فرص تواجد الإنسان في المشهد، بالتالي يقلل تفاعل الإنسان مع هذا المشهد.

إضافة إلى تراجع البنى التحتية نفسها وتراجع الحيوية، فإن المعرفة بالبنى التحتية الزراعية أيضًا في تراجع، وهذا مرتبط بشكل وثيق بتراجع البنى التحتية الزراعية، ويقع في شقين. يتمثل الشق الأول في انحسار المعرفة المحلية بالبنى التحتية الزراعية في أيدي أشخاص قلائل بعدما كانت شريحة كبيرة من المجتمع الفلسطيني تملك هذه المعرفة، وهذا يعرض المعرفة المحلية للخطر، ويعرض البنى التحتية أيضًا لتراجع مستمر. أما المستوى الثاني، فيكمن في تراجع المعرفة عند الفرد الواحد في تصميم وإنشاء البنى التحتية الزراعية وصيانتها بما يلائم خصوصية الحالة، وهذا مرتبط بشكل متبادل مع المستوى الثاني من تراجع تنوع البنى التحتية الزراعية.

[194] حربي عياد، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (سلواد: 21 تشرين ثاني 2021)؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

صورة رقم (14): سنسلة تقليدية وجدار صخري في سنجل. تصوير الباحثة، 20 آذار 2022.

البنى التحتية الزراعية للمستقبل

عالجت الدراسة حتى الآن ماضي وحاضر البنى التحتية الزراعية، ولكن هل ندرسهما لأجل توثيق الماضي وفهم الحاضر فحسب؟ في الواقع، تعتبر هذه الدراسة أن البنى التحتية الزراعية هي مفاتيح أو حتى بذور يمكن من خلالها إعادة التفكير بعلاقة الفلسطيني مع المشهد الزراعي الإيكولوجي، ومن ثم تغيير الممارسات. وهنا يمكن الحديث عن مسألتين: استدامة البنى التحتية الزراعية الموجودة، والتفكير ببنى تحتية أخرى. ترى الدراسة أن هناك ضرورة لحماية وتوثيق وتحليل ماضي وحاضر البنى التحتية الزراعية المتنوعة، يشمل ذلك على الجانب المادي أي تنوع البنى التحتية الزراعية نفسها، والجوانب المعرفية المرتبطة بالتقنيات المتنوعة لإنشاء وصيانة واستخدام

البنى التحتية الزراعية، وتنوع المعارف والممارسات البشرية التي ترتبط بالتفاعلات مع البنى التحتية الزراعية ومع المشهد الطبيعي والتفاعلات البشرية التي تدور حول التواجد في المشهد الطبيعي. رغم ذلك، فإن الدراسة لا تقصد بحماية البنى التحتية الزراعية وتوثيقها أن تبقى البنى التحتية على شكلها الحالي أو تحوّل إلى عناصر متحفية في المشهد لحمايتها، أو أن يقتصر الحديث عن تنوعها ومعارفها وحيويتها وترابطها على هذا النص الأكاديمي وغيره. بالعكس، ترى الدراسة أنه من الضروري إعادة التفكير بالممارسات الحالية المرتبطة بالبنى التحتية الزراعية، وإعادة التفكير بعلاقتنا مع البنى التحتية الزراعية ومع الأرض، ثم تغيير الممارسات نفسها لضمان استدامة البنى التحتية الزراعية التي تأتي من تنوعها وحيويتها واستدامة المعارف المرتبطة بها.

إلى جانب فهم وتوثيق وتحليل التكوينات الموجودة والسابقة والسعي نحو استدامتها، ترى هذه الدراسة أن البنى التحتية الزراعية توفر أدوات منهجية يمكن توظيفها لفهم واقع المشهد الزراعي الإيكولوجي والتفكير بإضافة بنى تحتية زراعية جديدة تتلاءم مع السياقات الحالية وتخطط للمستقبل. إن هذه الدراسة تعنى بإدراك تلك التكوينات التي أعاد الفلسطينيون من خلالها إنتاج المشهد الطبيعي وأعادوا إنتاج أنفسهم وعلاقاتهم معًا ومع المشهد ليتمكنوا من التغلب على الظروف الصعبة التي فرضتها كل مرحلة زمانية وكل جزئية مكانية، وهذا ضروري، برأي الدراسة، من أجل التفكير بماهية البنى التحتية التي تلزم الآن وفي المستقبل لضمان الاستمرار في الوجود في هذا الجزء من العالم، فالوجود هنا يستلزم المعرفة بالأرض وكل ما هو مرتبط بها، وتوظيف البنى التحتية الزراعية وغيرها لضمان البقاء الفلسطيني على هذه الأرض. إن التحولات السريعة على العالم، كتفاقم الصراعات وتراجع مخزون الوقود الأحفوري وأزمة المناخ، جميعها مؤشرات على أن المرحلة الزمنية القادمة تحتاج إلى تحضير. ترى هذه الدراسة أن التحضير للمستقبل يستلزم حفظ المعرفة المحلية بالبنية التحتية الزراعية، بمعنى توثيقها ونقلها وممارستها وتطويعها للظروف المستجدة، إلى جانب الاستفادة منها لتطوير البنى التحتية الزراعية القائمة، وتطوير بنى تحتية زراعية جديدة، تهيء المشهد وتهيء الفلسطينيين للاستمرار في الوجود على هذه الأرض رغم كارثة محتملة ربما لا تكون بعيدة.

إجمال

جاء هذا الفصل من الدراسة ليبنى على الدراسات الفلسطينية التي تعالج البنى التحتية الزراعية، فاختص بتحليل هذه المنشآت على مستويات لم تركز عليها الأدبيات الفلسطينية السابقة. رأت الدراسة وضع التكوينات المختلفة من التقنيات المادية والعلاقات المرتبطة بوجود مجتمعٍ زراعيٍ في مكانيةٍ ما تحت إطار شامل سمته الدراسة باسم "البنية التحتية الزراعية." إن هذه البنى التحتية الزراعية هي تكوينات حيوية مع الزمن، وعلى تفاعل مستمر مع المشهد الطبيعي والإنسان، وهي تكوينات متنوعة على عدة مستويات. لقد عالجت الدراسة في هذا الفصل ماهية البنى التحتية الزراعية وتنوعها، ثم اقترحت تصنيفًا لها يبنى على عدة أدبيات وعلى العمل الميداني والمقابلات الشفوية، وأخذت نموذجًا من كل صنف لتحليله وفهم ديناميكيته، لتتوصل إلى أن كل عنصر من البنى التحتية الزراعية هو حي بحد ذاته، ويتدخل في المشهد بطريقة حيوية. رغم ذلك، فإن الحيوية الأكثر أهمية تنبع من ترابط البنى التحتية الزراعية المختلفة وعملها معًا ومع الإنسان والمشهد الطبيعي بشكل متكافل. إن استدامة البنى التحتية الزراعية معرضة للخطر بسبب تراجع ديناميكية البنى التحتية الزراعية وتنوعها والمعارف المرتبطة بها، وتراجع البنى التحتية نفسها ودورها، مما يتطلب العمل على عدة أصعدة، من بينها التوثيق والتحليل والممارسة، وهي مسائل هامة لحماية البنى التحتية الزراعية القائمة، وإنتاج بنى تحتية جديدة تناسب الظروف المستجدة، وهذا كله ضروري لدعم الوجود الفلسطيني على أرض فلسطين على المدى القريب والبعيد.

الفصل الثالث: توثيق السناسل وتحولاتها في جبال الضفة الغربية – منطقة الدراسة نموذجًا

مقدمة

استعرضت مراجعة الأدبيات في الفصل الأول من هذه الدراسة بعض الأدبيات حول السناسل في فلسطين والعالم، وبينت أن هناك توجهين مختلفين لدراسة السناسل في فلسطين. التوجه الأول، وهو الدراسات الفلسطينية، هو توجه يدرس السناسل بشكل عمومي جدًا، ثم يتحدث عن تراجعها وانتهاء استخدامها بشكل متفاقم مع الزمن، خاصة زمن الاستعمار. [195] [196] أما التوجه الثاني، وهو الدراسات الإسرائيلية، فيركز على لحظة ولادة السناسل، وفترات إنتشارها على نطاق واسع في المشهد، ويعتبر أن السناسل حدث منته في الماضي، ويغيّب دور الفلاح الفلسطيني من عملية تكوين السناسل والمشهد الزراعي ككل. [197] [198] من المؤكد أن هذه الدراسات مهمةٌ وضروريةٌ لفهم مشاهد السناسل، لكن ثمة ضرورةٌ للبناء عليها والنظر إلى مشاهد السناسل بطريقةٍ مغايرةٍ، بهدف توثيق السناسل بشكل مفصل، وتحليلها بعلاقتها بالمشهد الزراعي الإيكولوجي والبنى التحتية الزراعية، والنظر إليها على أنها منتجات حية وقيد التكوين، لم تنته في الماضي القريب ولا البعيد، وإنما لا زالت قيد التشكل، ولا زالت حيوية بعلاقاتها مع المشهد الطبيعي والإنسان والبنى التحتية الزراعية الأخرى، وإنما هي قيد التغيير بشكل مرافق لتغير الظروف المحيطة بها.

هذا الفصل هو فصل توثيقي وتحليلي، يبني بشكل أساسي على المعرفة المحلية وعلى العمل الميداني في منطقة الدراسة بالتحديد، ويحاول البناء على الأدبيات الفلسطينية فلكلوية الطابع، والأدبيات الإسرائيلية أركيولوجية الطابع، وعلى الإطار الذي وضعته هذه الدراسة للبنى التحتية الزراعية، من أجل تقديم قراءة مغايرة للسناسل على أنها بنى تحتية حية تتكون بشكل مستمر في المشهد الزراعي

---

[195] من بينها، العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ عراف، *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*؛ مهوي وقواسمي، *سرحة في مرتفعات رام الله*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ شحادة، "المشي في فلسطين،" *10–13*.

[196] Hammad and Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine"; Abusaada, "Palestine's Garden Walls"; Sayej, "The Origin of Terraces in the Central Hills of Palestine: Theories and Explanations."

[197] العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ شحادة، "المشي في فلسطين؛" مهوي وقواسمي: *سرحة في مرتفعات رام الله*.

[198] Ghadban, "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape"; Abu Hammad and Børresen, "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine;" Abusaada, "Palestine's Garden Walls: The Deliberate Destruction of Palestine's Terraced Gardens."

الإيكولوجي. يقف هذا الفصل على مسائل مختلفة مرتبطة بماضي السناسل القريب وحاضرها، ويركز بشكل كبير على الجوانب التقنية المرتبطة بالسناسل. يتحدث الفصل في الأقسام التالية عن ماهية السنسلة وأدوارها في المشهد الزراعي الإيكولوجي، ثم يحاول وضع تصنيف أولي للسناسل في جبال وسط فلسطين، ويلجأ إلى عدة نماذج تصنيفية بناء على عدة معايير. بعد ذلك، يأتي الفصل بشكل تفصيلي على الجوانب التقنية المرتبطة بإنشاء السناسل وصيانتها ومواد البناء، ثم يتعرض إلى بعض التحولات التي شهدتها السناسل على المستوى التقني. ولأن السناسل هي ليست النموذج الوحيد للزراعة في جبال فلسطين، رأت الدراسة أن تضيف قسمًا أخيرًا يتحدث عن زراعة الجبال دون سناسل.

السنسلة بنية تحتية زراعية مركزية في المشهد الزراعي الإيكولوجي

يمكن القول بأن الحبلات الزراعية والسناسل الحجرية هي إحدى الملامح الأبرز للتدخل البشري في جبال وسط فلسطين، حيث وضع الإنسان عبر آلاف السنين جهدًا هائلًا لتحويل الجبال المنحدرة إلى مصاطب زراعية مستوية تتوالى من قاعدة الجبل إلى قمته، وتدعمها عناصر حجرية خطية الطابع، تعرف محليًا بالسناسل أو السلاسل.[199] تشكل المصاطب والسناسل البنى التحتية الزراعية الأهم والأكثر انتشارًا في جبال وسط فلسطين، لأن الزراعة في هذه المناطق الجبلية غير ممكنة دون سناسل، يعني ذلك أن الاستيطان الزراعي أيضًا غير ممكن في هذه الجبال بغياب السناسل.[200] لقد كانت جبال فلسطين مكسوّة بالغطاء النباتي الطبيعي الذي حمى التربة حتى وقت قريب من عمر الأرض، لكن إزالة الإنسان للغطاء النباتي الطبيعي وحراثة الأرض لأجل الزراعة أدت مع الزمن ومع هطول الأمطار وحركة الرياح إلى انجراف تربة جبال فلسطين وتعريتها، وهذا خلق حاجة ماسة إلى سنسلة الجبال لحماية التربة من الانجراف، وتحويل

[199] العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*، 12؛ عراف، *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*، 121-123؛ رجا شحادة، "المشي في فلسطين،" في *سرحة في مرتفعات رام الله*، تأليف فرحات مهوي وسحر قواسمي، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري، سلسلة رواق حول تاريخ العمارة (رام الله: رواق - مركز المعمار الشعبي، 2012)، 10–13؛ رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.

[200] Wagstaff, "The Mountain and the Plain: Some Themes of Continuity and Change in Palestinian Landscapes," 27–28; RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," a 1966, 33.

المنحدرات إلى أسطح مستوية قابلة للزراعة.[201] [202] في الواقع، فإن المصاطب الزراعية المدعومة بالسناسل الحجرية تشكل بصمة بشرية ذات أهمية في منطقة المتوسط ومناطق أخرى من العالم، وليس في فلسطين وحدها.[203]

ترى هذه الدراسة أن السناسل واحدة من البنى التحتية الزراعية التي تتفاعل مع البنى التحتية الزراعية الأخرى وتتفاعل مع الإنسان والمشهد الطبيعي لجعل الزراعة ممكنة في جبال فلسطين. يمكن تعريف السنسلة بأنها جدار جاف البناء، يخدم وظيفة إنشائية تتمثل في إسناد التراب والرواسب المكونة للمصطبة الزراعية، أما المصطبة، فهي تقنية زراعية طورها الإنسان لتغيير المشهد الطبيعي ليصبح أكثر ملاءمة للزراعة، مبدأها تحويل الأرض المنحدرة قليلة التربة إلى أرض أقل انحدارًا ذات تربة كافية للزراعة.[204] لقد هيأت السناسل الظروف اللازمة لتحويل جبال فلسطين إلى مساحة للاستغلال الزراعي بعد أن أزال الإنسان الغابات الطبيعية وفاقم من مسألة انجراف التربة – التي كانت تحدث بنسبة بسيطة قبل التدخل البشري الكبير في المشهد الطبيعي.[205]

تؤدي تكوينات المصطبة — السنسلة العديد من الوظائف التي قد يقصدها الفلاح عند إنشاء التكوين أو لا يقصدها، وقد يقوم الفلاح بإنشاء السنسلة لخدمة هدف واحد أو أكثر، لكنها السنسلة تخدم في نهاية المطاف تشكيلة كبيرة من الوظائف على عدة أصعدة.[206] غالبًا ما تتحدث الرواية المحلية عن أربعة أسباب رئيسية لإنشاء السناسل: حماية التربة من الانجراف؛ وزيادة كمية الماء

---

[201] العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ عراف، *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*؛ مهوي وقواسمي، *سرحة في مرتفعات رام الله؛ شحادة*، "المشي في فلسطين؛" *مهوي وقواسمي، سرحة في مرتفعات رام الله*.

[202] Gibson, “The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method”; Karl W Butzer, “Accelerated Soil Erosion: A Problem of Man-Land Relationships,” in *Perspectives on Environment*, ed. Ian R. Manners and Marvin W. Mikesell (Washington: Association of American Geographers, 1974), 57–78.

[203] Spencer and Hale, “The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing”; Moody and Grove, “Terraces and Enclosure Walls in the Cretan Landscape”; Mauro Varotto, Luca Bonardi, and Paolo Tarolli, *World Terraced Landscapes: History, Environment, Quality of Life* (Springer, 2018); Jonathan A. Sandor, “Ancient Agricultural Terraces and Soils,” in *Footprints in the Soil: People and Ideas in Soil History*, ed. Benno Warkentin (Amsterdam: Elsevier, 2006), 505–34.

[204] Spencer and Hale, “The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing”; Gibson, “The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method”; Lewis, “Lebanon. The Mountain and Its Terraces”; Bonardi, “Terraced Vineyards in Europe.”

[205] Gibson, “The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method,” 303–4; Butzer, “Accelerated Soil Erosion: A Problem of Man-Land Relationships.”

[206] Charles D Frederick and Athanasia Krahtopoulou, “Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility,” *Landscape and Land Use in Postglacial Greece*, 2000, 82.

المخزنة في التربة؛ وتحويل الأرض لمساحة قابلة للزراعة أو "تعميرها"؛ وزيادة الإنتاج.[207] ويبين السيد فريد علوان (87 سنة) الدور التقني للسناسل قائلًا:

> " أكثر إشي مشان نزرعها ونستفيد منها... مشان نعيش من وراها... بتلكى التراب وبتلكى المية، بتشبع الأرض مية، بطلع الزراعة فيها منيح... التسنسل حجار، مشان التراب ما يمشيش كله مرة وحدة يهود، بصير يلقى بعظه، بصير هان سنسال بلقى التراب، برد بنحط هان سنسال بلقى التراب، بظل التراب محله، اه بهودش، والا التراب هلوقت روحي عالجبل، بقبى التراب مع المطر شوي شوي شوي كله بهود عالواد نازل، منحط سنسال مشان يلقى التراب... الحبلة، سنسلة ورا سنسلة... مثل ما تقولي هذي حبلة وهذي حبلة وهذي حبلة، الأرض تقبى متعلقة شوي بساوو حبلة حبلة، مشان التراب ميهودش عبعظه كله... مشان تقبى دغرية."[208]

إن السنسلة كغيرها من البنى التحتية الزراعية هي تكوينات تعيد إنتاج التفاعلات المختلفة في المشهد الطبيعي ومعه، وتؤدي أدوارًا عديدة تصب في إدارة الأرض لخدمة الزراعة، ما يسمح بالوجود الزراعي في المناطق المنحدرة في فلسطين وغيرها. في الحقيقة، تشير الدراسات الأكاديمية إلى تشكيلة كبيرة من عمليات التكوين التي تحدث في المشهد الطبيعي نتيجة وجود المصاطب والسناسل، والتي تتفق بشكل كبير مع ما بينته المقابلات الشفوية. بداية، تسمح تكوينات السناسل – المصاطب بتحويل الأرض المنحدرة إلى درجات مستوية، كما تشتمل عملية إنشائها على إزالة الحجارة من الأرض، مما يسهل حراثتها وزراعتها وحصادها.[209] من ناحية أخرى، فإن إنشاء المصاطب والسناسل يغير في ميلان الأرض ويرتب التربة بشكل منبسط، ما يؤدي إلى تقليل انجراف التربة وتعزيز مراكمتها مع

---

[207] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1؛ رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ حربي عياد، مقابلة مسجلة.

[208] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

[209] Frederick and Krahtopoulou, "Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility," 81–82; Sandor, "Ancient Agricultural Terraces and Soils," 505; Paolo Tarolli, Federico Preti, and Nunzio Romano, "Terraced Landscapes: From an Old Best Practice to a Potential Hazard for Soil Degradation Due to Land Abandonment," *Anthropocene*, Landscapes in the Anthropocene, 6 (June 1, 2014): 2, https://doi.org/10.1016/j.ancene.2014.03.002.

الزمن، وبالتالي تعزيز نمو النباتات.[210] إن زيادة عمق التربة له فوائد عدة، من بين ذلك دعم نمو جذور النباتات، وتخزين كمية أكبر من الماء في التربة لتستفيد منها النباتات في موسم الجفاف، وتقليل التبخر.[211] وفيما يرتبط بالماء وإدارته، تؤدي المصاطب والسناسل العديد من الوظائف، كتقليل وإدارة جريان الماء السطحي (نتيجة تسوية التربة وتغيير شكل الأرض) وحبسه وراء السنسلة وتشرب أجزاء كبيرة منه، وتقليل الحاجة للري والاستفادة بشكل أكبر من مياه الري في حال توافرها، إضافة إلى تخزين كمية أكبر من مياه الامطار في المصطبة ككل (total infiltration).[212] وإضافة إلى جميع هذه العمليات التي تحدث في المشهد الطبيعي، يمكن الحديث عن دور السناسل في إبطاء سرعة الرياح، وشحن المياه الجوفية، وزيادة الاستفادة من السماد، والحفاظ على درجة الحرارة المحلية للمصطبة، وهذا يحمي النباتات من الحرارة العالية أو الصقيع، لأن التربة والحجارة مادتان فعالتان للحفاظ على الكتلة الحرارية (thermal mass).[213]

يلعب وجود السناسل والمصاطب دورًا هامًا في خلق تفاعلات مختلفة في المشهد الزراعي الإيكولوجي، وهي تفاعلات مهمة من الناحية الزراعية، كونها توفر الظروف المناسبة لنمو المحاصيل كما رأينا، مما يؤدي إلى زيادة احتمالية نجاح المحصول وزيادة الإنتاج وزيادة التنوع الزراعي.[214] ولكن هل تقتصر أدوار السناسل والمصاطب على الزراعة؟ في الواقع، فإن العديد من الأدبيات تشير إلى أن التفاعلات

---

[210] Spencer and Hale, “The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing”; Frederick and Krahtopoulou, “Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility,” 81–82; John M Treacy and William M Denevan, “The Creation of Cultivable Land through Terracing,” in *The Archaeology of Garden and Field*, ed. Naomi F. Miller and Kathryn L. Gleason (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1997), 93–94.

[211] Frederick and Krahtopoulou, “Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility,” 81–82; Antony Brown et al., “European Agricultural Terraces and Lynchets: From Archaeological Theory to Heritage Management,” *World Archaeology* 52, no. 4 (2020): 11; Asunción Romero-Díaz, Joris de Vente, and Elvira Díaz-Pereira, “Assessment of the Ecosystem Services Provided by Agricultural Terraces,” *Pirineos* 174 (2019): 6; Treacy and Denevan, “The Creation of Cultivable Land through Terracing,” 93.

[212] Frederick and Krahtopoulou, “Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility,” 81–82; RON, “Agricultural Terraces in the Judean Mountains,” a 1966, 34; Tarolli, Preti, and Romano, “Terraced Landscapes,” 3; Romero-Díaz, de Vente, and Díaz-Pereira, “Assessment of the Ecosystem Services Provided by Agricultural Terraces,” 6; E Roose, “Traditional Strategies for Soil and Water Conservation in Mediterranean Areas,” *Rubio, Josè Luis*, 2002; Treacy and Denevan, “The Creation of Cultivable Land through Terracing,” 95.

[213] Romero-Díaz, de Vente, and Díaz-Pereira, “Assessment of the Ecosystem Services Provided by Agricultural Terraces,” 6; Treacy and Denevan, “The Creation of Cultivable Land through Terracing,” 94.

[214] Romero-Díaz, de Vente, and Díaz-Pereira, “Assessment of the Ecosystem Services Provided by Agricultural Terraces,” 6; Brown et al., “European Agricultural Terraces and Lynchets: From Archaeological Theory to Heritage Management,” 3–4.

الناتجة عن تكوينات المصاطب والسناسل هي ذات أهمية من ناحية إيكولوجية أيضًا، وهذا مهم للتفاعل الزراعي الإيكولوجي وبالتالي لاستمرار الوجود الإنساني.[215] من ناحية أولى، فإن التفاعلات المرتبطة بالماء والتربة وإدارة البيئات المحلية التي سبق ذكرها لا تقتصر على خدمة الزراعة، إنما أيضًا تفيد البيئة. من ناحية أخرى، فإن بنيات المصطبة – السنسلة تزيد التنوع الحيوي ووجود ونشاط الكائنات الدقيقة في المكان، كما أن السناسل توفر ملجأً للكثير من الكائنات الحية كالطيور والزواحف واللافقاريات.[216] وإضافة إلى ذلك، فإن السناسل تسمح أحيانًا بحماية أجزاء من الغطاء النباتي البري، وذلك عندما تنمو في منقطة اللزقة، هذا ما يبينه السيد رائد فرحات (60 سنة): "**محدا بقصها محدا بحرثها محدا هاظ، هي بتتحامى بتطلع محدا بصيبها... مثلا هينا مدشرينها مش قاشينها، بس لو عالشقة الجوانية، كان إحنا قشيناها... إحنا مش معنيين فيها من برا، يعني من تلا الشجر من تلا الزراعة.**"[217]

---

[215] سامي بقلة، "الحياة النباتية والحيوانية في مرتفعات رام الله،" *في سرحة في مرتفعات رام الله، تأليف فرحات مهوي وسحر قواسمي، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري، سلسلة رواق حول تاريخ العمارة (رام الله: رواق - مركز المعمار الشعبي، 2012)، 16-20.*

[216] Raoul Manenti, "Dry Stone Walls Favour Biodiversity: A Case-Study from the Appennines," *Biodiversity and Conservation* 23, no. 8 (2014): 1879–93; Brown et al., "European Agricultural Terraces and Lynchets: From Archaeological Theory to Heritage Management," 11; Romero-Díaz, de Vente, and Díaz-Pereira, "Assessment of the Ecosystem Services Provided by Agricultural Terraces," 6.

[217] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.

صورة رقم (15): السناسل تسمح بانتعاش الغطاء النباتي البري، تظهر أشجار البلوط ونباتات النتش واللّبيد مزدهرة. الصورة في عين قينيا. تصوير الباحثة: 28 حزيران 2022.

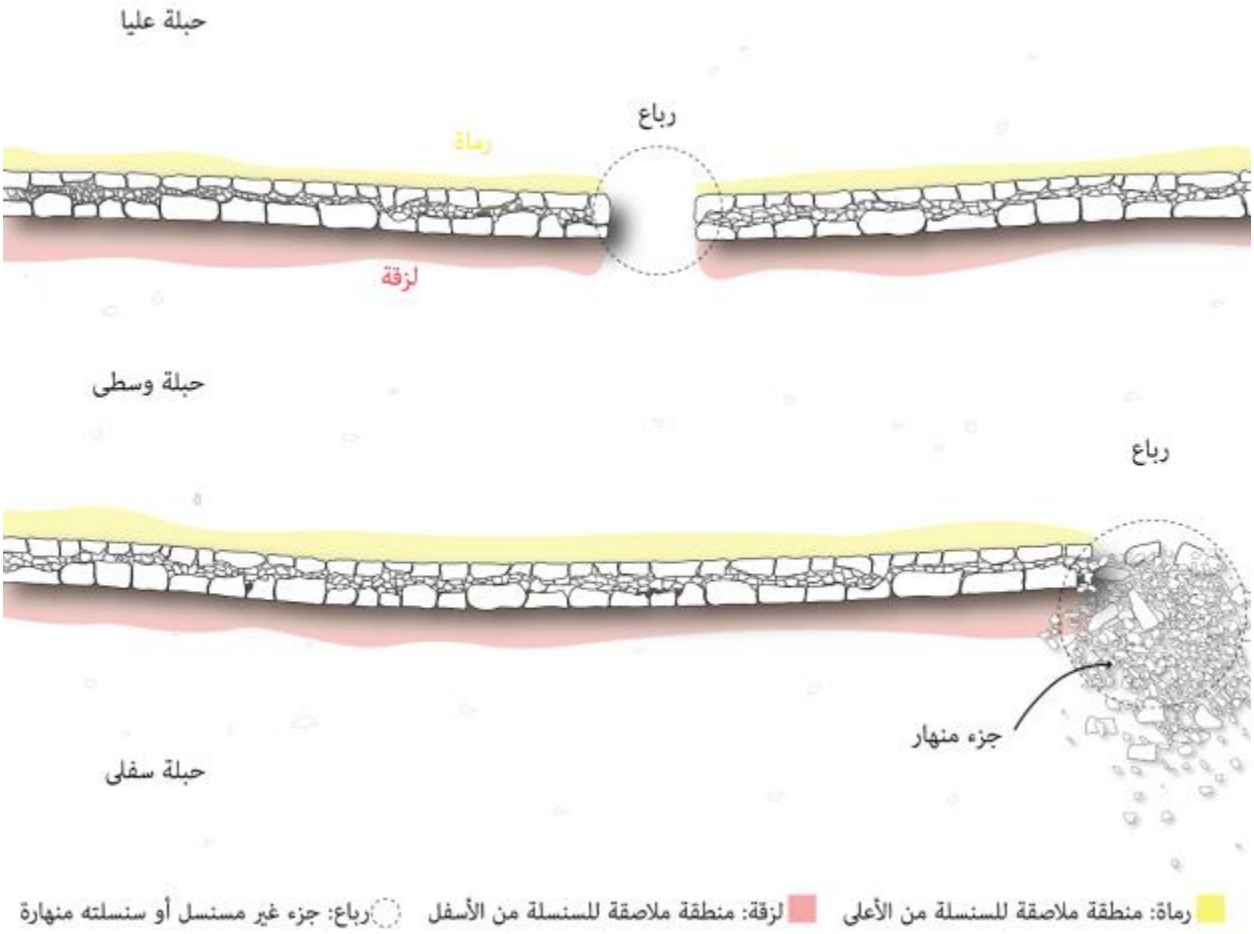

رسم توضيحي رقم (3): أجزاء المصطبة، وتظهر منطقة اللزقة التي تنمو فيها النباتات البرية أحيانًا، وهي المنطقة الملاصقة للسنسلة على مستوى السنسلة الأدنى.

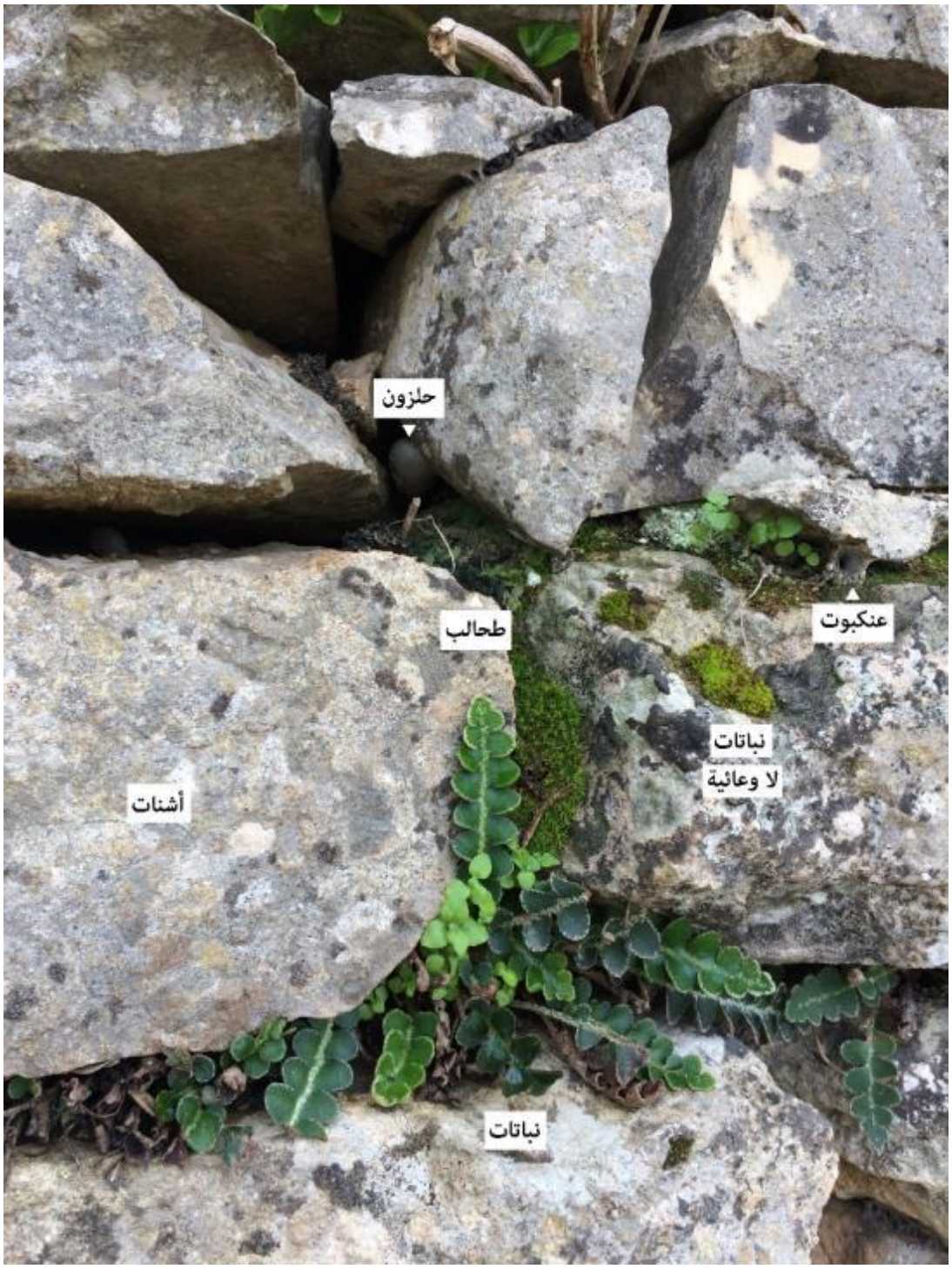

صورة رقم (16): السنسلة ملجأ للكثير من الكائنات الحية. تصوير الباحثة: 20 شباط 2022.

نحو تصنيف أولي للمصاطب والسناسل

تحدثت الدراسة في الفصل الثاني عن تنوع البنية التحتية الزراعية في فلسطين، وبينت الأسباب المختلفة لهذا التنوع، ووضحت أن تنوع البنى التحتية الزراعية يقع في مستويين: تعدد أنواع البنى التحتية الزراعية، والتنوع في النماذج التي تندرج تحت النوع. على المستوى الأول، بينت الروايات الشفوية أن هناك أربعة أنواع من السناسل: سناسل الحدود (تحدثت عنه الدراسة في الفصل الثاني)، وسناسل حجز الحيوانات (المعروفة بالصير)، والسناسل التابعة للآبار، والسناسل المرتبطة بانجراف التربة.[218] يختص هذا القسم من الدراسة في بحث النوع الثالث من السناسل، أي المرتبط بالأساس بمنع انجراف التربة، وهي بنية تحتية ثابتة بحسب التصنيف الموضح في الفصل الثاني. في الواقع، فإن هناك غيابًا واضحًا لتصنيف هذه السناسل في الأدبيات الفلسطينية، وذلك خلافًا للأنواع الأخرى من البنى التحتية الزراعية، كالقصور والآبار، ما يستدعي الوقوف على هذه المسألة.[219]

لما كانت السناسل والمصاطب ذات تنوع عال، فإن تصنيفها ليس بالأمر السهل، ولذا لا يوجد تصنيف موحد لها.[220] هناك العديد من الأدبيات التي قدمت مساهمة في تصنيف المصاطب حول العالم، وقد اعتمدت كل منها على معايير مختلفة عن الأخرى، بحيث تصنف كل من هذه الأدبيات المصاطب بناء على عامل واحد أو أكثر، من بينها الشكل أو درجة ميلان الأرض أو نوع مواد بناء السنسلة أو الوظيفة أو استخدام الأرض أو الوضع الحالي أو طرق الإنشاء أو طبيعة وجودها في المشهد أو غير ذلك.[221] إن مسألة التصنيف غير الموحد تنطبق أيضًا على سناسل فلسطين ومصاطبها. على سبيل المثال، قدم (Ron) ثلاثة نماذج مختلفة لتصنيف المصاطب: بناء على درجة انحدار الأرض؛ حسب طبيعة الصخور؛ وبناء على وجود الماء أو غيابه.[222] أما (Gibson)، فقد صنف

---

[218] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2؛ يوسف يعقوب، مقابلة مسجبة.

[219] عراف، *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على* أرضنا؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*؛ حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين.*

[220] Goran Andlar, Filip Šrajer, and Anita Trojanović, "Classifying the Mediterranean Terraced Landscape: The Case of Adriatic Croatia," *Acta Geographica Slovenica* 57, no. 2 (2017): 114.

[221] Asins-Velis, "Terraced Fields in Spain," 80–83; Treacy and Denevan, "The Creation of Cultivable Land through Terracing," 96–101; Moody and Grove, "Terraces and Enclosure Walls in the Cretan Landscape," 183–84; Sandor, "Ancient Agricultural Terraces and Soils," 510–12; Brown et al., "European Agricultural Terraces and Lynchets: From Archaeological Theory to Heritage Management," 6–7; Frederick and Krahtopoulou, "Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility"; Andlar, Šrajer, and Trojanović, "Classifying the Mediterranean Terraced Landscape: The Case of Adriatic Croatia," 115–26.

[222] RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," a 1966; RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," b 1966.

المصاطب إلى مصاطب الجبال ومصاطب الأودية والمصاطب المروية.[223] وبطريقة مغايرة، صنفت دراسة إسرائيلية أخرى المصاطب في فلسطين بناء على شكل الجدار الحجري الذي يسندها.[224] تبني هذه الدراسة على أساليب التصنيف المتبعة في الأدبيات إضافة إلى العمل الميداني والمعرفة المحلية للوصول إلى تصنيف أولي للسناسل في جبال وسط فلسطين، وهنا لا بد من التأكيد على أن هذا التصنيف هو محاولة أولية وبحاجة إلى المزيد من البحث والمقابلات الشفوية والعمل الميداني على مستوى كافة جبال وسط فلسطين، وأن الدراسة لجأت إلى أكثر من أسلوب للتصنيف، لأنها تعتقد أن أسلوبًا واحدًا لا يعبر عن التنوع الكبير لسناسل جبال وسط فلسطين.

أ – تصنيف السناسل حسب الوظائف الأساسية التي تخدمها

1. **سناسل منع الانجراف وتشكيل المساحات المنبسطة في المناطق المنحدرة:** تلعب هذه السناسل دورين أساسيين؛ منع انجراف التربة الكبير في المناطق الجبلية، وتحويل المنحدر الجبلي إلى درجات مستوية متتالية، ويمكن القول بأن هذا النوع هو الأكثر انتشارًا في منطقة جبال وسط فلسطين، حيث تغطى مساحات كبيرة من منحدرات جبال فلسطين بهذا النوع من السناسل.[225] في الواقع، يمكن تقسيم هذا النمط إلى أقسام فرعية بطرق مختلفة، لكن الدراسة تعتمد التقسيم بناء على مقياس (scale) أو مساحة المصطبة، فتقسمها إلى مصاطب صغيرة المقياس تتسع لشجرة واحدة غالبًا، وتأخذ شكل الجيوب (pocket) في المشهد؛ ومصاطب كبيرة المقياس تأخذ الشكل الخطي في المشهد وتتسع لعدة أشجار. ويمكن تقسيم هذين النوعين أيضًا بناء على المخطط (plan)، فمصاطب الجيوب قد تكون مضلعة ومحصورة من جهة واحدة على الأقل (ينظر الصور والرسومات للتوضيح) أو تكون دائرية الطابع ومنفصلة عن العناصر الأخرى في المشهد، وتعرف في هذه

[223] Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," 298–300.

[224] Uri Davidovich et al., "Archaeological Investigations and OSL Dating of Terraces at Ramat Rahel, Israel," *Journal of Field Archaeology* 37, no. 3 (August 1, 2012): 200, https://doi.org/10.1179/0093469012Z.00000000019.

[225] عراف، *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*.

الحالة باسم السدة، أما المصاطب الخطية، فيمكن تقسيمها إلى مصاطب خطية متواصلة، ومصاطب خطية متقطعة ومتداخلة.

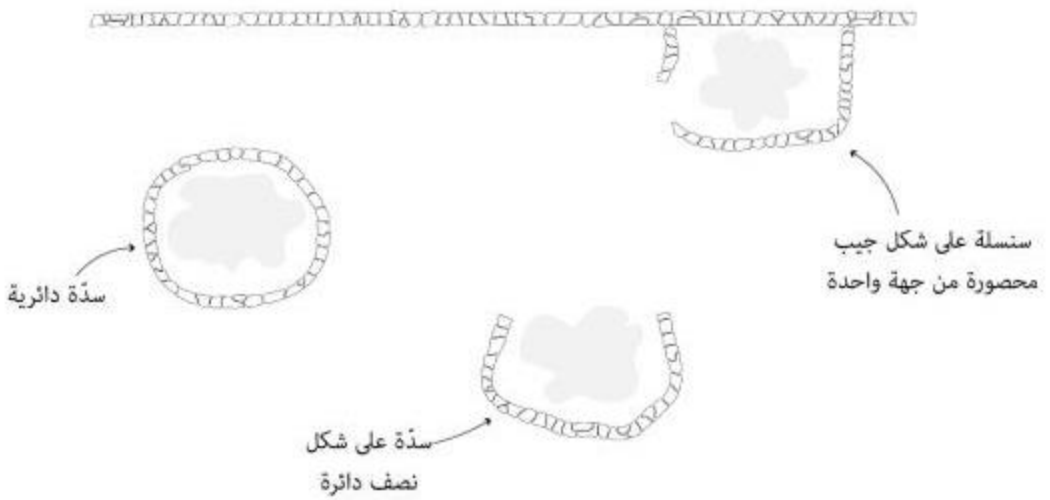

رسم توضيحي رقم (4): مسقط علوي يبين مصاطب صغيرة المساحة في منطقة الدراسة، الصورة على اليسار تبين مصطبة على شكل جيب محصور من جهتين. تصوير الباحثة، 4 تشرين الثاني 2021. أما الصورة الجوية في الوسط فتظهر سدّة دائرية وسدّة نصف دائرية، المصدر: جيومولج.

رسم توضيحي رقم (5): مخطط يبين مصاطب خطية متواصلة. الصورة في سلواد. تصوير الباحثة، 18 كانون الثاني 2022.

رسم توضيحي رقم (6): مخطط يبين مصاطب خطية متقطعة ومتداخلة. الصورة في سلواد. تصوير الباحثة، 18 كانون الثاني 2022.

2. **سناسل تقليل انجراف التربة في المناطق قليلة الانحدار**: وهي السناسل الموجودة في السهول شبه المنبسطة ضمن سلسلة جبال وسط فلسطين، وتخدم وظيفة أساسية هي تقليل انجراف التربة، وتكون جدرانها الحجرية بسيطة التصميم قليلة الارتفاع، وقد يمكن الاستغناء عن إنشاء هذه السناسل كون المنطقة منبسطة وقابلة للزراعة دون تسوية، ونسبة الانجراف فيها قليلة.[226]

[226] RON, "Agricultural Terraces in the Judean Mountains," a 1966, 35.

رسم توضيحي رقم (7): مقطع عرضي يبين مصاطب في المنطقة المنبسطة في سلواد. تصوير الباحثة: 16 تشرين الأول 2021.

3. **سناسل منع الانجراف وحصاد الماء:** يلعب هذا النوع من السناسل دورًا هامًا في حصاد الماء إلى جانب وظيفته في حجز التربة، ويمكن الحديث عن نوعين من المصاطب المرتبطة بحصاد الماء، وكلاهما يقعان في الأودية، يتمثل الأول في السناسل المرتبطة بالأودية المنحدرة، أو ما يعرف محليًا باسم الشعاب، بحيث تكون السناسل مشابهة لسناسل حماية التربة في المناطق المنحدرة، لكنها بعكس اتجاه ميلان الجبل، وحجم حجارتها أكبر، لتتحمل ضغط الماء النازل من المناطق التي تعلو الشعاب.[227] أما النوع الثاني، فهو السناسل المرتبطة بالأودية قليلة الانحدار، والتي تكون عريضة لتحمل وزن الماء النازل من الجبال المحيطة، وقد يرتبط هذا النموذج بوجود سنسلتين حاملتين، إحداهما مع ميلان الجبل المجاور، والأخرى مع ميلان الوادي، وأحيانًا ترتبط بوجود قناة ماء لحصر مسار الوادي في مساحة ضيقة، واستخدام المساحة المتبقية من الوادي للزراعة.[228]

[227] Sandor, "Ancient Agricultural Terraces and Soils"; Theib Oweis, D. Prinz, and A. Hachum, *Water Harvesting: Indigenous Knowledge for the Future of the Drier Environments. ICARDA, Aleppo, Syria, 40 Pp* (Aleppo: International Center for Agricultural Research in the Dry Areas, 2001).

[228] Oweis, Prinz, and Hachum, *Water Harvesting*; Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," 299; Brian Beckers, Jonas Berking, and Brigitta Schütt, "Ancient Water Harvesting Methods in the Drylands of the Mediterranean and Western Asia," *ETopoi. Journal for Ancient Studies* 2 (September 1, 2013).

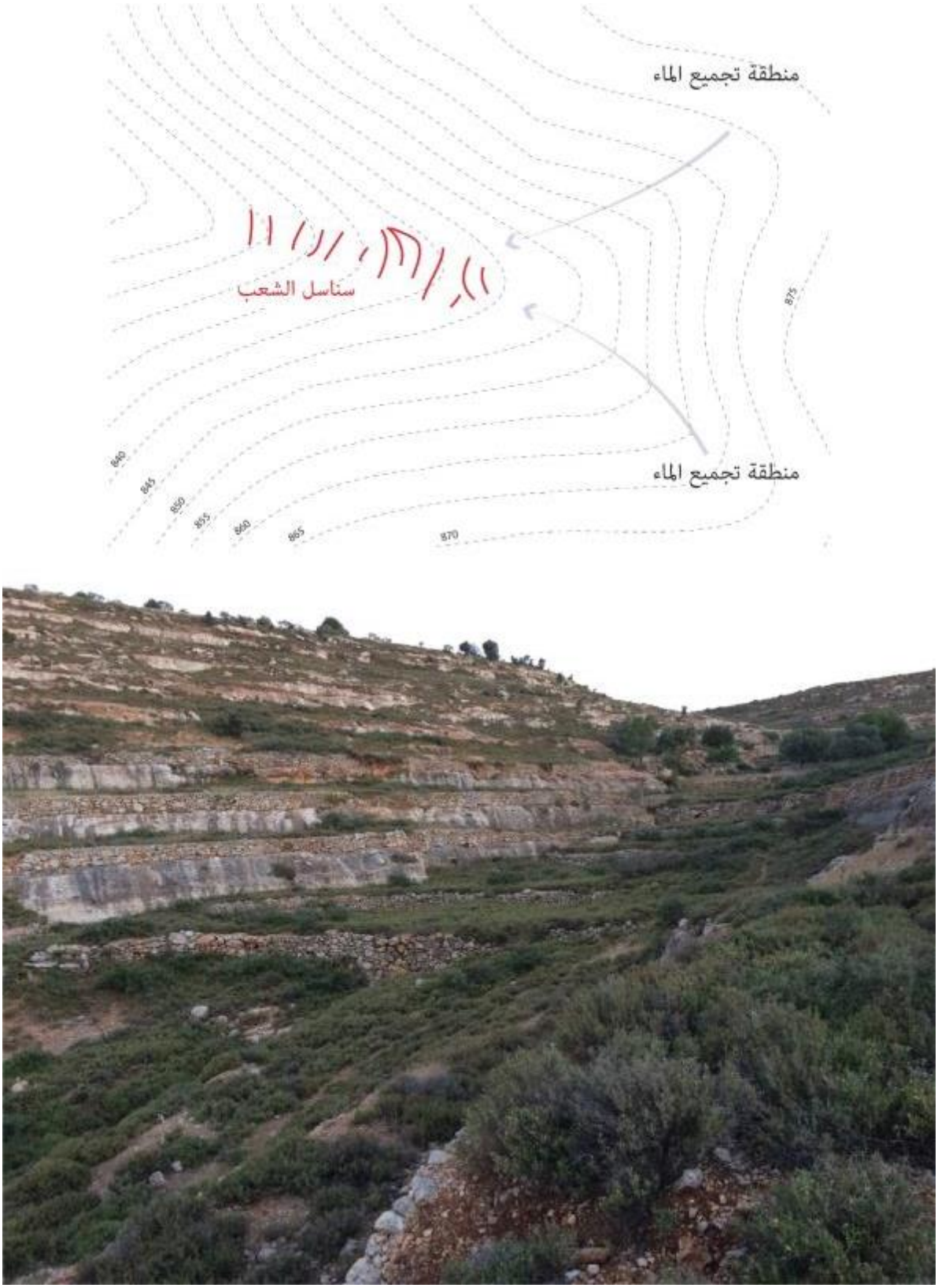

رسم توضيحي رقم (8): مسقط علوي يبين مصاطب في واد شديد اللانحدار في سنجل. تصوير الباحثة، 19 أيار 2022.

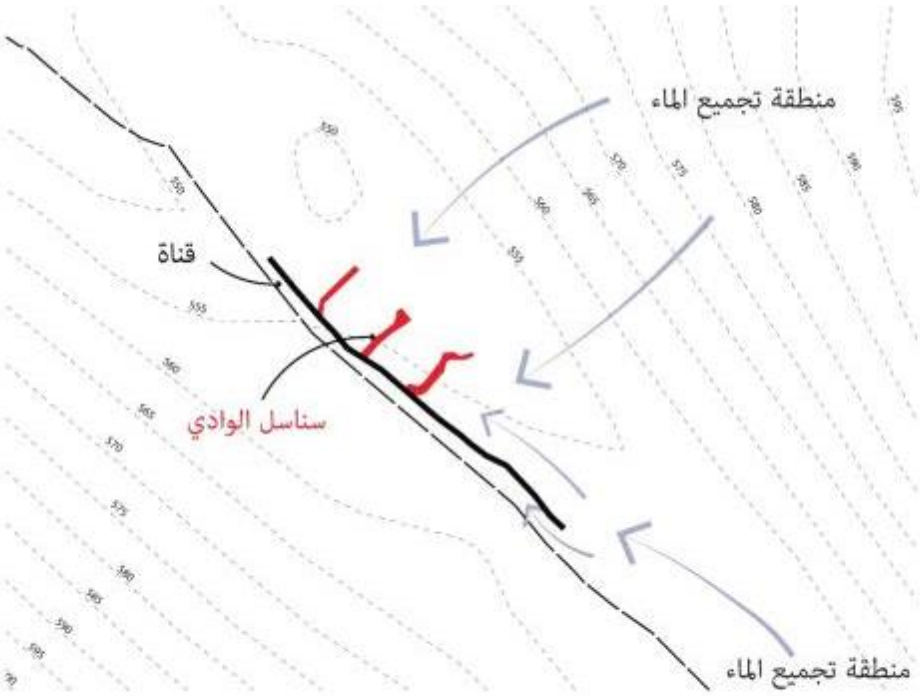

رسم توضيحي رقم (9): مسقط علوي يبين مصاطب في الأودية قليلة الانحدار. الصورة في وادي العقدة. تصوير الباحثة، 9 كانون الثاني 2022.

ب – تصنيف السناسل بناء على مواد بناء الجدار

دائمًا ما تتحدث الأدبيات عن السناسل في جبال فلسطين باعتبارها جدرانًا جافة البناء، بمعنى أنها مبنية من الحجارة فقط.[229] في الواقع، تمكنت الدراسة من توثيق بعض السناسل غير جافة البناء، وهي سناسل مبنية من الحجارة مع إضافة مادة لاصقة، سواء الطين الأحمر أو الحوّر، ما يعني أن هناك سناسل جافة البناء، وهناك سناسل مع مواد لاصقة، بعضها سناسل من الحجارة مع الحوّر، وبعضها سناسل من الحجارة مع الطين. أما تفسير وجود المواد اللاصقة، فقد بين السيد يوسف يعقوب – خبير بناء السناسل – أن ذلك يعود لإحدى سببين: الأول هو أن تكون وظيفة السنسلة حصاد الماء ونقله إلى بئر موجود في المصطبة، ما يستلزم حجز كافة الماء وهذا هو دور المادة اللاصقة التي تغلق الفراغات بين حجارة السنسلة؛ والثاني أن تكون حجارة السنسلة صغيرة جدًا وبحاجة إلى وسيط إضافي يثبتها معًا.[230]

[229] RON, “Agricultural Terraces in the Judean Mountains,” b 1966; RON, “Agricultural Terraces in the Judean Mountains,” a 1966; Gibson, “The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method.”

[230] يوسف يعقوب، مقابلة مسجلة، وزيارات ميدانية لوادي العقدة بتواريخ مختلفة.

1

2

3

مجموعة صور رقم (17): (1) سنسلة مبنية بالحجارة فقط، (2) سنسلة مبنية بالحجارة والحوّر، وهي سنسلة جمع ماء، (3) سنسلة مبنية بالحجارة والتربة الطينية الحمراء، لأن الحجارة صغيرة يصعب تماسكها دون مادة لاصقة. الصور في وادي العقدة. تصوير الباحثة بتواريخ مختلفة.

ج – تصنيف السناسل بناء على الطبقات الإنشائية المكونة لها

يمكن تصنيف السناسل بناء على الطبقات المكونة لها، فهناك السناسل المكونة من جدار واحد خلفه صرار، وهو النوع الأكثر انتشارًا في المشهد، ويتمثل النوع الثاني في السناسل المكونة من لقطتين بينهما صرار: وهو نموذج أقل حضورًا. وقد يُعدَّل كل من هذين النموذجين ليصبحا أكثر عرضًا لاحتواء المزيد من الحجارة فيما لو كانت الأرض كثيرة الحجارة، وفي هذه الحالة تصبح السنسلة أشبه برجم خطي الطابع.

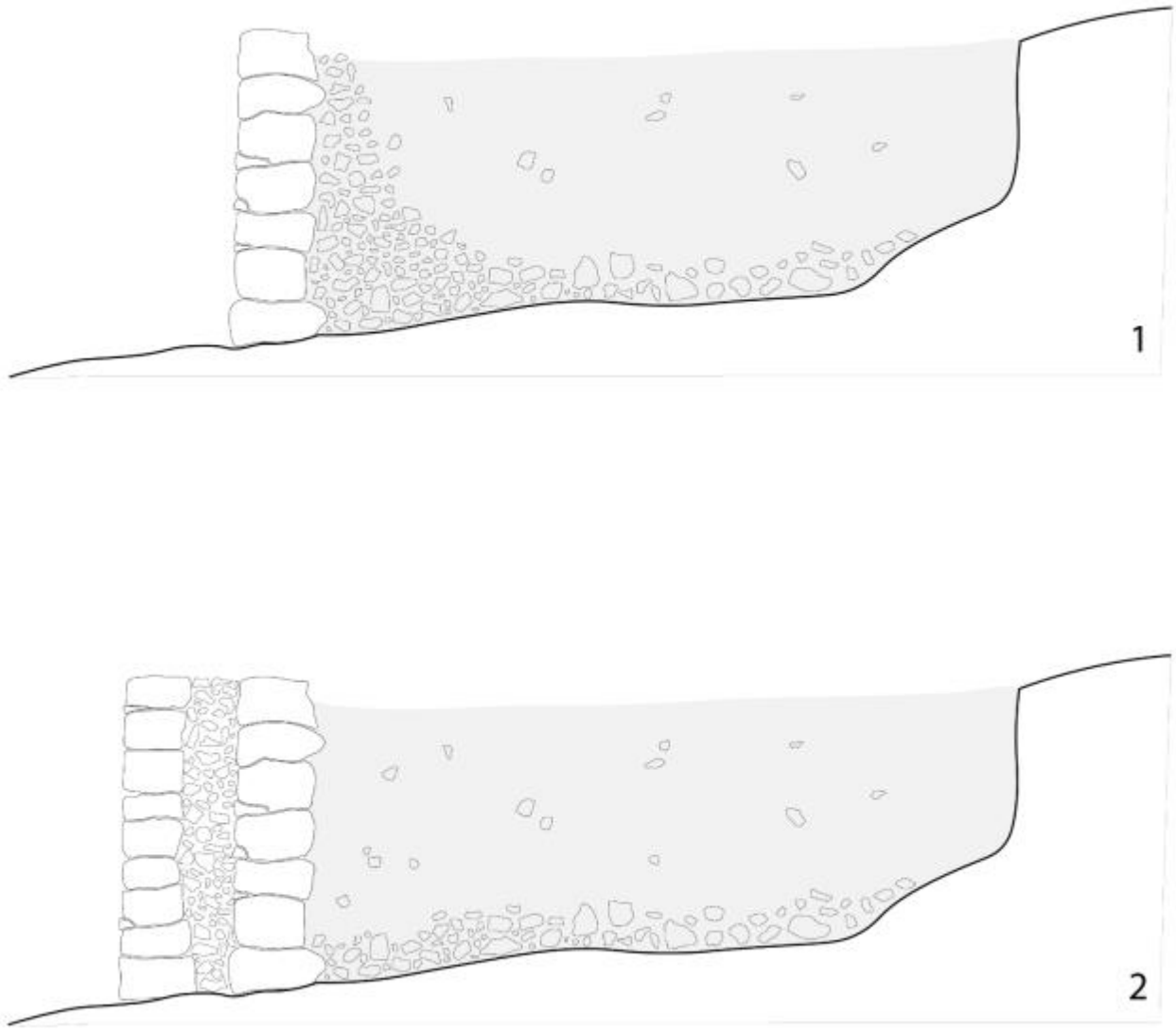

رسم توضيحي رقم (10): مقطع عرضي يبين الفرق بين السنسلة المكونة من (1) جدار حجري واحد وصرار خلفه، وبين (2) السنسلة المكونة من لقطتين وصرار بينهما.

صورة رقم (18): سنسلة من لقطتين، صممها الفلاح عريضة جدًا (حوالي 1.5 م) لتتسع للكثير من الحجارة التي كانت في الموقع. الصورة في منطقة وادي العقدة. تصوير الباحثة: 18 آذار 2022.

د – تصنيف السناسل بناء على طبيعة السنسلة فوق مستوى الحبلة

يختلف ارتفاع السنسلة فوق مستوى الحبلة من حالة إلى أخرى، ويمكن الحديث عن أربعة أنماط: أن تكون السنسلة مع مستوى الحبلة، وهذا نراه في المناطق المنبسطة؛ أو أن تستمر السنسلة بنفس التكوين على ارتفاع أعلى من الحبلة بقليل (عشرات السنتمرات)؛ أو أن تضاف للسنسلة لقطة على ارتفاع أعلى من الحبلة (حوالي ثلاثين سنتمرًا كما تبين الدراسة لاحقًا)؛ أو أن ترتفع السنسلة عاليًا (وبنفس التكوين) فوق مستوى الحبلة.

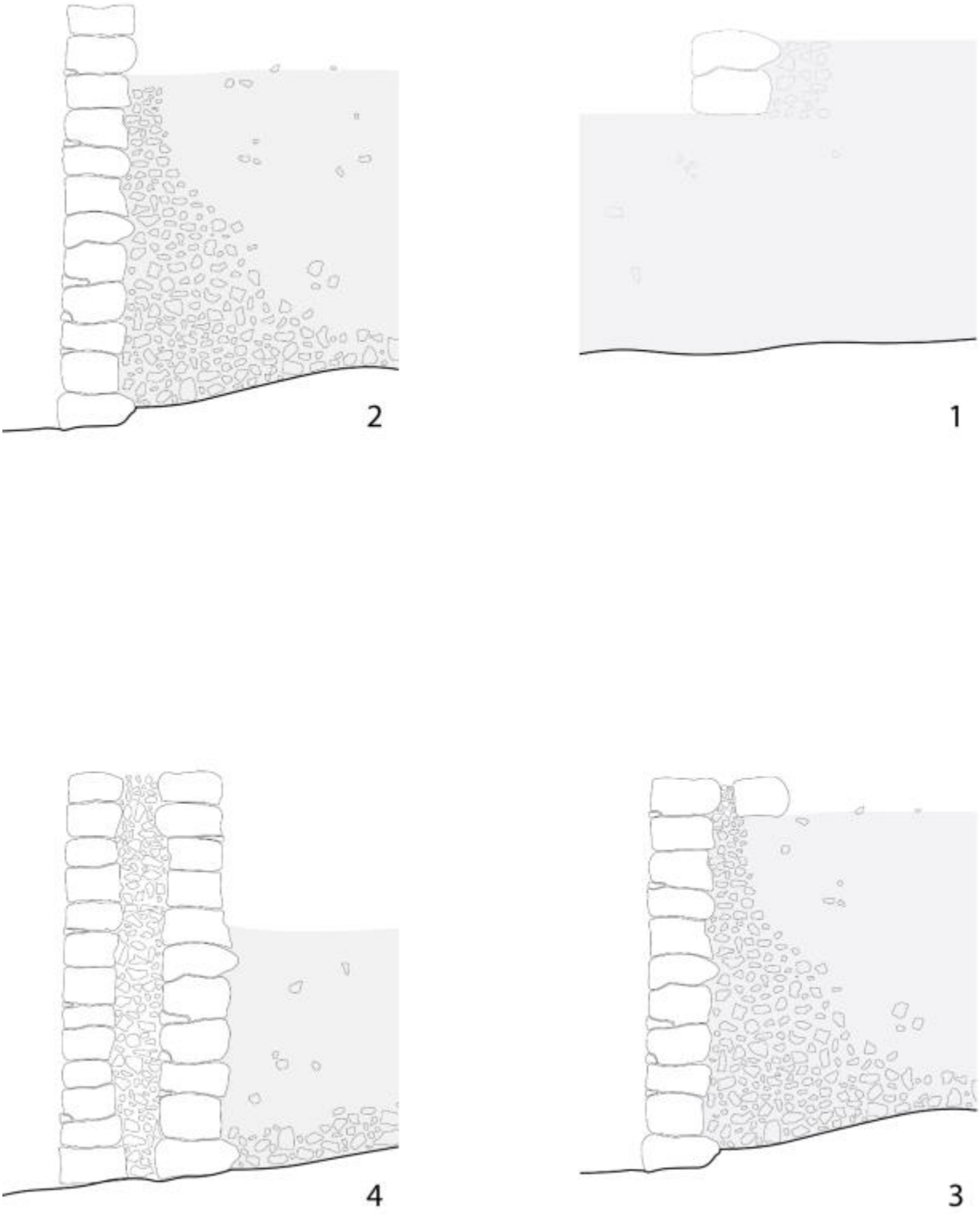

رسم توضيحي رقم (11): مقطع عرضي يبين تصنيف السناسل بناء على طبيعتها فوق مستوى الحبلة. (1) سنسلة مع مستوى الحبلة، (2) سنسلة أعلى من الحبلة بقليل، (3) سنسلة مع لقطة، (4) سنسلة ترتفع كثيرًا فوق الحبلة.

هـ – تصنيف السناسل بناء على طبيعة أساس السنسلة

يبين القسم التالي من الدراسة أهمية وجود أساس صلب يحمل السنسلة، ويمكن الحديث عن ثلاثة أنماط لطبيعة أساس السنسلة: الأساس المبني من الحجارة الكبيرة بعد حفر التربة وصولًا الطبقة الصخرية؛ او أن تكون السنسلة جالسة مباشرة فوق طبقة الصخر المكشوفة؛ أو أن تكوّن بعض الصخور الكبيرة في الموقع أساسًا للسنسلة أو قسمًا من الأساس.

1

2

3

مجموعة صور رقم (19): (1) سنسلة أساسها بني في حفرة تحت مستوى التربة، (2) سنسلة بنيت فوق طبقة الصخر المكشوفة، (3) سنسلة بني جزء منها فوق صخور كبيرة موجودة في الموقع بشكل طبيعي. الصور في عين يبرود. تصوير الباحثة بتواريخ عدة.

الجوانب التقنية المرتبطة بإنشاء السناسل في منطقة الدراسة، والتحولات

غالبًا ما تصمم السناسل وتنشأ بناء على المعرفة المحلية المتراكمة عبر الأجيال، وبطريقة متلائمة مع البيئة المحلية والظروف البشرية المرتبطة بزمان ومكان الإنشاء، ولهذا توجد تشكيلة كبيرة من أساليب بناء السناسل حول العالم وعلى المستوى المحلي أيضًا.[231] وبشكل عام، فإن العوامل الطبيعية والعوامل البشرية تحكمان التصميم وأسلوب البناء، ولأن هذه العوامل وتفاعلاتها ليست ثابتة مع الزمن، فإن أساليب الإنشاء أيضًا تتبدل مع الزمن.[232] محليًا، هناك اختلاف كبير في تصميم وإنشاء السناسل في سلسلة الجبال الوسطى في فلسطين تبعًا لاختلاف الظروف المحلية جدًا لكل سنسلة، وينتج عن ذلك اختلاف في المخرج النهائي، ولذا تنحصر هذه الجزئية من الدراسة في منطقة سلواد وعين يبرود، وتبني على الرواية الشفوية لفهم أساليب بناء السناسل وصيانتها في منطقة الدراسة، والتحولات التقنية التي طرأت على السناسل.

مواد البناء

إن إنشاء السناسل الحجرية والحبلات الزراعية يستلزم وجود الحجارة والتربة بالأساس، وقد كان الفلاح الفلسطيني يأخذ هذه الموارد الطبيعية من موقع الإنشاء نفسه أو يجلبها من مكان قريب، فتربة المصطبة هي تربة الموقع نفسه، حيث كانت تسوّى أثناء إنشاء

[231] Spencer and Hale, "The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing," 15–21; Treacy and Denevan, "The Creation of Cultivable Land through Terracing," 102–4; Letizia Dipasquale, Valeria Megna, and Renata Prescia, "Dry Stone Buildings in Sicily. An Environmental and Territorial Resource," in *Vernacular Heritage and Earthen Architecture: Contributions for Sustainable Development*, ed. Mariana Correia, Gilberto Carlos, and Sandra Rocha (London: Taylor & Francis Group, 2013), 489–92; Celeste Jiménez de Madariaga, "Dry Stone Constructions – Intangible Cultural Heritage and Sustainable Environment," *Journal of Cultural Heritage Management and Sustainable Development* 11 (February 22, 2021): 619–21, https://doi.org/10.1108/JCHMSD-12-2020-0180.

[232] Moody and Grove, "Terraces and Enclosure Walls in the Cretan Landscape," 185–87; Frederick and Krahtopoulou, "Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility," 82–84.

السنسلة أو تترك على حالها لتأخذ موقعها مع الزمن: " **مهو ييجي تراب لحاله، لما يحرثوا، شوي شوي، ييجي لحاله.**"[233] أما الحجارة المستخدمة لبناء السنسلة، فتكون أيضًا موجودة في الأرض قبل تسوية المصطبة، ويتم استخراج التربة والحجارة أثناء عملية الإنشاء نفسها. وفي هذا يقول السيد فريد علوان (87 سنة):

> " التراب من الأرض، من ربنا، من الأرض، منها وفيها... مهو لما نقيم، الأرض تقبى وعر، بنقيم من هان حجر، ومن هان حجر ومن هان حجر، بتصير الحبلة كلها قايمين الحجار من جواها، واللي فيها قلعان كبار ندشرها بنقدرش نقيمه، ما نسويش أرض دغرية مثلا مربعة وسهلة وحلوة هيذ، فشي كله موديل عتيق يعني، شوي إجور إجور إجور إجور، مناطق مناطق... بظل مترحه التراب، بنقيم القلعة هاذ والقلعة هاذ والقلعة هاذ، بنقيم كل القلع اللي بين التراب، بصير التراب كله ملزق في بعضه البعض... بنرتبه هيذ بس... بنرتبه في الطورية وبالكفاف وبالتراب، نقيم هان جورة غميقة شوي، بنصير نقيم من المحل البعيد ونحط فيها، نسويها دغرية شوية."[234]

هنا، تجدر الإشارة إلى أن الحجارة الموجودة في الأرض نفسها لم تكن دائمًا كافية أو مناسبة لإنشاء السنسلة، ما استلزم قص الحجارة من الصخر القريب في بعض الأحيان، وذلك باستخدام الأدوات التقليدية (القطاعة والبوندية والمهدة وصفائح الحديد)، ثم باستخدام البارود إلى أن منعه الاستعمار الصهيوني.[235] أيضًا فإن الحجارة الموجودة في موقع المصطبة لم تكن دائمًا مناسبة لإنشاء السنسلة، ولذا

---

[233] زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 15 تشرين ثاني 2021).

[234] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

[235] حول قص الحجارة بالطرق التقليدية، يمكن الرجوع إلى حمدان، *العمارة الشعبية في فلسطين*؛ عراف، *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*.

كان الفلاح الفلسطيني يلجأ إلى تصغير حجم هذه الصخور: " **يبنوهن، يجيبوهن هالحجار، الدبش اللي حواليهم من هان ومن هان، ويطبشوا يقبى معه مهدة الواحد، قلعة كبيرة يطبشها، ويزغرها شوي شوي ويبلش يسفط فيها.**"[236]

عمليات الإنشاء والصيانة

حسب الرواية الشفوية، يبدأ إنشاء السنسلة بحفر الأساس (أو الشرش) بشكل مواز لخطوط الكنتور، وفي الموقع المراد بناء السنسلة فيه، من خلال إزالة التربة بالطورية على عمق ثلاثين سنتمرًا على الأقل، بهدف الوصول إلى قاعدة صلبة تبنى عليها السنسلة لضمان ثباتها، أما التراب المجروف، فيزاح لاستخدامه لاحقًا لتسوية الحبلة الزراعية. وفي الحفرة الطولية، يتم ترتيب الحجارة الكبيرة (الحجر بعرض ثلاثين أو أربعين سنتمرًا على الأقل) مع ضمان تلاصقها. بعد ذلك، يبدأ الفلاح بترتيب الحجارة الكبيرة (تعرف بالدبش أو الحجارة الرَطّالي) لإنشاء السنسلة، وغالبًا ما يضع الحجارة الأكبر والأثقل في الأجزاء الأخفض من السنسلة، أو يخلط ما بين الحجارة الكبيرة والصغيرة مع مراعاة تشريك الحجارة لضمان ثباتها: " **المهم يبقى قاعد ملزق في أخوه وقاعد مزبوط،**" وقد يحتاج في بعض الحالات إلى وضع الشحف أو الصرار بين الحجارة لمزيد من التثبيت.[237] أحيانًا، كان البنّاء يلجأ إلى تعديل شكل الحجارة لتصبح أكثر ملاءمة للبناء: " **إذا مثلًا الحجر مسوي زي كوز الصبر، بدي أكسر منه شقة مشان يقعد يصيرله وجه، بعمللله وجه في الشقّوف.**"[238] ومع الارتفاع في البناء، يقوم الفلاح بوضع الصرار وراء حجارة السنسلة لتثبيتها: " **الصرار بلكى، في الهزات الأرضية في إشي، بلكى التراب، وبعدين بشد السنسلة.**"[239] هذا الصرار يرمى بشكل عشوائي كطمم، بعرض ثلاثين أو أربعين سنتمرًا على الأقل عند القاعدة، ويقل عرض الصرار مع الارتفاع إلى الأعلى، ويشترط أن يكون الصرار ناعمًا، أي بحجم قبضة اليد أو أصغر، لأن وضع حجارة أكبر في الطمم يعرض السنسلة للانهيار لو تحرك الحجر الكبير، أيضًا فإنه من الضروري أن يتناسب حجم الصرار مع طبيعة السنسلة: " **حياة إمي، تقولي، يما، ما سنسلة إلا إلها صرار، بشدش السنسلة إلا غير، الصرار، أمن زيادة عن النطاق، في**

---

[236] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

[237] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ يوسف يعقوب خلال ورشة ساقية حول بناء السناسل (عين قينيا: 27 تشرين ثاني 2021)، ويقول يوسف يعقوب أن المثل المتعارف عليه "صرارة بتلقى قلعة" يأتي من قدرة الصرار على تثبيت السنسلة.

[238] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.

[239] زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

السنسلة صرار، بفزرها."[240] تستمر عملية إنشاء السنسلة على هذا المنوال: بناء الحجارة ووضع الطمم وراءها، حتى يصل الفلاح الارتفاع المناسب لطبيعة الأرض. حينها، يقوم الفلاح بتسوية التربة فوق الطمم، ويلي ذلك بناء طبقة من الحجارة فوق السنسلة، على ارتفاع ثلاثين سنتمرًا فوق مستوى التربة، تعرف باسم اللقوة، بهدف منع الانجراف السطحي لتربة المصطبة.

بالطبع، فإن هذا الأسلوب ليس موحدًا وثابتًا، وإنما تحوّره المعرفة المحلية ليناسب خصوصية كل سنسلة. على سبيل المثال، إذا كانت الطبقة الصخرية مكشوفة، فإن السنسلة تبنى عليها مباشرة دون حفر، ينطبق هذا أيضًا على الحالات التي تتواجد فيها صخرة كبيرة في المنطقة المراد إنشاء السنسلة عندها: " **هاظا القلع، حجار خلقة بتبقى في الأرض، هي ببنوا عليهن السناسل، بظلين مثل ما هنّا، لو يقعدن كد ما يقعدن بظلين مثل ما هنّا.**"[241] وفي حالات أخرى، عندما تحتوي الأرض على كمية كبيرة من الحجارة، أو حين تؤدي عملية إنشاء المصطبة إلى إخراج الكثير من الحجارة من الأرض، فإن الفلاح يلجأ إلى إنشاء سناسل عريضة: "**مشان يلم كل الخمة في جواها، وين بده يروح في الخمة، هيه ببني سنسلة عريظة مشان يوم ما يكيم كل الصرار من الحكورة، السنسلة تسعها.**"[242] وأحيانًا، تبنى السنسلة من جدارين حجريين من الدبش، يعرف كل منهما باللقطة (بمعنى حافّة)، ويوضع الطمم من الصرار الناعم بين الجدارين، وفي هذه الحالة لا نجد صرارًا خلف اللقطة الداخلية. وينطبق نموذج اللقطتين على السناسل المعاكسة لاتجاه الكنتور، رغبة في الحصول على سنسلة بوجهين مرتبين.

[240] حربي عياد، مقابلة مسجلة.
[241] حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1.
[242] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.

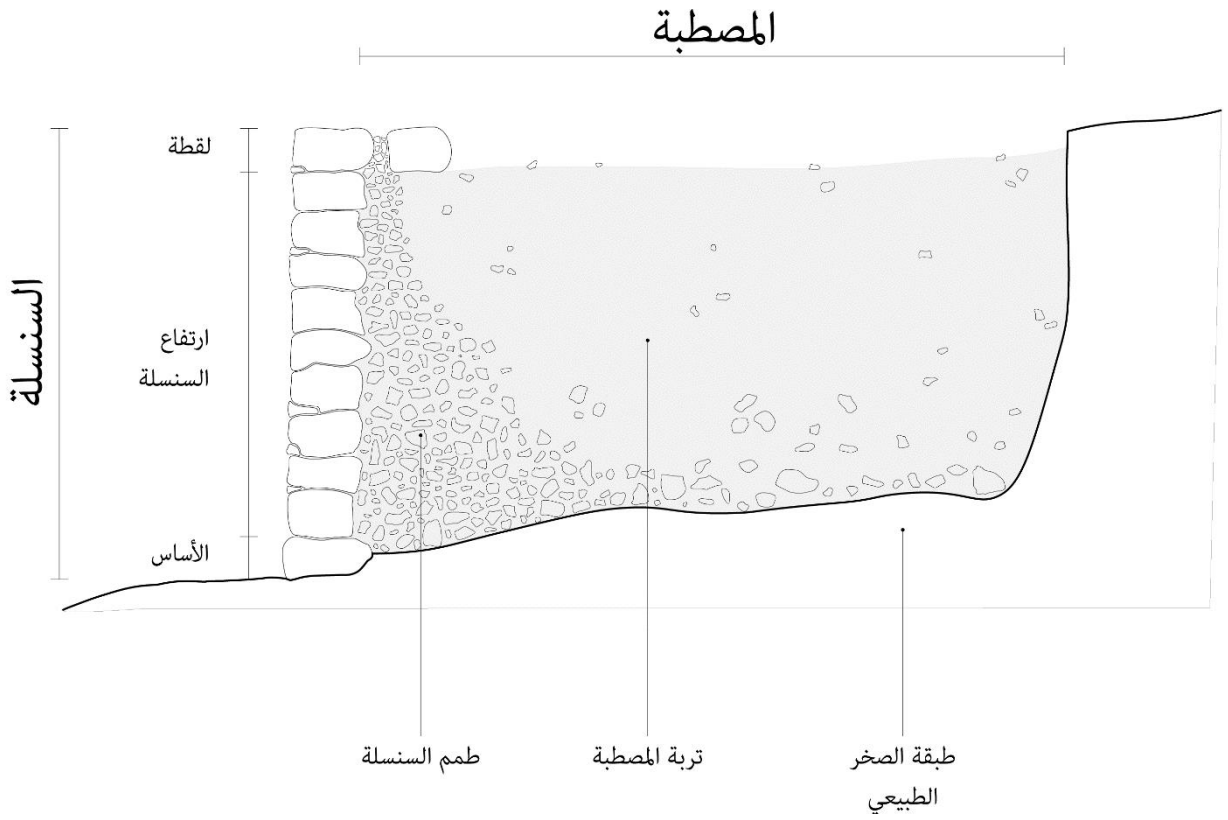

رسم توضيحي رقم (12): أجزاء المصطبة والسنسلة.

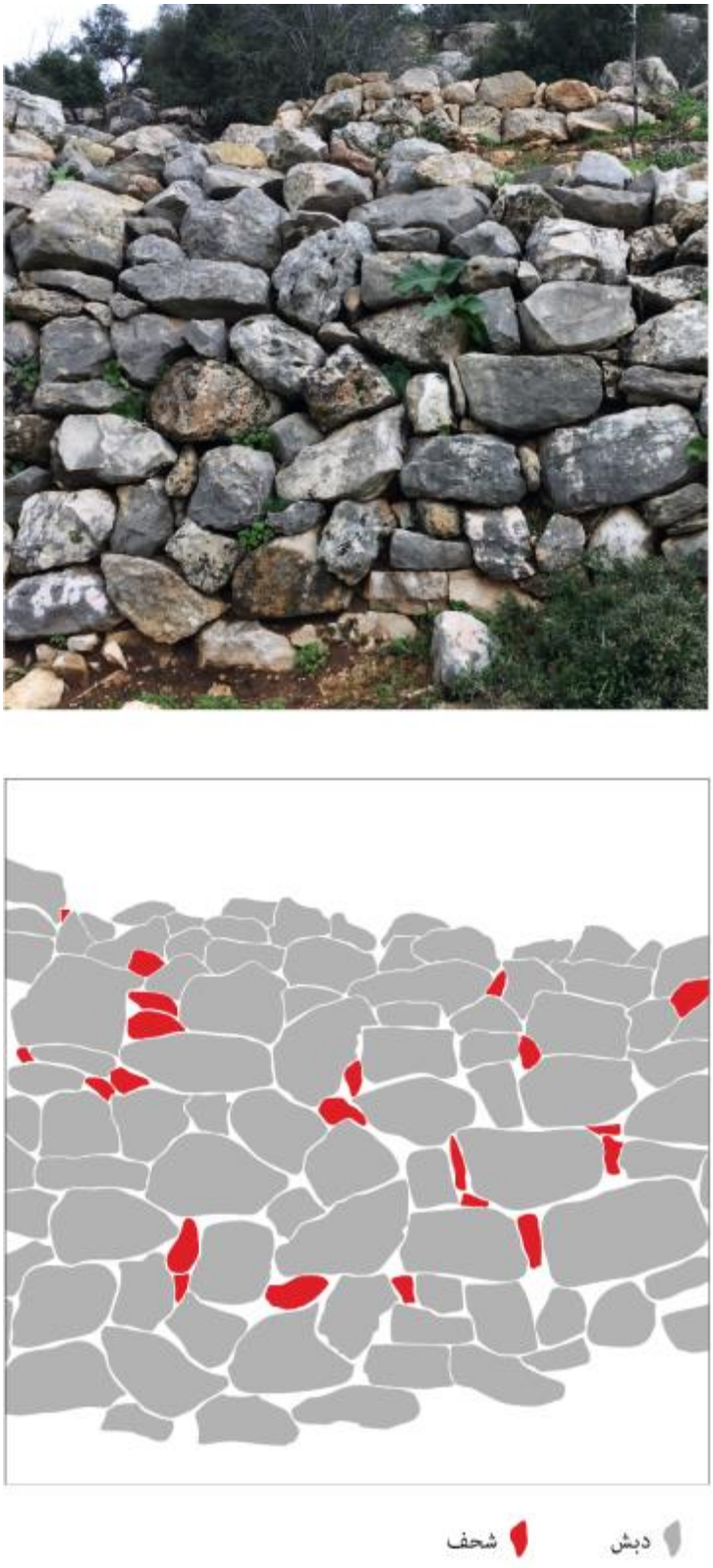

رسم توضيحي رقم (13): واجهة تبين أنواع الحجارة المستخدمة في السنسلة. الصورة في عين قينيا. تصوير الباحثة: 20 شباط 2022.

رسم توضيحي رقم (14): أدوات تقليدية يستخدمها السيد رائد فايق دار فرحات لإنشاء السناسل التقليدية.

صورة رقم (20): عملية إنشاء سنسلة ومصطبة زراعية، تظهر السنسلة مبنية ووراءها طمم قيد العمل في الجزء الأبعد من الصورة، وفي الجزء الأقرب تظهر منطقة طبيعية غير معدلة، مقارنة الجزء القريب والجزء البعيد يمكننا من إدراك مدى تغيير هذه السنسلة على المشهد. الصورة في أبو غوش في الأربعينيات.

المصدر: مجموعة ماتسون، أرشيف مكتبة الكونجرس. رابط الصورة هنا.

صورة رقم (21): عملية إنشاء سنسلة ومصطبة زراعية، تظهر عملية قلب الأرض لاستخراج الحجارة والتربة وتسوية المصطبة. الصورة في أبو غوش في الأربعينيات. المصدر: مجموعة ماتسون، أرشيف مكتبة الكونجرس. رابط الصورة هنا.

صورة رقم (23): عملية إنشاء سنسلة ومصطبة زراعية، تظهر عملية قلب الأرض لاستخراج الحجارة والتربة وتسوية المصطبة. الصورة في أبو غوش في الأربعينيات. المصدر: مجموعة ماتسون، أرشيف مكتبة الكونجرس. رابط الصورة هنا.

صورة رقم (23): أساس سنسلة قيد العمل في عين يبرود. يظهر إلى يمين الصورة تراب وحجارة كبيرة وحجارة صغيرة أحضرها مالك الأرض من موقع آخر في القرية لبناء السنسلة. تصوير الباحثة، 28 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (24): لقطة قيد العمل في عين يبرود. تمت تسوية التربة فوق الصرار الناعم بشكل كامل، وتم تجهيز اللقطة في الجزء الأبعد من الصورة، ورصفت الحجارة التي ستستخدم لاستكمال اللقطة لاحقًا. تصوير الباحثة، 28 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (25): سنسلة مبنية دون أساس، فوق صخور موجودة أصلًا في الموقع. تصوير الباحثة، 4 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (26): سنسلة منهارة تظهر فيها لقوتان بينهما صرار. تصوير الباحثة، 18 أيلول 2021.

ترميم السناسل

قد تضعف السناسل أو تنهار جزئيًا أو كليًا، بسبب الأمطار والثلوج والزلازل والأغنام وغير ذلك. في السابق، كان الفلاح الفلسطيني يواظب على تفقد سناسله ويصلحها إن لزم. ولكن كيف كان يصلح السناسل؟ تختلف الإجابة بحسب الحالة، فإذا كانت السنسلة منهارة جزئيًا أو كليًا، فلا بد من إزالتها من أساسها (نقضها)، عن طريق فرز كل من التربة والصرار والدبش على حدة، وإعادة حفر الأساس وإعادة بناء السنسلة من الصفر: " **لإنه اللي بده يزبط من فوق لفوق ملش مستكبل، لازم من الشرش.**"[243] أما إذا

[243] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.

ضعفت السنسلة ولكنها بقيت ثابتة إلى حد ما، وكان الفلاح لا يرغب بنقضها توفيرًا للوقت والجهد، فكان يدعمها بسنسلة أخرى أقصر (تصل إلى منتصف السنسلة الأم أو أقل) تعرف بالسِدّة أو اللقوة أو البغلة، وتبنى بنفس طريقة بناء السنسلة العادية، مع ضمان أن يكون الأساس قويًا وأن تكون هذه السدة ملاصقة للسنسلة الأم لتسندها. وهنا لا بد من تجنب الخلط بين السنسلة المضاف لها سدة، وبين السنسلة التي تشتمل على قَصّة أو خصرة أو سدة أو لقوة أو بغلة بالأساس. فرغم تشابههما في الشكل النهائي، إلا أن السناسل المخصورة تبنى دفعة واحدة على تدرج، بحيث يكون النصف السفلي من السنسلة أعرض من النصف العلوي، ويتم اللجوء إلى هذا الأسلوب فيما لو كانت الأرض تتطلب سنسلة عالية الارتفاع (بالتالي عريضة لتحمل وزن التربة الكبير)، لكن الطمم لا يكفي لإنشاء سنسلة بهذا العرض.

صورة رقم (27): سنسلة بها انهيار، تم نقض الجزء المنهار لإصلاحه. تظهر في الصورة طبقة الأساس قيد العمل، وتظهر طبقة التربة والطبقة الصخرية الطبيعية، وفي اعلى الصورة يظهر الصرار الذي كان في السنسلة موضوعًا إلى حين استخدامه، التراب والدبش فصلا على جهتين أخرتين. الصورة ضمن ورشة ساقية حول صيانة السناسل. تصوير الباحثة، 27 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (28): نقل الدبش (دحله) إلى الموقع المطلوب في السنسلة. الصورة ضمن ورشة ساقية حول صيانة السناسل. تصوير الباحثة، 27 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (29): تعديل الحجارة للحصول على الشكل والحجم المناسب للسنسلة. الصورة ضمن ورشة ساقية حول صيانة السناسل. تصوير الباحثة، 27 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (30): السنسلة أثناء العمل، يتم التحقق من ثبات الحجارة ن خلال الضرب عليها بالمهدة. الصورة ضمن ورشة ساقية حول صيانة السناسل.

تصوير الباحثة، 27 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (31): سنسلة أثناء الصيانة، يظهر في الطرف البعيد من الصورة المقطع العرضي للجزء الثابت من السنسلة، والذي لم يكون هناك داع لنقضه.

تظهر أيضًا طبقة الدبش وطبقة الصرار الناعم. الصورة ضمن ورشة ساقية حول صيانة السناسل. تصوير الباحثة، 27 تشرين الثاني 2021.

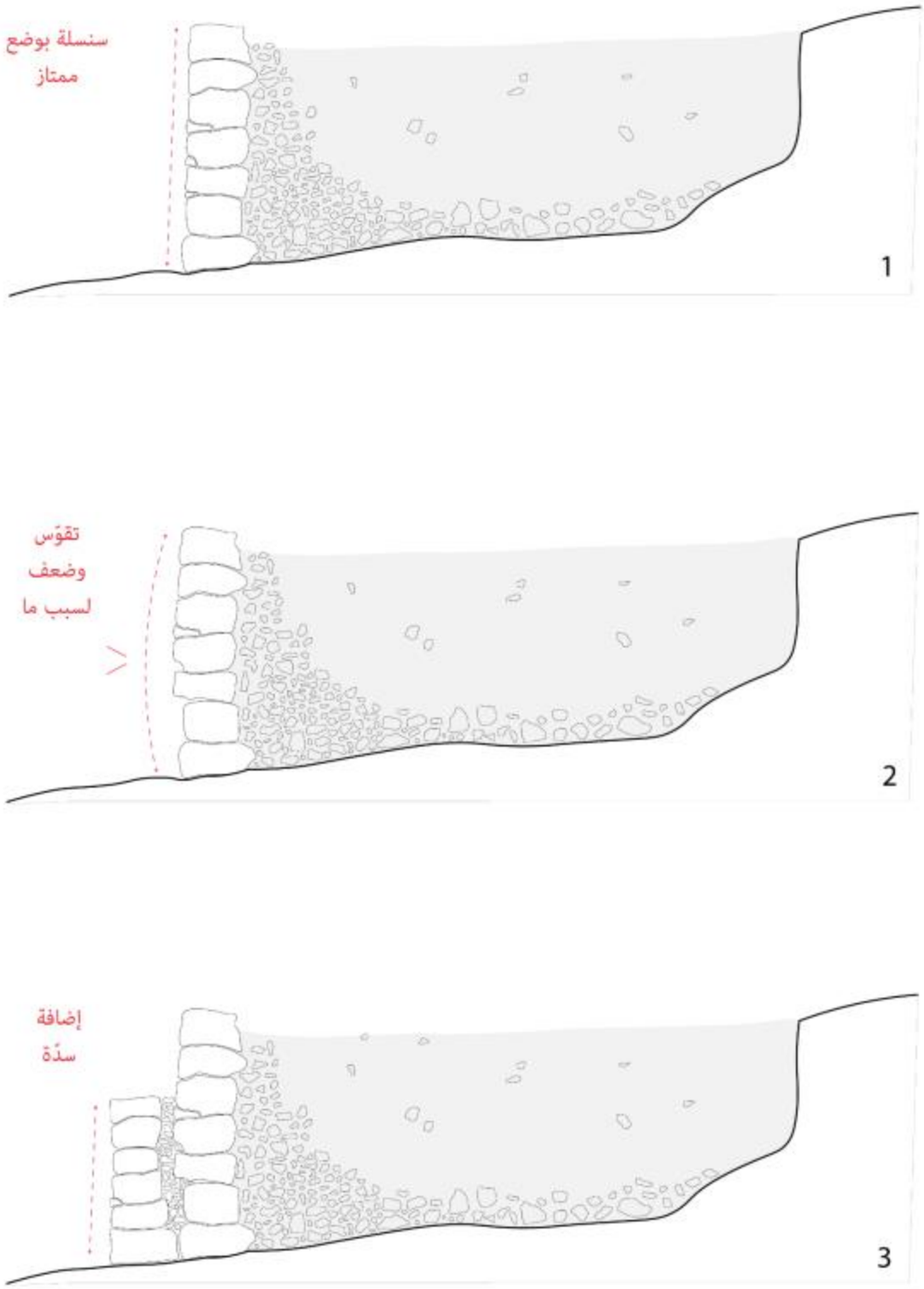

رسم توضيحي رقم (15): مقطع عرضي لإضافة سدة إلى سنسلة ضعيفة. (1) مشكلة في سنسلة تظهر على شكل تحرك بعض الدبش من موقعه وبروز السنسلة للخارج في منتصفها، (2) إضافة السدة أو اللقوة أو البغلة لدعم السنسلة الأم.

صورة رقم (32): تظهر سدة أو لقوة أو بغلة في المنطقة الوسطى من السنسلة. الصورة في سلواد. تصوير الباحثة، 18 كانون الثاني 2022.

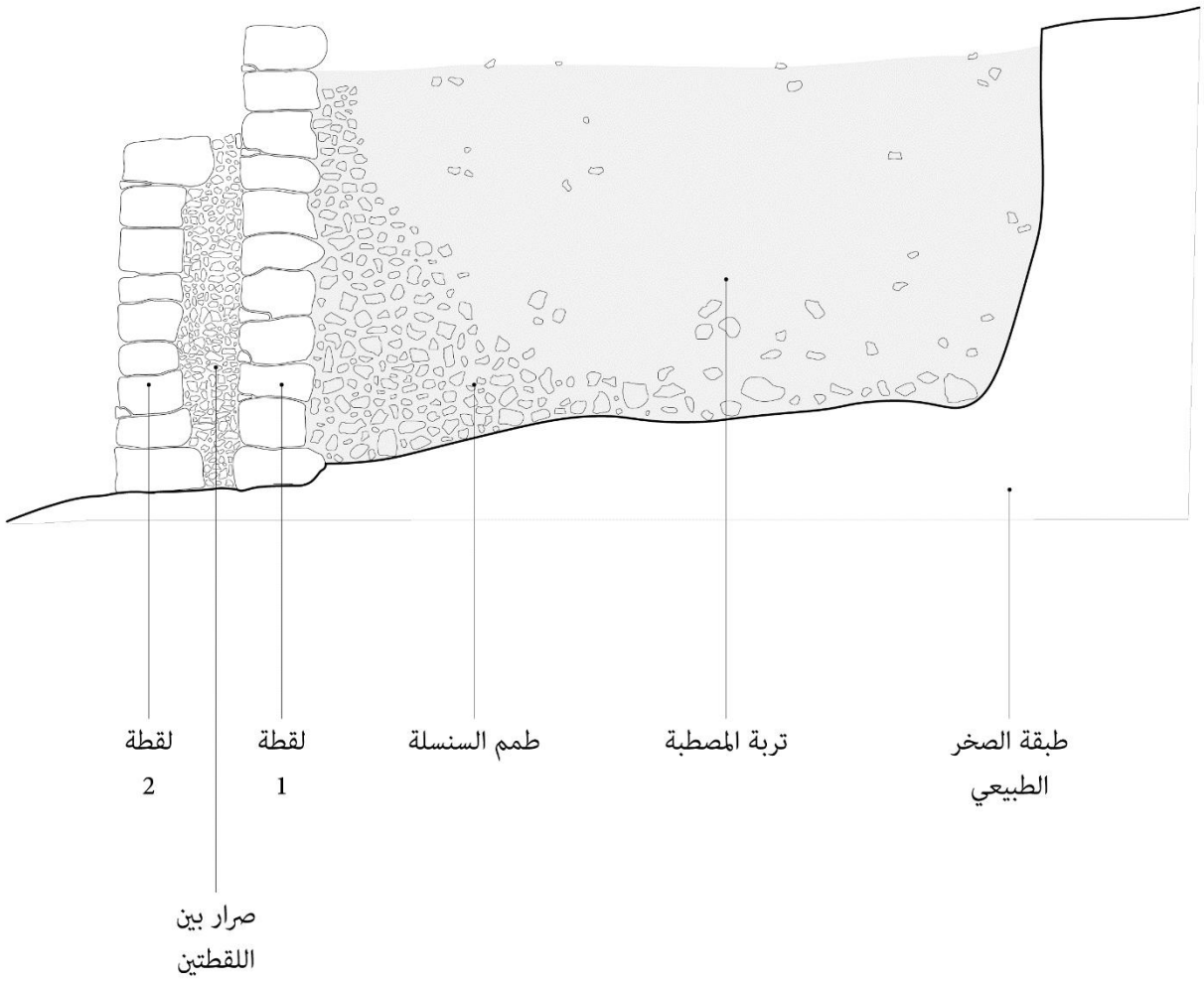

رسم توضيحي رقم (16): مقطع عرضي يوضح فكرة القصة أو الخصرة.

صورة رقم (33): سنسلة مخصورة في قيرة. تصوير عمر تسدال، 3 شباط 2022.

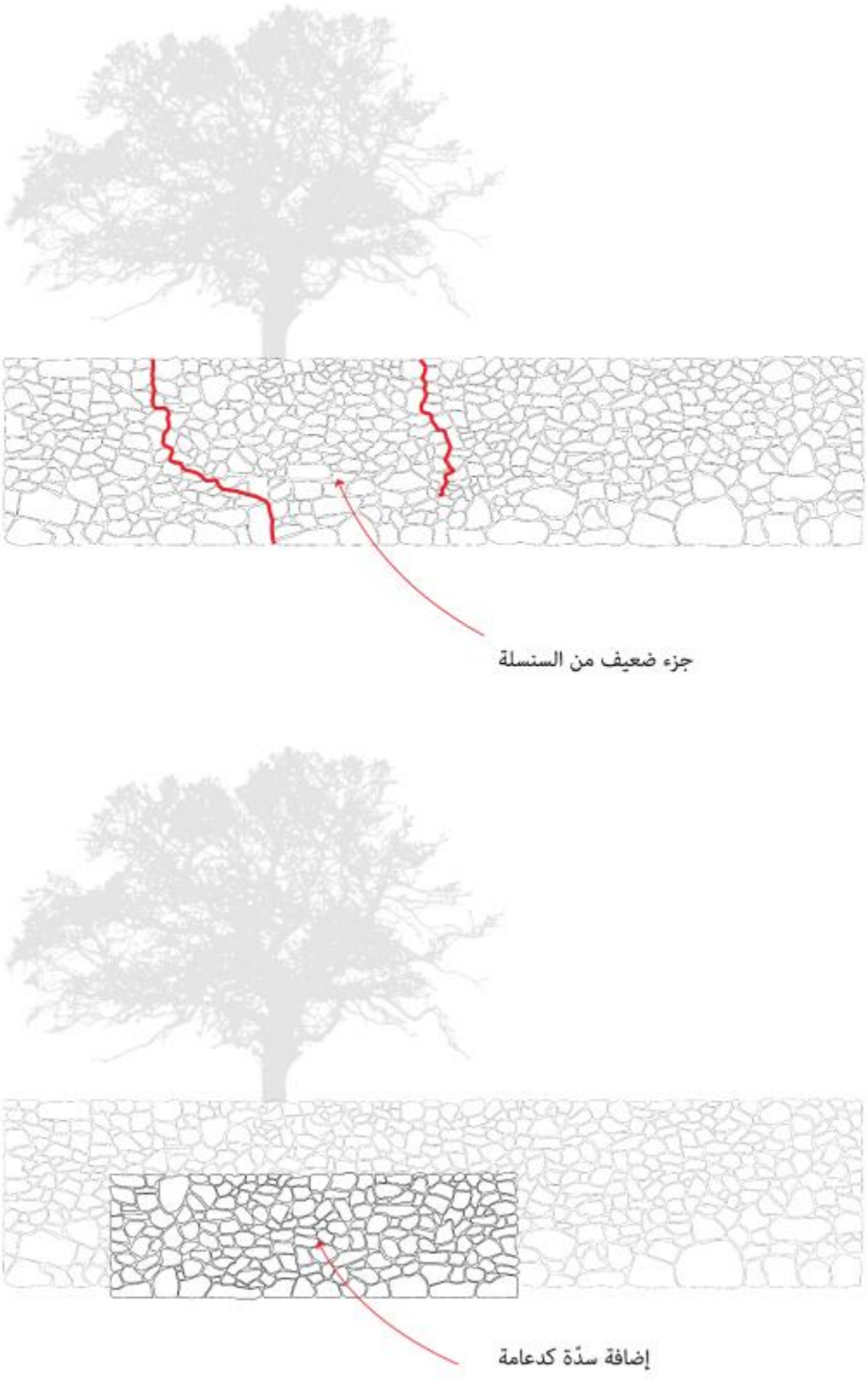

رسم توضيحي رقم (17): واجهة تبين إضافة السّدة كدعامة.

بعض التحولات التقنية على السناسل

أشارت الدراسة في مقدمة هذا الفصل إلى أن الأدبيات الإسرائيلية ترى أن إنشاء السناسل حدث منته في الماضي البعيد، وأن الفلاح الفلسطيني غائب عن إنشاء السناسل. من ناحية أخرى، تبين أن الدراسات الفلسطينية ترى تراجع السناسل في السنوات الأخيرة، وتعتبر أن السناسل عناصر في مرحلة الدمار لا غير. للوقوف أمام الدراسات الإسرائيلية التي تغيب الفلاح الفلسطيني، وثقت الدراسة في الأقسام السابقة المعرفة المحلية الفلسطينية بإنشاء السناسل، وأثبتت أن الفلاح الفلسطيني استمر في إنشاء السناسل حتى الآن. أما هذا الجزء من الدراسة، فيأتي ليحاور الدراسات الفلسطينية التي تنظر بعمومية إلى السناسل كشيء متراجع، حيث يبين هذا القسم أن السناسل أحيانًا تسير في مسارات تحول جديدة لتلائم الظروف المستجدة، ما يعني أن التراجع هو ليس التعميم.

تتحول أساليب بناء السناسل في كثير من الأحيان لتتماشى مع التحولات المحيطة، كالتحولات على دور السناسل ومالكها وبانيها، ودخول الآلات الثقيلة المدفوعة بالوقود الأحفوري إلى عمليات إنشاء السناسل بعد أن كانت مدفوعة بجهد الإنسان. هناك توجه جديد في إنشاء السناسل، وهو الانتقال من التصميم مع الموقع إلى التصميم الموحد نوعًا ما، بمعنى تغيير طبيعة الأرض بشكل كبير وإزالة معالمها قبل بناء السناسل: " **يعني مثلا، واحد عنده دونمين أرض، خراب بور، ودبش وصخر، بجيب هالباجر، بظربها الصخر الكبير العالي هاظ، وبعدين باجر زغير وبنبحش ساسات وبنسنسل.**"[244] بالطبع، فإن السناسل على أشكالها تغير في المشهد الطبيعي، فحتى السناسل التقليدية المتناغمة مع محيطها تغير في طبيعة المشهد، لكن هذا التغيير يقع على درجات متفاوتة.[245] وبرأي الدراسة، فإن التصميم والإنشاء بمعزل عن السياق المحلي للسنسلة إشكالي على عدة أصعدة، أهمها تراجع ديناميكية السناسل والمشهد الطبيعي ككل، كما بين الفصل الثاني.

توجد الكثير من التحولات الأخرى في منطقة الدراسة. على سبيل المثال، فإن السدد المستخدمة لحماية التربة على شجرة واحدة قد كانت معتمدة في كثير من الأحيان، أما اليوم فقد تراجعت بسبب تغير أسلوب حراثة الأرض: " **اليوم قاعدين بلغوا فيهن السدد... لأنهن تعبات، التركتور بحرثهنش، وبدهن بحيشة... شو بسووا، بعملوا سنسلة دغري، وبفتحوا وبغطوها تراب، وخلص**

[244] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.

[245] Sandor, "Ancient Agricultural Terraces and Soils," 512–14; Tarolli, Preti, and Romano, "Terraced Landscapes."

بتقعد."[246] وكما تلغى السدد، فإن المصاطب الرفيعة أيضًا قيد التغير الآن: " **اليوم عشان في بواجر، بنفتح زقاقين على حبلة، زقاق على حبلة، بتصير الحبلة كبيرة.**"[247] هناك تغير آخر، يتمثل في التوجه نحو استبدال نموذج السنسلة التقليدي بصخور ضخمة هندسية الشكل تعرف باسم "القلع"، ويرتبط هذا النموذج بمحو عناصر المشهد الطبيعي وتحويله إلى خطوط هندسية دخيلة على الموقع، وإحضار التربة والصخر من أماكن بعيدة. ورغم تصميم القلع الدخيل على البيئة المحيطة والضرر البيئي الكبير لهذا النموذج، إلا أن أهالي عين يبرود وسلواد يعتبرون هذا التصميم نوعًا من الاستصلاح والتعمير الذي لا بد من اعتماده.[248] هذا الإعجاب بنموذج الجدار الصخري (القلع) يجعل الكثيرين يستبدلون السناسل التقليدية بالصخور الكبيرة:

> " فيها سناسل، بس والله هاظا، إحنا جرفناها جديد يعني... تقولي بقت فيها وعر كثير بين الزتون، فجبنا الجرافة، اشتغلتلنا فيها كمن يوم، كلعت كل هالصخر اللي في وجه الزتون، اه، وعملته كلع يعني... اه بدال السناسل... اه كله عالجرافة، والا مهي الكلعة بتيجي كد هالكرسي عمشر مرات."[249]

هناك تحولات أخرى حدثت على السناسل مؤخرًا، وهي مرتبطة بشكل السنسلة ودرجة حضورها في المشهد الطبيعي. قديمًا، كان الفلاح الفلسطيني يهتم بشكل السنسلة في كثير من الأحيان، لكن التقنيات التي بين يديه والوقت كانا يحكما المخرج النهائي. أما اليوم، فقد أصبح الشكل النهائي محورًا مهمًا، لدرجة اعتبار السناسل القديمة غير متقنة: " **بقوش يزبطوهن ولشي عادي، شو ما اجا بباله الواحد يبني المهم يلقا التراب ميطيحش عالأرض، مشان يلقوا التراب حبايل حبايل... عالبركة... مش زي اليوم، اليوم في ترتيب ونظام، اليوم بتلاقيه عالخيط وببنوا وبعدلوا السنسلة وبطلعلها منظر، مش زي قبل.**"[250] في الواقع، فإن هذا الانتقال نحو

---

[246] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.
[247] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.
[248] الجمعية الزراعية في عين يبرود، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 6 كانون الثاني 2021).
[249] حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1.
[250] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

الخطوط الهندسية المستقيمة يتطلب تدخلًا كبيرًا للآلة وجلب المواد من خارج الموقع: " **يعني اليوم قاعدين الناس بشتروا حجار مشترى، وموحد... هلقيت في إشي من الأرض ومن نفس السناسل... فبيجين وعرات بيجين منظرهن مش حلو... حسب، صاحب الأرض إذا بده يشتري حجار.**"[251] وكما أن الحجارة تجلب من الخارج، فإن التربة أيضًا يتم إحضارها من أماكن بعيدة وبكميات ضخمة لتكفي التغييرات الكبيرة على طبيعة الأرض: "**هي الأرض هذي نقل عليها تراب، عمرها في حياتها ما ساوت تراب... هذي بقت بقولك ميعرفش الجاجة تمشي... جبلها تراب إشي بلاوي، ميات النقلات... من بيرزيت، ومن هان ومن هان.**"[252] من ناحية أخرى، يمكن الحديث عن استخدام مواد أخرى دخيلة عن الموقع في إنشاء السناسل، حيث وثقت الدراسة الكثير من حالات إدخال الإسمنت في كحلة السناسل أو فوق السناسل، وهو في الحالتين إشكالي، ليس فقط بسبب ضرر الإسمنت في المشهد الطبيعي، وإنما لأنه يغير في مدى حيوية السناسل وديناميكيتها.

لقد تبين في هذا القسم أن السناسل لم تتجمد عند زمن معين، وإنما تحولت وتتحول باستمرار. هنا، من المهم الإشارة إلى إن التحولات التي تحدثت عنها الدراسة في هذا القسم لا تشمل جميع التحولات على السناسل، لكن الدراسة لا تتسع لنقاش تحولات كثيرة على مستويات مختلفة. مما سبق، يتضح أن بعض التحولات الأساسية على السناسل هي الانتقال نحو النموذج الموحد، وإلغاء بعض الأنواع الموجودة لصالح أنواع يسهل التعامل معها بوجود الآلة، والانتقال نحو تغيير المشهد بشكل كبير من خلال فرض سناسل مستقيمة ضخمة، وإدخال مواد من الخارج، بعضها طبيعية وبعضها مصنعة، كالإسمنت. وبالمجمل، يمكن القول بأن التحولات المذكورة تغير في المشهد الطبيعي بشكل كبير قد لا يبدو إيجابيًا، فمن ناحية أولى، فإن هذه التحولات تعني إدخال المزيد من الأراضي تحت الاستغلال البشري، واقتطاع المزيد من مساحات المواطن الطبيعية للكائنات الحية المختلفة لصالح زراعة موحدة هي زراعة أشجار الزيتون، هذا لا يعني أن زراعة الزيتون إشكالية، ولكن خسارة التنوع في المشهد الزراعي الإيكولوجي بطريقة متفاقمة هو الإشكالي. من ناحية ثانية، فإن كل تغيير من التغييرات التي تحدث عنها هذا القسم هو تغيير ذو أثر كبير على المشهد الطبيعي مقارنة بأثر السناسل التقليدية، وهذا يعني تفاقم البصمة البشرية في المشهد بطريقة غير مدروسة العواقب على المدى القريب والبعيد. من ناحية ثالثة، فإن خسارة التنوع وتوحيد أنماط السناسل إشكالي لأنه يضعف حيوية المشهد وكافة التفاعلات فيه كما بين الفصل الثاني من الدراسة. من ناحية

[251] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.
[252] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.

أخرى، فإن التغيير كبير المقياس على المشهد الطبيعي، والمدفوع بقوة الآلة ورأس المال الأجنبي (يتحدث الفصل الرابع عن هذه الجزئية) يؤدي أيضًا إلى تراجع حيوية المشهد وتفاعلاته، وهذا يجعل المشهد الزراعي الإيكولوجي أقل استدامة على المدى القريب والبعيد.

صورة رقم (34): سناسل مصصمة بشكل متناغم مع المشهد وسناسل غريبة عنه. يظهر إلى يمين الصورة جدار من الصخور الكبيرة (القلع)، وإلى يسار الصورة سناسل بنيت من حجارة من موقع آخر، على شكل خطوط هندسية غير متناسقة مع المكان، وبينهما سناسل قديمة ذات تأثير أقل على المشهد ومتناغمة معه. تصوير الباحثة، 13 كانون الأول 2021.

صورة رقم (35): تحضيرات لإنشاء سنسلة جديدة، تم جلب الحجارة والتربة من موقع بعيد في القرية، وفرزت الحجارة الكبيرة على حدى ووضعت مؤقتًا على حد الأرض لتخيل موقع السنسلة النهائي. تصوير الباحثة، 28 تشرين الثاني 2021.

صورة رقم (36): تحولات على السناسل: حجارة من خارج الموقع، واستخدام الاسمنت في السنسلة كنوع من "تجميل" السنسلة، وهذا إشكالي لأن إغلاق الفراغات بين الحجارة يمنع تسرب الماء الفائض عن حاجة المصطبة ويعرض السنسلة للانهيار، ولأن الإسمنت مادة دخيلة على الموقع. الصورة في عين يبرود. تصوير الباحثة، 13 كانون الأول 2021.

زراعة الجبال قبل/ دون سناسل

تتوقف الدراسة على مسألة الزراعة دون اللجوء إلى سناسل، لأن هذه المسألة تغيب عن الدراسات الفلسطينية رغم أهميتها للفلاح الفلسطيني، ولأنها تعطي إشارات لبدائل يمكن اللجوء إليها لزراعة الجبال دون إحداث تغييرات هائلة على المشهد الطبيعي. إن الفلاح الفلسطيني قد حاول إعادة إنتاج المشهد ليلائم حاجاته الزراعية، ولعل البنى التحتية الزراعية أكبر دليل على ذلك كما بينت الدراسة

حتى الآن. ولكن هل قام الفلاح الفلسطيني بتغيير كافة أجزاء المشهد الطبيعي؟ وهل كان التغيير بنفس الدرجة دائمًا؟ ببساطة، فإن طبيعة المعرفة التي حملها الفلاح الفلسطيني ودرجة قوة الأدوات والآلات بين يديه وطبيعة حاجاته الزراعية وغيرها قد حكمت في كثير من الأحيان قدرته على تغيير المشهد الطبيعي ودرجة هذا التغيير. على سبيل المثال، تحدث هذا الفصل – في قسم التصنيف – عن أن الفلاح الفلسطيني قد أنشأ سناسل على مقاييس مختلفة، فأحيانًا كانت السناسل ذات انتشار كبير على مستوى الجبل، وأحيانًا كانت مجرد سدد صغيرة تكفي لحماية تربة شجرة واحدة. يضيف هذا القسم من الدراسة شيئًا جديدًا، وهو أن السناسل لم تكن النموذج الوحيد للزراعة في جبال فلسطين، بل كانت الضرورة تقتضي أحيانًا الاستعانة بنماذج أخرى.

صحيحٌ أن زراعة المناطق المنحدرة في فلسطين لم تكن سهلةً قبل ابتكار السناسل، لكن هذا لا يعني أنها كانت مستحيلةً. بالطبع، فإن إزالة الإنسان للغطاء النباتي البري – بشكلٍ تدريجي عبر الزمن – وغيرها من الممارسات البشرية أدت إلى انجراف تربة جبال فلسطين مع هطول المطر شتاءً وتعريتها مع حركة الهواء صيفًا.[253] رغم ذلك، فإن بعض التراب بقي في أجزاءٍ من هذه الجبال، نتيجة بقاء بعض النباتات البرية أو ربما جذورها، أو بسبب تكوين الجبال ذاتها، كون الكثير منها تشتمل على مناطق صغيرةٍ منبسطةٍ أو ناتئةٍ أو مقعرةٍ ضمن الجبل نفسه، أو لوجود صخورٍ أو حجارةٍ كبيرةٍ تجلس كعائقٍ ماديٍ فوق الجبل، ما يعني أن التشكيل والعناصر المحلية لبعض أجزاء الجبل قد سمحت بالاحتفاظ ببعض التربة الممكن زراعتها. بالفعل، تشير دراساتٌ جديدةٌ إلى أن ابتكار السناسل سبقه زراعةٌ من نوعٍ آخر في جبال وسط فلسطين، وهي الزراعة في التربة المتراكمة في التجويفات الطبيعية في الصخر (Box Field/ Patch Cultivation/ Soil Pockets)، حيث كانت الأشجار – خاصةً أشجار الزيتون – تزرع بهذه الطريقة.[254] في الحقيقة، فإن هناك اعتقادًا بأن هذا النمط الزراعي البسيط لعب دورًا في ابتكار السناسل في وقتٍ لاحقٍ.[255] وفي حين تتحدث الدراسات الإسرائيلية عن أن زراعة الحفر قد كانت قبل ابتكار السناسل، فإن الرواية المحلية تشير إلى أن الفلاح الفلسطيني قد لجأ إلى استخدام

[253] Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method," 303–4; Butzer, "Accelerated Soil Erosion: A Problem of Man-Land Relationships."

[254] Shimon Gibson and Rafael Lewis, "The Origins of Terracing in the Southern Levant and Patch Cultivation/Box Fields," *Journal of Landscape Ecology* 10 (December 1, 2017): 256–65, https://doi.org/10.1515/jlecol-2017-0037; Yuval Gadot et al., "OSL Dating of Pre-Terraced and Terraced Landscape: Land Transformation in Jerusalem's Rural Hinterland," *Journal of Archaeological Science: Reports* 21 (October 1, 2018): 575–83, https://doi.org/10.1016/j.jasrep.2018.08.036.

[255] Gibson and Lewis, "The Origins of Terracing in the Southern Levant and Patch Cultivation/Box Fields," 261.

الحفر للزراعة حتى وقتٍ قريبٍ، بل وتشير إلى أنماطٍ أخرى بسيطةٍ لزراعة المناطق المنحدرة. فعند سؤال السيد فريد علوان (87 سنة) عن الزراعة في منطقة وعرةٍ جدًا كان من الصعب تحويلها إلى حبلاتٍ مستويةٍ مسنسلةٍ قبل البارود والآلات الثقيلة، تحدث عن أربع طرقٍ مارسها بنفسه:

" بقينا نزرع قمح وشعير... مهي بقت وعر مش كل المنطقة، في مناطق سهلات نزرع فيهن، وفي مناطق كلها صخر، يعيش فيه الزتون، في إجور إجور، يحطوا فيه الزتون، يحطوا فيه شجر من ربه يطلع، ولوزيات... اه إجور هيذ مثل ما تقولي بين قلعة وقلعة، في تقريبا زي جورة بتقبى هيذ، ويحطوا فيها شجرة، وتطلع... اه بين الصخر، في الأرض... اه هان قلعة وهان قلعة وتقبى هان في جورة... هان يزرعوها، بين قلعتين... يعني ما يقعدوش يسنسلوا بالمرة... بقوا كلهم يزرعوا في إجور زي هذول وخلص... في إشي مايل يقبى شوية، يحطوله هيذ أربع خمس حجار، شوية دبش، مشان يلقوا حبة التراب يعني متظلش مارقة، بين الكلع... نزرع بين الحجر وين ما كان... بين الصخران يعني، بين، زقايق زقايق يعني، متارح متارح، يعني، مش كله واحد."[256]

برأي الدراسة، فإن رواية السيد فريد علوان حول الزراعة دون سناسل تفتح المجال أمام التفكير في ماضي زراعة الجبال وحاضرها ومستقبلها بطريقة مغايرة. فيما يختص بالماضي، فإن الزراعة دون سناسل تبين المدى الذي تمكن به الفلاح الفلسطيني من إدراك المشهد والتفاعل معه وتطوير نماذج زراعية بحسب الحالة، وأنه لم يلجأ دائمًا إلى تغيير المشهد بشكل كبير ليزرع محاصيله. أما فيما يرتبط بالحاضر، فإن التفكير في هذه النماذج يفتح المجال أمام التأمل في التغييرات الكبيرة التي تشهدها السناسل الآن، وتفكيك ونقد الدوافع التي تجعل الفلسطيني يغير بشكل كبير في المشهد الطبيعي رغم أن أجداده قد تمكنوا من زراعته بأقل التغييرات في كثير من الأحيان. أما

[256] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.

من حيث المستقبل، فإن هذه النماذج تقدم أفكارًا لبدائل يمكن من خلالها استغلال المشهد الزراعي الإيكولوجي بطريقة تدعم الزراعة مع مراعاة النظام البيئي، هذا يسمح بكثير من التفاعلات المتنوعة في المشهد الزراعي الإيكولوجي، وهو ضروري على أصعدة عديدة، خاصة في ظل تراجع الأنظمة البيئية باستمرار.

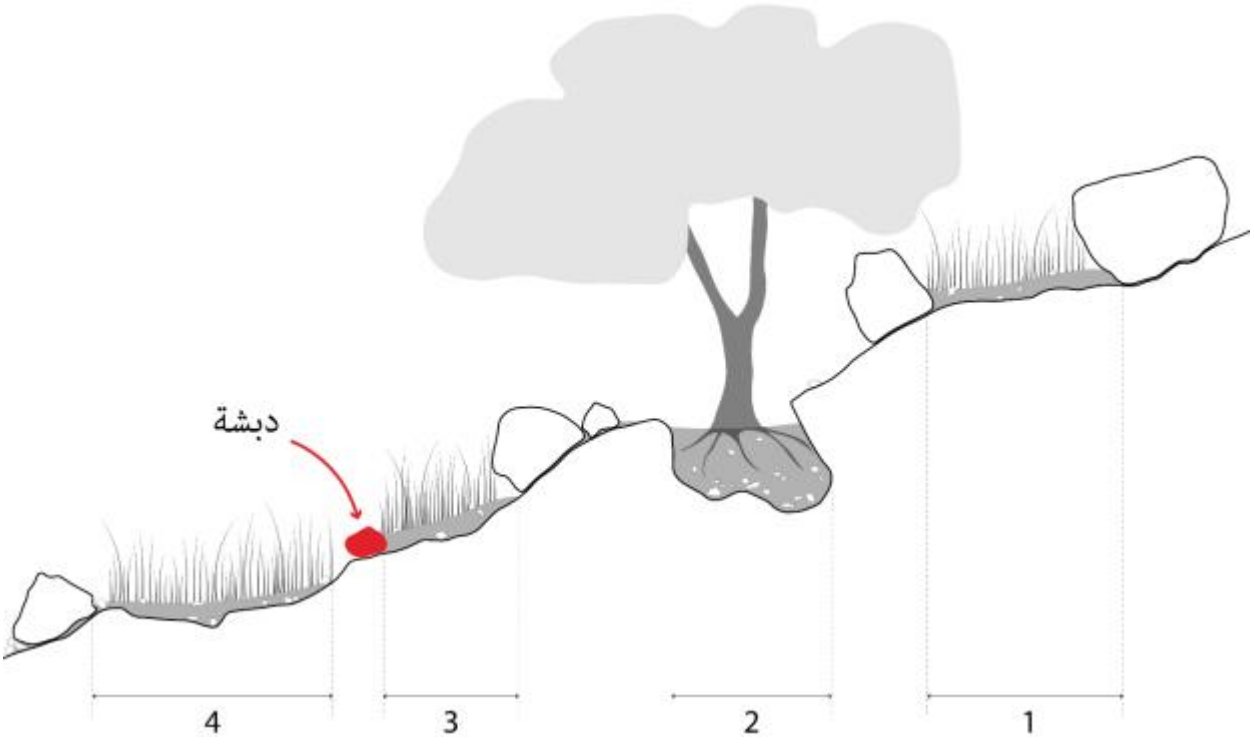

رسم توضيحي رقم (18): النماذج البسيطة التي تحدث عنها السيد فريد علوان لزراعة المناطق المنحدرة دون سناسل. (1) زراعة في التربة المتراكمة بين الصخر، (2) زراعة الأشجار في التربة المتراكمة في الحفر الطبيعية في الصخر، (3) زراعة المناطق المنحدرة قليلا مع إضافة " الدبش " لتثبيت التربة، (4) زراعة مناطق صغيرة منبسطة ضمن منحدر الجبل.

صورة رقم (37): أرض منحدرة قليلًا في سلواد، حُجز ترابها بواسطة بعض " الدبش " لاستخدامها للزراعة. تصوير الباحثة، 16 تشرين الأول 2021.

صورة رقم (38): تراب محجوز بين الصخر في سلواد، وشجرة لوز يابسة كانت تنمو في هذه المنطقة، تظهر أطراف سلواد وسط الصورة وأطراف مستعمرة بيت إيل إلى يسار وسط الصورة. تصوير الباحثة، 16 تشرين الأول 2021.

صورة رقم (39): شجرة ملّول نمت بشكل طبيعي في حفرة في الصخر الطبيعي، بهذه الطريقة كانت تتم زراعة الزيتون في المناطق الصخرية. تصوير الباحثة، 16 تشرين الأول 2021.

إجمال

سعت الدراسة من خلال هذا الفصل إلى توثيق السناسل بشكل تفصيلي معمق استنادًا إلى المعرفة المحلية والعمل الميداني، وتحليل بعض الجوانب المرتبطة بالسناسل. من ناحية التوثيق، يمكن الادعاء بأن هذا الفصل هو من بين أولى الدراسات الفلسطينية المعمقة حول السناسل. أما من ناحية التحليل، فلعل أبرز إضافات هذا الفصل تكمن في نقد الادعاء الإسرائيلي حول انتهاء إنشاء السناسل في الماضي البعيد، والدراسات الفلسطينية التي ترى تراجع السناسل فقط ولا ترى تحولات أخرى عليها، فالسناسل ليست حدثًا منتهيًا في الماضي البعيد ولا القريب، وإنما هي عملية قيد التكوين مع الزمن، وتشهد الكثير من التحولات على عدة أصعدة. لقد وقفت الدراسة في هذا الفصل على عدة جوانب، من بينها تعريف ماهية السنسلة، والأدوار المختلفة التي تلعبها هذه البنية التحتية الزراعية في المشهد الزراعي الإيكولوجي، وتصنيف السناسل في جبال وسط فلسطين، وعمليات إنشاء السناسل وصيانتها، وبعض التحولات التي طرأت وتطرأ على السناسل، إضافة إلى نماذج أخرى لزراعة الجبال دون اللجوء إلى السناسل.

الفصل الرابع: مشاهد البنى التحتية والأشجار المثمرة في منطقة الدراسة

مقدمة

هناك اهتمام أكاديمي إسرائيلي بدراسة توسع السناسل الزراعية عبر الحقبات التاريخية المختلفة، والأسباب التي حرّكت هذا التوسع. لقد تحدث الفصل الأول عن عدة إشكاليات مرتبطة بهذه الدراسات الإسرائيلية، من بينها اعتبار إنشاء السناسل وتوسعها حدثًا منتيهًا في الماضي البعيد، وتغييب دور الفلاح الفلسطيني في تكوين المشهد الزراعي الإيكولوجي وإنشاء السناسل.[257] من ناحية أخرى، تحدث الفصل الأول عن أن الدراسات الإسرائيلية تُرجع توسع مساحات السناسل في الماضي إلى أسباب عديدة، من بينها التوسع السكاني وأنظمة ملكية الأراضي المركزية.[258]

خلافًا للدراسات الإسرائيلية، يحاول هذا الفصل إثبات الدور المركزي الذي لعبه ويلعبه الفلاح الفلسطيني في تشكيل المشهد وإنشاء السناسل. يأخذ الفصل منطقة سلواد وعين يبرود كحالة دراسية، ويستخدم المقابلات الشفوية بشكل أساسي لدراسة المحرك وراء إنشاء السناسل والقصور الزراعية في فترة الدراسة. تتوصل الدراسة في هذا الفصل إلى أن الفلاح قد غير (ولا زال يغير) بشكل كبير في المشهد الزراعي الإيكولوجي في منطقة الدراسة، وأن هذا التغيير مدفوع بعامل مختلف تمامًا عما تحدثت عنه الدراسات الإسرائيلية، وهو العامل الاقتصادي، أو اقتصاد الأشجار المثمرة على وجه التحديد. تبين الأجزاء التالية من هذا الفصل أن الأشجار المثمرة كانت بمثابة محاصيل نقدية (cash crops) في منطقة الدراسة، وأن مساحات كبيرة من الأشجار المثمرة في سلواد وعين يبرود قد زودت السوق المحلي والإقليمي بالكثير من الثمار ومنتجاتها، وأن هذه الأهمية الاقتصادية للأشجار المثمرة شكلت المحرك الأساسي لتوسع السناسل

[257] Gibson, "Agricultural Terraces and Settlement Expansion in the Highlands of Early Iron Age Palestine: Is There Any Correlation between the Two"; Gibson, "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method"; Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, "Land Management and the Construction of Terraces for Dry Farming"; Gadot et al., "The Formation of Terraced Landscapes in the Judean Highlands in Israel, and Its Implications for Biblical Agricultural History."

[258] Gibson, "Agricultural Terraces and Settlement Expansion in the Highlands of Early Iron Age Palestine: Is There Any Correlation between the Two"; Elgart-Sharon, Porat, and Gadot, "Land Management and the Construction of Terraces for Dry Farming."

والقصور في مراحل من فترة الدراسة، وأن التحولات على الاقتصاد – إلى جانب تحولات أخرى – قد غيرت بشكل كبير في المشهد الزراعي الإيكولوجي.

توزيع انتشار البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة زمن الاستعمار البريطاني

في دراستهما عن المناطير، ربطت سعاد العامري وفراس رحال بين القصور الزراعية والسناسل وزراعة الأشجار في جبال فلسطين، خاصة أشجار التين والعنب، وهذا ينطبق على منطقة الدراسة من بين عدة مناطق أخرى في سلسلة جبال وسط فلسطين.[259] من ناحية أخرى، فإن التأمل في الصور الجوية إلى جانب الخرائط البريطانية يشير إلى وجود علاقة وثيقة بين الأشجار المثمرة والبنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة. أيضًا، كانت روايات الأجداد تأخذ الحوار دائمًا نحو الحديث عن الأشجار المثمرة – والممارسات المرتبطة بهذه الأشجار – عندما كانت الدراسة تبحث في السناسل والقصور الزراعية، وهذا دليل ثالث على الرابط القوي بين الأشجار المثمرة والبنى التحتية الزراعية.[260]

إن العلاقة بين الأشجار والبنى التحتية الزراعية لا تنحصر في المنطقة الجبلية في فلسطين، فإذا ما نظرنا نظرة أكثر عمومية، أي على مستوى العالم، فإن الأدبيات تتحدث عن هذه المسألة، وتؤكد على أن المحرك وراء إنشاء السناسل في منطقة المتوسط كان زراعة الأشجار، خاصة الزيتون والعنب، خلافًا لمناطق أخرى كانت سناسلها مدفوعة بزراعة الحبوب، كالبيرو وشرق آسيا.[261] ولكن لماذا؟ تتحدث الأدبيات عن أن تفسير ذلك يتمثل في الدور الاقتصادي الهام للأشجار المثمرة في منطقة المتوسط، فإنشاء السناسل – والقصور أيضًا – يتطلب وقتًا وجهدًا هائلين، ما يعني أن الاستثمار في هذه الإنشاءات يستلزم الحصول على مردود عال من الأرض المسنسلة، وهذا ما قدمته الأشجار المثمرة ذات الجدوى الاقتصادية لمنطقة المتوسط.[262]

---

[259] العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين*.

[260] على سبيل المثال: محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2.

[261] Varotto, Bonardi, and Tarolli, *World Terraced Landscapes*, 2; Lewis, "Lebanon. The Mountain and Its Terraces"; Bonardi, "Terraced Vineyards in Europe"; Sereni, *History of the Italian Agricultural Landscape*, 251–55.

[262] Bonardi, "Terraced Vineyards in Europe"; Lewis, "Lebanon. The Mountain and Its Terraces."

بالعودة إلى منطقة الدراسة، يبدو أن الأشجار قد كانت المحرك الأساسي لإنشاء السناسل خلال النصف الأول من فترة الدراسة، لأن الأشجار في تلك الفترة لعبت دورًا اقتصاديًا هامًا لمنطقة الدراسة كما سنرى، ما جعل الفلسطينيين يستثمرون في زراعة الأشجار وسنسلة الأراضي لتوسيع مساحات الأشجار، فطلب السوق يستلزم توسيع المساحة المزروعة بالأشجار، وتوسيع المساحة يعني الحاجة إلى إنشاء سناسل لحماية تربة الأشجار، ما يعني أن السوق حرّك توسع مساحات السناسل في منطقة الدراسة، هذا ما تؤكده السيدة لوزية يوسف (86 سنة): " **كل البلد ما هي بقت كروم، كلها بدها سناسل، وهاللي يشتغل كرم يسنسله.**"[263] السيد محمد صقر (91 سنة) أيضًا أكد على الرابط بين توسع الأشجار وتوسع السناسل: " **هاذي سنسلناها بعد ما زرعناها تين،**" وعند سؤاله عما إذا كانت السناسل تُنشأ لزراعة الحبوب، استغرب من السؤال مجيبًا: " **فول حمص يبنوله سناسل؟! تبكى مثل ما تكولي، هاذي، عندك زتونات، مصدرات هيذ شوي، يبني سنسلة مشان السمكات يظلين عليهن، مشان المية متجرفش، لما يصير المطر... ميكشفش عرك الشجرة، إن كان تين والا زتون، عالشجر يا عمي، عالشجر.**"[264] وعند التعمق في هذه المسألة، تبين أن الأمر أيضًا يرتبط بطوبوغرافيا المكان، فالأشجار تُزرع في الجبال، ما يستلزم إنشاء السناسل كما بين الفصل الثالث، أما الحبوب فتُزرع في السهول التي لا تحتاج السناسل في أغلب الأحيان، وفيما لو زرعت الحبوب في المناطق المنحدرة، فإن هذا لا يعني إنشاء السناسل، خلافًا للأشجار التي تقتضي زراعتها إنشاء السناسل بشكل حتمي:

> " إنت إذ بدك تعمر أرضياتك وتسوي سناسل للأرض المنحدرة ما عليه، بس مش مشان القمح والشعير، لأ، مشان الأرض نفسها... لا لا شو سناسل للقمح؟... إذا الأرض مستوية، بلزمهاش سناسل، إذا الأرض منحدرة، وبتحب تقطعها حبلات يعني تساوي سنسلة، مشان الأرض يعني مشان السمكة متزحش كلها، اه مشان تحفظ السمكات، وإذا للشجر، هظاك للشجر، اه ظروري، إذا زتونة معلكة، طيب سويلها سنسلة خليها تظل سمكاتها عليها."[265]

[263] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.
[264] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.
[265] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1.

صورة رقم (40): تظهر عين يبرود إلى يسار الصورة، وتظهر مناطق منحدرة مسنسلة حولها، قسم منها مزروع بالزيتون (شمال القرية) وقسم بالأشجار الأخرى (جنوب القرية وشمال الزيتون)، وقسم مزروع بالحبوب (المناطق غامقة اللون حول القرية)، ومن المحتمل أن مناطق الحبوب المسنسلة كانت مزروعة بأشجار في السابق. تظهر أيضًا منطقة السهل التابعة لعين يبرود إلى يمين الصورة، ونلاحظ شبه غياب السناسل من المنطقة. الصورة لسلاح الجو البريطاني بتاريخ 16 نيسان 1945، المصدر: الجامعة العبرية.

لجأت الدراسة إلى ترسيم الخرائط (GIS) لدراسة العلاقة بين البنية التحتية الزراعية والأشجار المثمرة. في الواقع، يبين التأمل في الصور الجوية التي التقطها سلاح الجو البريطاني منتصف الأربعينيات والخارطة البريطانية لمسح فلسطين بداية الأربعينيات أن هناك علاقة واضحة بين مساحات انتشار السناسل ومساحات انتشار الأشجار المثمرة في منطقة الدراسة، فوجود الأشجار يعني وجود السناسل، وغيابها قد يعني غياب السناسل في كثير من الأحيان كما تبين الخرائط أدناه. وبطريقة مشابهة، يتضح من الخرائط أن هناك علاقة بين

الأشجار والمناطير. من ناحية أولى، تعطي الخرائط فكرة عن عدم وجود صلة بين المناطير والزيتون، ومن ناحية ثانية، تبين الخرائط أن انتشار المناطير مرتبط بزراعة أشجار العنب، وأن المناطير منتشرة أيضًا في مساحات البساتين، وترجح الدراسة بناء على المقابلات الشفوية أن هذه البساتين كانت أغلبها بساتين أشجار التين، ما يعني أن المناطير ارتبطت بأشجار التين أيضًا، إلى جانب العنب كما تبين أعلاه، وهذا يتفق مع ما جاءت به العامري ورحال.[266] وإلى جانب الصلة بين الأشجار والسناسل، وبين الأشجار والقصور الزراعية، تمكن الخرائط من قراءة علاقة واضحة بين السناسل والقصور الزراعية وغيرها من البنى التحتية الزراعية الأخرى، وهذه جميعًا مؤشرات على الترابط الكبير بين البنى التحتية الزراعية والأشجار، وبين البنى التحية الزراعية نفسها كجزء من كيان أكبر.[267]

إن مسألة العلاقة بين زراعة الأشجار المثمرة والبنى التحتية الزراعية (خاصة السناسل) لا تقتصر على النصف الأول من فترة الدراسة فحسب، بل تمتمد إلى اليوم.[268] في الحقيقة، بينت الكثير من المقابلات الشفوية أن إنشاء السناسل الجديدة أو ترميم القديمة مرتبط بزراعة الأشجار بالأساس. على سبيل المثال، قام السيد عامر حمدان بسنسلة أرض اشتراها (كانت سناسلها القديمة منهارة تمامًا) ليزرعها بأشجار الفاكهة في بداية الألفينات.[269] أما السيد فريد علوان، فقد سنسل أرضًا له ليزرع فيها المزيد من أشجار الزيتون.[270] وبالحديث عن الزيتون، يمكن القول بأنه من المحركات الأساسية لعمليات إنشاء السناسل وترميمها في الوقت الحالي، نظرًا لأن الزيتون هو المحصول الأكثر أهمية في منطقة الدراسة كما تبين الأقسام التالية من الفصل، وقد بين السيد رائد فرحات من خبرته في إنشاء السناسل أن الزيتون دافع أساسي لإنشاء السناسل: " **السناسل، في ناس بعملوا مناظر، وفي ناس بعملوا للزتون.**"[271]

---

[266] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي ابراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة رقم 2؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ العامري ورحال، *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين.*

[267] للنظر إلى خرائط أكثر وضوحًا، يمكن اللجوء إلى الملحق رقم (3) في النسخة الورقية من هذه الرسالة.

[268] لفهم هذه المسألة وقراءة بعض التحولات الأخيرة على البنى التحتية الزراعية، خاصة بعلاقتها مع الأشجار، يُنظر الملحق رقم (2).

[269] عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1.

[270] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.

[271] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.

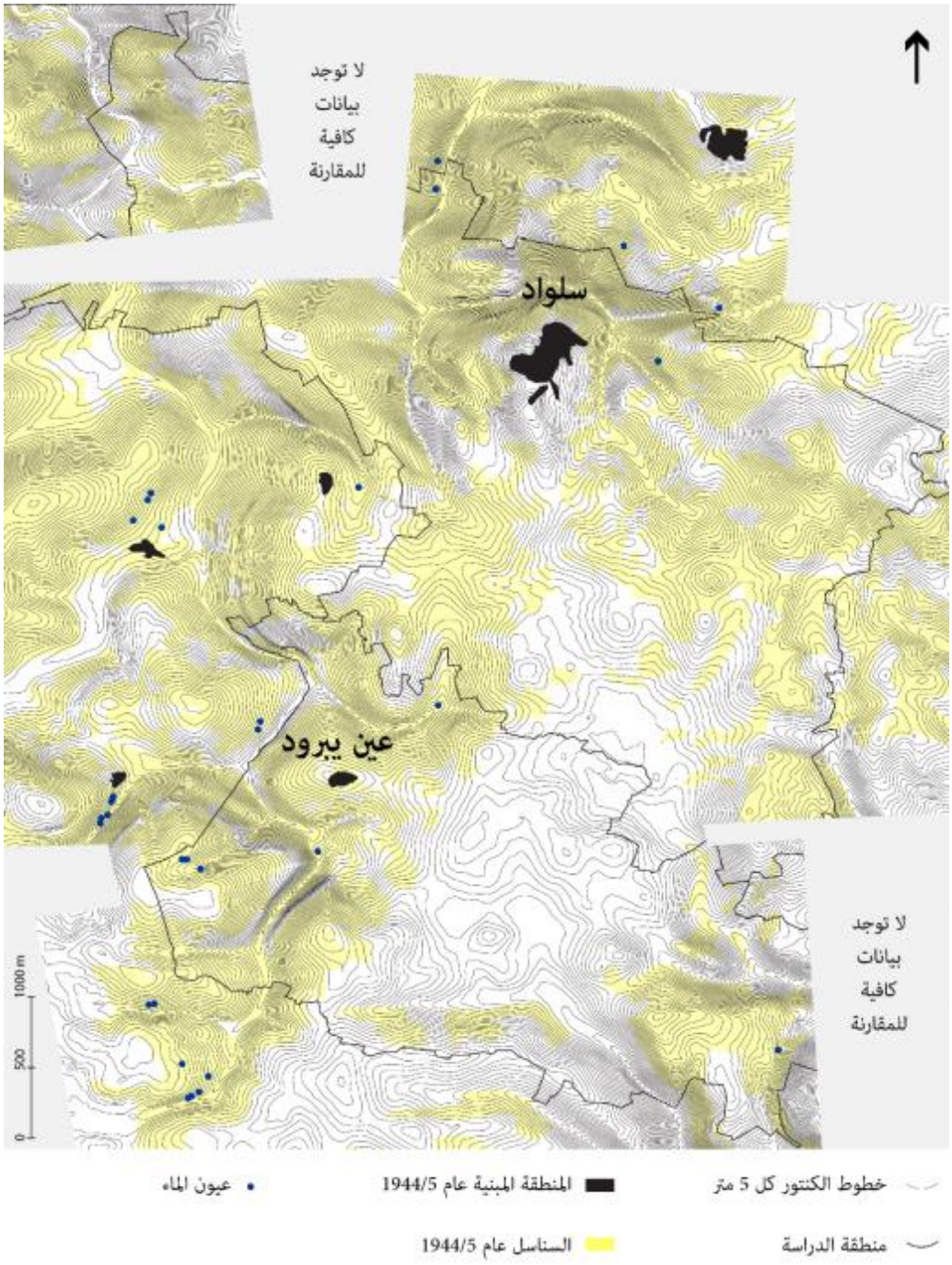

خارطة رقم (6): العلاقة بين السناسل والطبوغرافيا، نلاحظ زيادة السناسل في المناطق الأكثر انحدارًا، والعلاقة بين السناسل وموقع القرى وموقع عيون الماء، وهي علاقة طردية. الخارطة ترسيم الباحثة. ترسيم السناسل والمنطقة المبنية اعتمد على الصور الجوية لسلاح الجو البريطاني عام 1944 – 1945، المصدر: الجامعة العبرية. خطوط الكنتور وحدود منطقة الدراسة من جيومولج. ترسيم مواقع عيون الماء من خرائط المسح البريطاني عام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة.

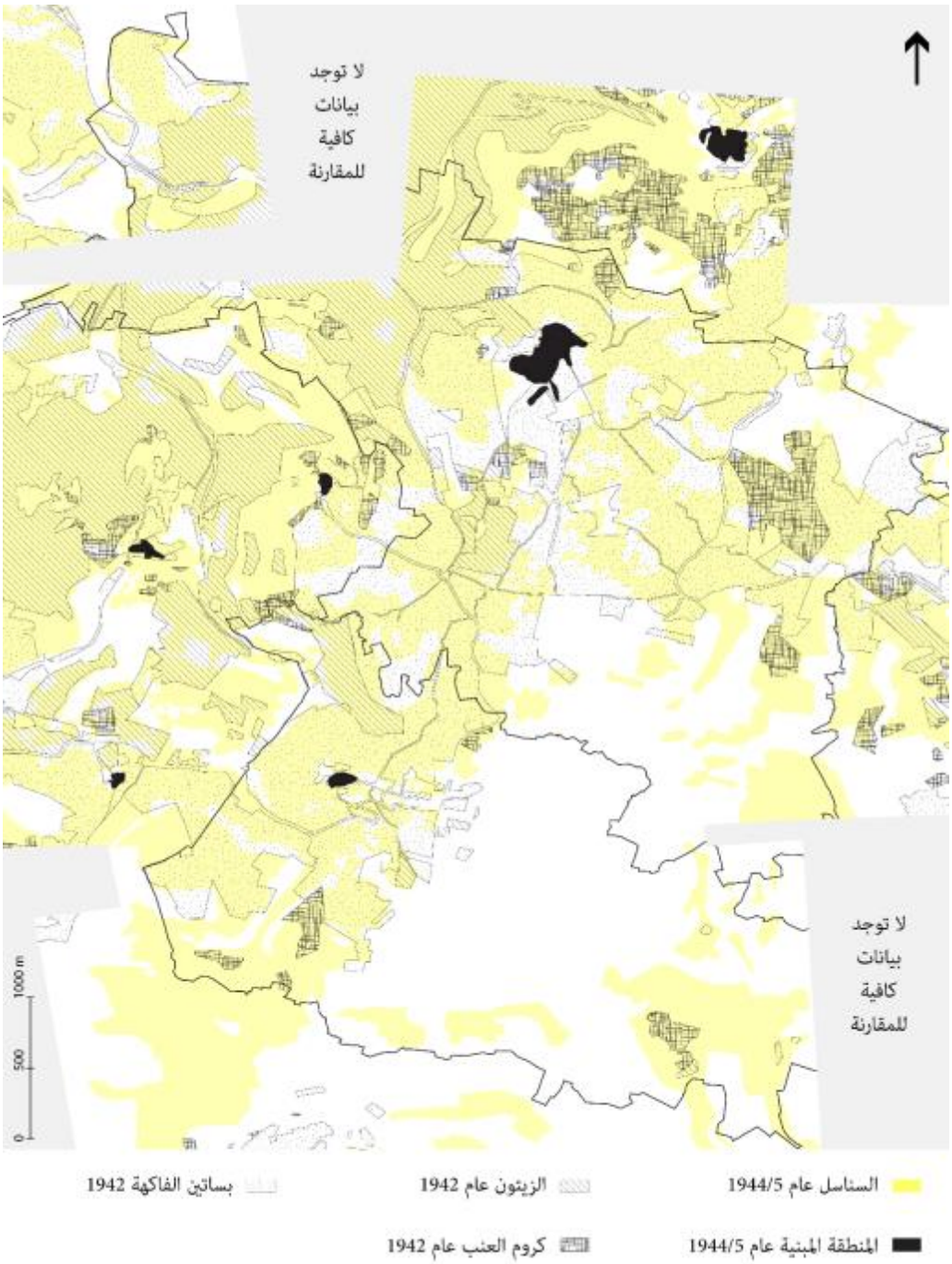

خارطة رقم (7): العلاقة بين السناسل والأشجار زمن الاستعمار البريطاني. الخارطة ترسيم الباحثة. ترسيم السناسل والمنطقة المبنية من الصور الجوية لسلاح الجو البريطاني عام 1944 – 1945، المصدر: الجامعة العبرية. ترسيم الأشجار من خرائط مسح فلسطين عام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة. حدود منطقة الدراسة من جيوموجو. ملاحظة: البساتين تشير إلى أي أشجار مثمرة، وقد كانت أغلبها أشجار تين في سلواد، أما عين يبرود فاشتملت على تنوع أكبر، كالبرقوق والمشمش إلى جانب التين.

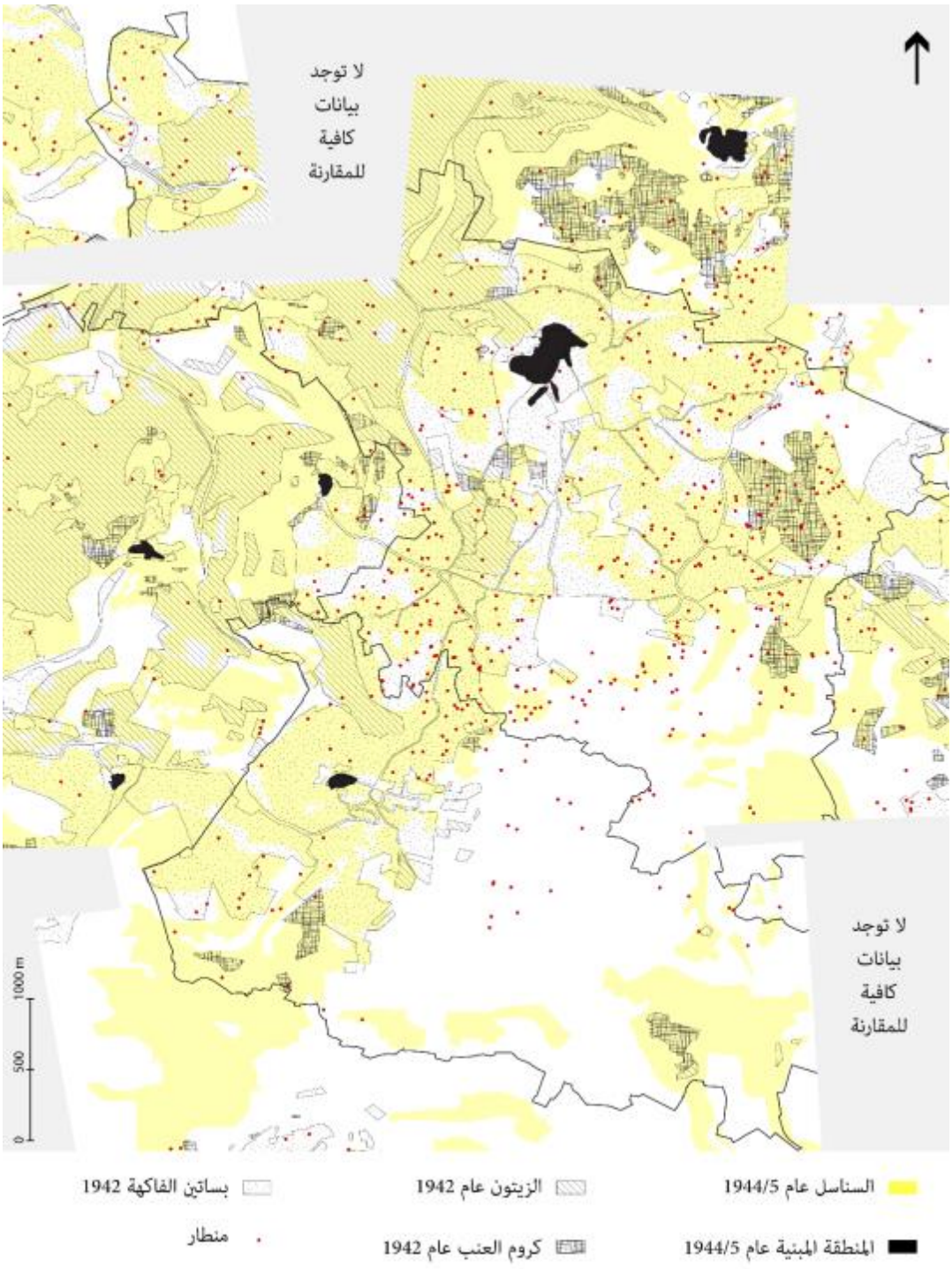

خارطة رقم (8): العلاقة بين المناطير والسناسل والأشجار زمن الاستعمار البريطاني. الخارطة ترسيم الباحثة. ترسيم المنطقة المبنية من الصور الجوية لسلاح الجو البريطاني عام 1944 – 1945، المصدر: الجامعة العبرية. ترسيم الأشجار من خرائط مسح فلسطين عام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة. حدود منطقة الدراسة من جيومولج. ترسيم مواقع المناطير من الصور الجوية الحديثة، خاصة صورة عام 2021، جيومولج.

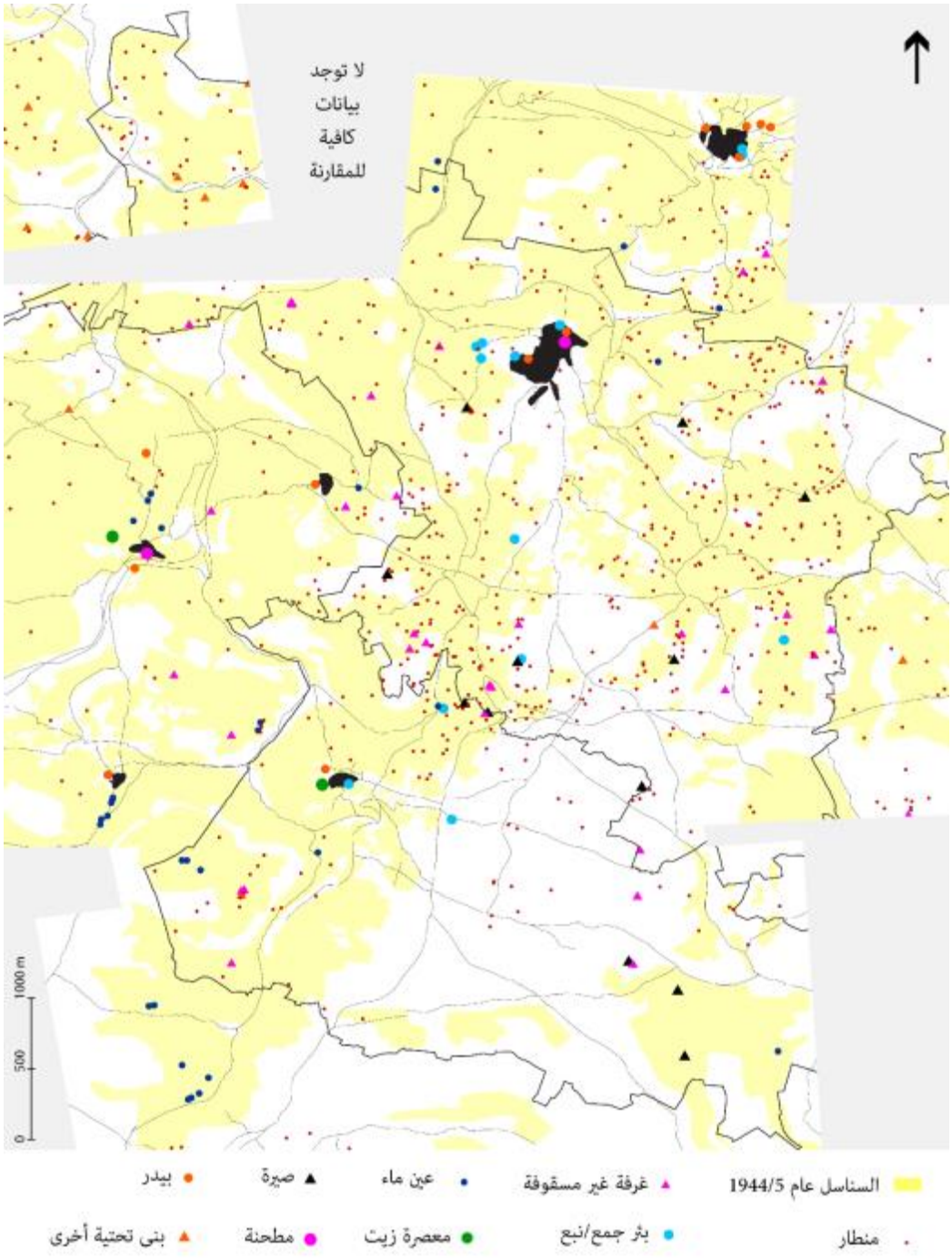

خارطة رقم (9): العلاقة بين السناسل والبنى التحتية الأخرى زمن الاستعمار البريطاني. الخارطة ترسيم الباحثة. ترسيم المنطقة المبنية والسناسل من الصور الجوية لسلاح الجو البريطاني عام 1944 – 1945، المصدر: الجامعة العبرية. حدود منطقة الدراسة من جيومولج. ترسيم مواقع المناطير والغرف غير المسقوفة والصير والبنى التحتية الأخرى من الصورة الجوية الحديثة، خاصة صورة عام 2021، جيومولج. ترسيم باقي النقاط من خرائط مسح فلسطين البريطانية لعام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة.

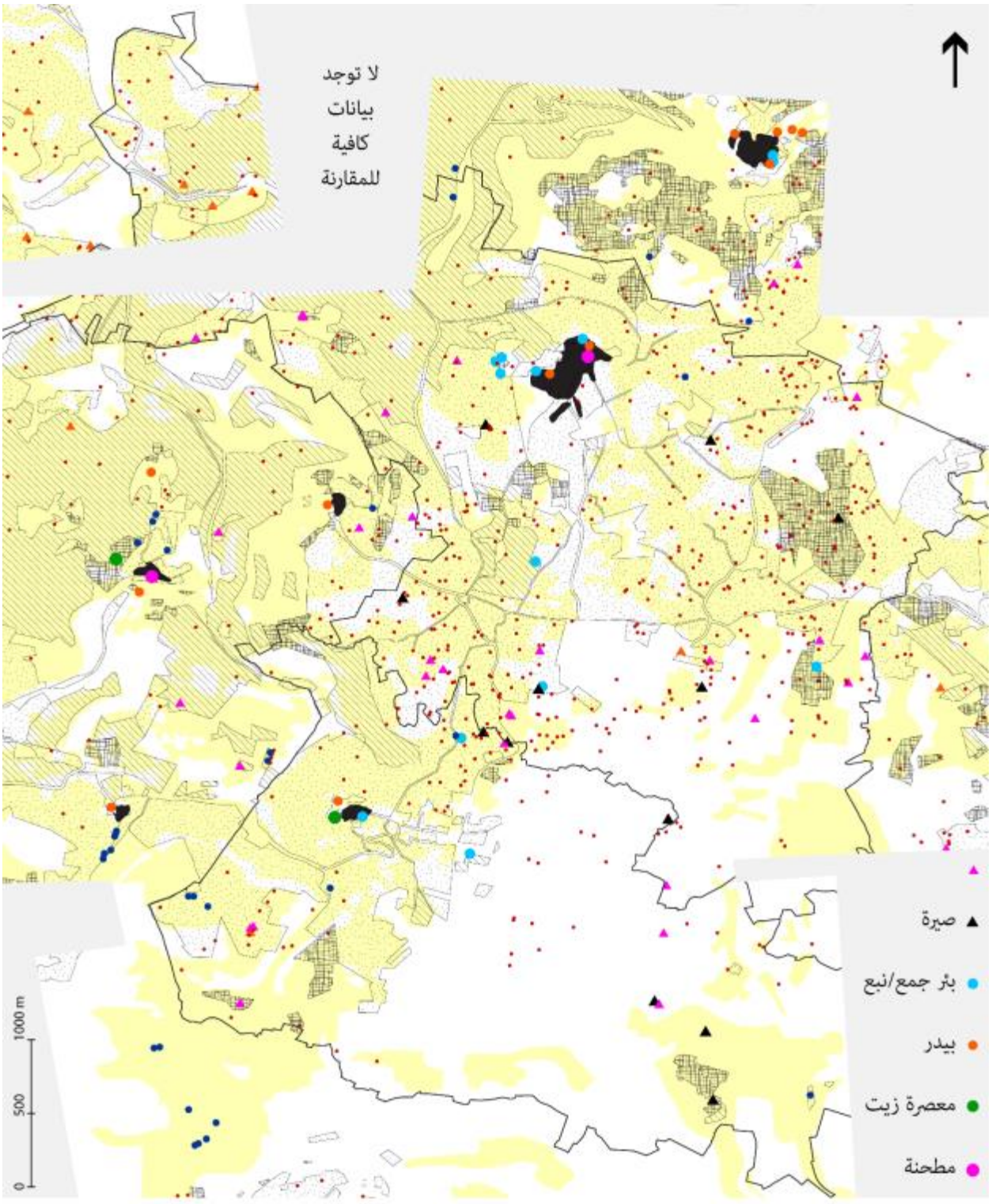
لا توجد
بيانات
كافية
للمقارنة
صيرة
بئر جمع/نبع
بيدر
معصرة زيت
مطحنة
1000 m
500
0
سناسل عام 1944/5
الزيتون عام 1942
منطار
غرفة غير مسقوفة
بساتين الفاكهة 1942
كروم العنب عام 1942
عين ماء
بنى تحتية أخرى

خارطة رقم (10): العلاقة بين السناسل والبنى التحتية الأخرى والأشجار المثمرة زمن الاستعمار البريطاني. الخارطة ترسيم الباحثة. ترسيم المنطقة المبنية والسناسل من الصور الجوية لسلاح الجو البريطاني عام 1944 – 1945، المصدر: الجامعة العبرية. حدود منطقة الدراسة من جيوموجل. ترسيم مواقع المناطير والغرف غير المسقوفة والصير والبنى التحتية الأخرى من الصورة الجوية الحديثة، خاصة صورة عام 2021، جيوموجل. ترسيم باقي النقاط وترسيم الأشجار المثمرة من خرائط مسح فلسطين البريطانية لعام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة.

التحولات على أنواع الأشجار المثمرة ومساحاتها في منطقة الدراسة

تاريخيًا، ارتبطت فلسطين ومنطقة البحر الأبيض المتوسط بزراعة الأشجار، خاصة العنب والزيتون والتين، فهي من بين الأشجار الأولى التي استأنسها الإنسان وزرعها بالقرب من مكان سكنه، لكن حالة هذه الأشجار لم تكن ثابتة وموحدة في الزمان والمكان، لا على مستوى المتوسط ولا على مستوى فلسطين.[272] [273] وفي منطقة الدراسة، كانت أشجار التين والعنب والزيتون هي الأشجار الأكثر أهمية خلال فترة الاستعمار البريطاني.[274] ومن المعروف في القريتين أن الزيتون حينها كان زيتونًا "رومانيًا،" أما أشجار التين والعنب وغيرها، فتشير الرواية الشفوية إلى أن أجزاء منها زرعت زمن الحكم العثماني لفلسطين، وأنها توسعت بشكل كبير زمن الاستعمار البريطاني، حيث شهد الأجداد – الذين تمت مقابلتهم – آباءهم يزرعون مساحات جديدة بالأشجار المثمرة في هذه الفترة، فمثلًا شهدت السيدة لوزية يوسف (86 سنة) جدها يزرع البرقوق: " **والله بوكد سيدي حياة سيدي، يحط العصاة هيذ، يخزق الأرض،**

[272] Bonardi, "Terraced Vineyards in Europe"; Ehud Weiss, "Beginnings of Fruit Growing in the Old World Two Generations Later," *Israel Journal of Plant Sciences* 62, no. 1–2 (2015): 75–85; Giuseppe Barbera and Sebastiano Cullotta, "The Traditional Mediterranean Polycultural Landscape as Cultural Heritage: Its Origin and Historical Importance, Its Agro-Silvo-Pastoral Complexity and the Necessity for Its Identification and Inventory," in *Biocultural Diversity in Europe* (Springer, 2016), 21–48.

[273] ناصر سومي، *فلسطين وشجرة الزيتون: تاريخ من الشغف*، ترجمة هيثم الأمين، الطبعة الأولى (بيروت: دار النهار، 2011)؛ شكري عراف، *مصادر الاقتصاد الفلسطيني من أقدم الفترات إلى عام 1948*، الطبعة الأولى (معليا: دار "إلى العمق،" 1997)؛ محمد سليم اشتية، فارس فضل جابي، وعلي خليل حمد، *شجرة التين* (نابلس: مركز الدراسات الريفية - جامعة النجاح الوطنية، 1991).

[274] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2؛ فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة.

ويرمي الحبة فيها، وتصير شجرة،" وشهد السيد محمد صقر (91 سننة) والده يزرع التين والعنب: " **بكينا الغالبية في زراعة التين والعنب، الزتون كليل... أبوي في زمانه، زرع حوالي فوق ألف وأربعمية شجرة تين، حوالي ألف وأربعمية شجرة عنب.**"[275]

كان العنب هو المحصول الأول الذي سيشهد تغييرًا كبيرًا في منطقة الدراسة، بسبب مرض الفلوكسيرا الذي أثر على منطقة المتوسط منذ نهاية القرن التاسع عشر.[276] في الواقع، فإن هذا المرض أدى إلى تراجع تدريجي في عنب منطقة الدراسة، هذا ما يؤكده السيد محمد صقر:

> " سنة الأربعة وأربعين... قطعت ثلاثة طون ومتين كيلو من أرضنا، اللي عند العاصور غاد... بعد الستة وأربعين... مرظ... أول سنة شفنا هيذ بطلع خمس ست زردات (بمعنى أشجار عنب)، ثاني سنة بطلع حراث يوم... بعد خمس ست سنين، خرب... من الستة وأربعين، للثلاث وخمسين، انتهى، هاظ الظهر الشركي يعني... باكي البلد، لأ، اللي في هالكروم، اتأخر، وهو قديم يعني أقدم، هاظا حياة أبوي زرعه، أبوي زرع إشي منه في الواحد وثلثين سنة خلكت، وفي الستة وثلثين، مطولش. أما اللي باكي، والله، البلد، اتأخر يعني، بس آخرته لحك عليه انتهى... والله بدي أقولك انتهى في السبعينات يعني، انتهى مرظ."[277]

لم يكن العنب المحصول الوحيد الذي انتهى بسبب الأمراض، فالمشمش والإجاص أيضًا انتهيا بسبب الأمراض حسب رواية السيدة لوزية يوسف: " **المشمش... صار يدود، نشروه هو النجاص.**"[278] بالنسبة للتين، فقد استمر بالتوسع مع الزمن خلال فترة حكم الأردن للضفة الغربية، ولكنه بدأ يتراجع منذ احتلال الضفة الغربية عام 1967 لعدة أسباب، من بينها التبدلات على الاقتصاد

[275] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[276] Gad Schaffer, "Agricultural Land-Use Changes in the Judean Region from the End of the Ottoman Empire to the End of the British Mandate: A Spatial Analysis," *ISPRS International Journal of Geo-Information* 10, no. 5 (2021): 319.

[277] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[278] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

وانتقال الفلاحين إلى العمل المأجور في إسرائيل، والهجرة إلى الدول العربية أو الغربية، إضافة إلى خوف بعض الفلاحين من الذهاب إلى أراضيهم القريبة من مستعمرة عوفرة، والخوف من المكوث ليلًا في القصور الزراعية، ما صعّب الوجود الدائم في الأرض وقلّل درجة العناية بالأشجار.[279] رغم هذه التحولات جميعًا، بقي التين في حالة لا بأس بها، لكن الضربة الكبيرة كانت مع إغلاق الأسواق الإسرائيلية أمام التين الفلسطيني بعد الانتفاضة الأولى، ما جعل التين يفقد قيمته الاقتصادية، وبذلك لم يعد الاعتناء به مشجعًا، ويبين السيد محمد صقر ذلك قائلًا:

" بعد ما اجت اسرائيل، اتدمرنا احنا، درنا نكرّع التين، اتكرّع التين صار يا عمي بعد السبعة وستين، بعد ما احتلوا الضفة الغربية... اااه، داروا يوخذوا عالفبارك، عالمصانع، يعلبوا التين، داروا الناس يطمعوا، أربح، القطين غلبة، القطين بكا ما تقولي التينة تتستوي وتذبل، وتسقط تحت امها... تلمها من تحت امها، وتشريها في المصطاح تستنى عليها تتنشف، وتكيمها، وتبرها. لما تين، داروا، مرة وحدة يعني، مش ثلث أربع، ينتكل ثلث أربع شغلات تيسوي قطين، اه، صار أريحلهن، الله وكيلك، ويستفيدوا... يعني، إذا بكا، بده يعني رطلين تين تيسوين رطل قطين، طيب رطل التين يجيب كد حك رطل قطين، يعني صار بربحهن الطاق طاقين، طمّعوهم. لكن شو أثر عالتين، لما تقطعي حبة التين، يبكى، يطيح اللبن هاظ، يظعف الشجرة، يأثر عالشجرة... بيع التين صار بعد السبعة، بعد الثمانية وستين... ظلينا، تنه، تاليهود قظوا عالتين، للستة وثمنين، لما صارت الانتفاضة الأولى... لما صارت الانتفاضة الاولى، طبعا الناس صار تعب الروحة عاليهود، وصاروا يذيكوا عالناس، وبرظه التين، التهوا، فتحولهن الشغل في اسرائيل، دار التين يرجع لورا يرجع لورا، طبعا التينة تكعديها أربع خمس سنين بور بتخرب، بتبس، والا لأ؟."[280]

[279] العامري ورحال، مناطير: قصور المزراع في ريف فلسطين؛ محمد صقر 2، لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2؛ حربي عياد، مقابلة مسجلة.

[280] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

انتهى المشمش والإجاص والعنب في منطقة الدراسة بسبب الأمراض، وانتهى التين مع إغلاق الأسواق، أما البرقوق، فانتهى أيضًا بعد أن فقد قيمته الاقتصادية حسب رواية السيدة لوزية يوسف:

" برقوق بقا عنا ستين طون برقوق نقطع... بطل البرقوق ينفق، صار اللي عنده حبة برقوق تظل تحتها، ما يبيعوهاش، ما يقدروش، فش مترح يبيعوه... قلعناه كله، وزرعوا زتون... احنا يعني نشرناه، وزرعوا زتون بداله. وين ننبيع؟ بقينا وهوته في مصانع في غزة، ييجوا طلب يطلبوا علينا، يتظمنوه يقطعوه يبيعوه."[281]

لما بدأت الظروف الاقتصادية وأوضاع الأشجار في منطقة الدراسة تتحول، بدأ الفلاحون الفلسطينيون يزرعون الزيتون بين الأشجار الموجودة أو مكان الأشجار التي أزالها المرض أو تراجع السوق، وقد حدث هذا في فترات مختلفة بحسب نوع الأشجار التي كانت وبحسب تاريخ انتهائها، لكن هذا لا ينطبق على كافة المناطق، فالتوسع العمراني أخذ مكان الكثير من البساتين، خاصة في منطقة جدر القريتين وحولهما، والكثير من أراضي القريتين القريبة من المستعمرات والمناطق العسكرية تمت مصادرتها، كمنطقة العاصور، وقسم منها لم يصادر ولكن أصبح الوصول إليه خطرًا أو صعبًا، كما أن الهجرة من منطقة الدراسة – إلى الولايات المتحدة بالتحديد — أدت إلى ترك كثير من الأراضي دون زراعة.[282]

[281] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

[282] عراف، القرية العربية الفلسطينية. مبنى واستعمالات أراض؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1، لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ حربي عياد، مقابلة مسجلة؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة، فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة.

مؤخرًا، هناك حراك في منطقة الدراسة لزراعة المزيد من أشجار الزيتون أو الاعتناء بالأشجار الموجودة بشكل أكبر من ذي قبل، ومن الملاحظ أن هذا الحراك مدفوع برأس المال الأمريكي، حيث يشتري الكثير من أصحاب رؤوس الأموال أراض جديدة، ويزرعونها بأشتال الزيتون بالتحديد، أو بأشجار زيتون كبيرة منقولة من مواقع أخرى، بعضها "رومانية،" ربما بسبب رمزية شجرة الزيتون وزيتها، ولإيمان الكثير من زارعي الزيتون بدور هذه الشجرة في حماية الأرض من المصادرة لصالح الاستعمار الصهيوني.[283] [284] إن هذا التوجه لزراعة الزيتون ليس حكرًا على منطقة الدراسة، وإنما ينطبق على الضفة الغربية ككل، لأسباب عديدة من بينها "الحضور الدائم للزيتون في المشهد أمام الاستعمار الصهيوني ما يشكل نوعًا من حماية الأرض؛ والجدوى الاقتصادية واستدامة زيت الزيتون؛ وطبيعة هذا المحصول الذي لا يحتاج إلى الكثير من الوقت مقابل المحاصيل الأخرى."[285]

[283] Nasser Abufarha, "Land of Symbols: Cactus, Poppies, Orange and Olive Trees in Palestine," *Identities: Global Studies in Culture and Power* 15, no. 3 (2008): 343–68.

[284] عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 2، أجرت المقابلة إشراق عواشر (عين يبرود: 28 تشرين ثاني 2021)؛ رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ فواز حامد، مقابلة مسجلة؛ الجمعية الزراعية في عين يبرود، مقابلة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.

[285] Omar Tesdell, Yusra Othman, and Saher Alkhoury, "Rainfed Agroecosystem Resilience in the Palestinian West Bank, 1918–2017," *Agroecology and Sustainable Food Systems* 43, no. 1 (January 2, 2019): 21–39, https://doi.org/10.1080/21683565.2018.1537324; S Assaf, "Sustainable Water Supply for Agriculture in Palestine," *Water Wisdom: Preparing the Groundwork for Cooperative and Sustainable Water Management in the Middle East*, 2010, 195–210.

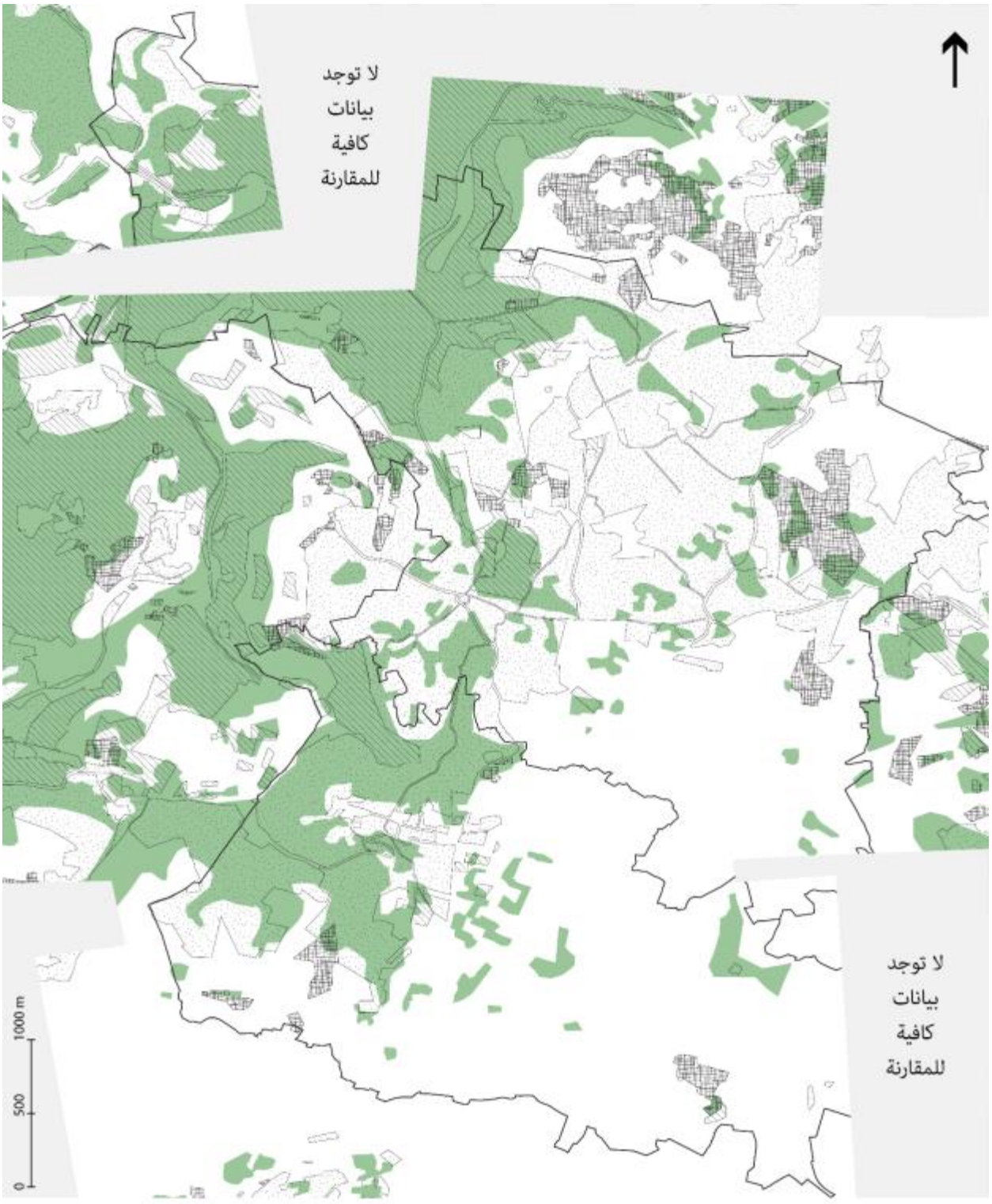
لا توجد
بيانات
كافية
للمقارنة
لا توجد
بيانات
كافية
للمقارنة
0
500
1000 m
الزيتون عام 1942
بساتين الفاكهة 1942
كروم العنب عام 1942
الزيتون عام 2021

خارطة رقم (11): العلاقة بين انتشار الزيتون اليوم ومواقع الأشجار المثمرة زمن الاستعمار البريطاني. الخارطة ترسيم الباحثة. ترسيم انتشار الأشجار زمن الاستعمار البريطاني من خرائط مسح فلسطين عام 1942، المصدر: خرائط فلسطين المفتوحة. حدود منطقة الدراسة من جيومولج. ترسيم مناطق انتشار الزيتون اليوم من الصورة الجوية لعام 2021، جيومولج.

تجارة منتجات الأشجار

حركت زراعة الأشجار في سلواد وعين يبرود عمليات إنشاء السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية، وعمليات تغيير المشهد الطبيعي في فترة الدراسة، فارتبط إنشاء المزيد من البنى التحتية الزراعية واستمرار استخدام تلك الموجودة وترميمها ارتباطًا وثيقًا بتوسع مساحات الأشجار. يمكن القول بأن المردود الاقتصادي من تجارة الثمار ومنتجاتها ووجود طلب على هذه المنتجات في السوق المحلي والإقليمي قد حفز زراعة المزيد من الأشجار، ولأن الأشجار تزرع في الجبال، كان إنشاء المزيد من السناسل شرطًا أساسيًا للتوسع، فزراعة جبال فلسطين غير ممكنة دون أشجار كما بين الفصل الثالث. أيضًا، فإن انتشار مساحة الأشجار بعيدًا عن القرية، ونمو هذه المساحات، قد تطلب مع غيره من العوامل إنشاء المزيد من القصور الزراعية. ولأن تجارة الثمار لعبت دورًا هامًا في توسع الأشجار وبالتالي توسع البنى التحتية الزراعية، رأت الدراسة ضرورة للوقوف على جزئية تجارة الثمار ومنتجاتها في منطقة الدراسة.

لعبت الأشجار دورًا هامًا في اقتصاد قريتي سلواد وعين يبرود في النصف الأول من فترة الدراسة، وقد تنوعت المحاصيل النقدية في هذه المنطقة في فترة الدراسة، حيث تتحدث الرواية الشفوية عن تجارة محاصيل التين والعنب والزيتون والمشمش والبرقوق والإجاص وغيرها.[286] ولا بد من الإشارة إلى أن تجارة محاصيل الأشجار تبدلت بشكل ملحوظ نتيجة تبدل أحوال زراعة الأشجار كما بينا أعلاه، ونتيجة التحولات على الأسواق كما سنرى في هذا الجزء من الدراسة. في الواقع، فإن تجارة محاصيل الأشجار تراجعت تمامًا في فترة الدراسة، هذا ينطبق على كافة المحاصيل الشجرية، باستثناء الزيتون الذي وجد دائمًا سوقًا محليًا أو عربيًا أو دوليًا، فبعد أن كان زيت زيتون منطقة الدراسة يذهب إلى باب خان الزيت في القدس وإلى صبّانات نابلس، أصبح يرسل إلى الفلسطينيين في الخارج، أو

[286] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.

يتاجر به إلى الأردن ودول الخليج العربي، ولاحقًا إلى إلى أماكن أخرى في العالم، شأنه شأن زيتون فلسطين بشكل عام.[287] [288] إن تعدد محاصيل الأشجار في منطقة الدراسة يستلزم الوقوف على كل محصول على حدىً، كون كل واحد قد مر بتحولات مختلفة عن الآخر. رغم ذلك، تنحصر الدراسة في محصولين فقط، هما التين والعنب، نظرًا لأهميتهما المركزية ولتوافر معلومات أكبر لدى الدراسة عن هذين المحصولين.

[287] Anne Meneley, "A Tale of Two Itineraries: The Production, Consumption and Circulation of Tuscan and Palestinian Olive Oil.," *Department of Anthropology, Trent University*, 2008.

[288] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

رسم توضيحي رقم (19): كميات إنتاج بعض أشجار الفاكهة في فلسطين ورام الله سنة 1947/1946. الأرقام تحت اسم الثمرة تشير إلى وزن المحصول على مستوى فلسطين ككل (طن)، والأرقام أعلى الرسومات البيانية تشير إلى وزن المحصول في إقليم رام الله ككل (طن). مصدر المعلومات: مادة أرشيفية رقم (ג-5109/17). المصدر: أرشيف الدولة الإسرائيلي. (ملاحظة: هذا الرسم لا يعبر عن كل أنواع الأشجار المثمرة في فلسطين، وإنما تلك الأشجار ذات الجدوى الاقتصادية في منطقة رام الله).

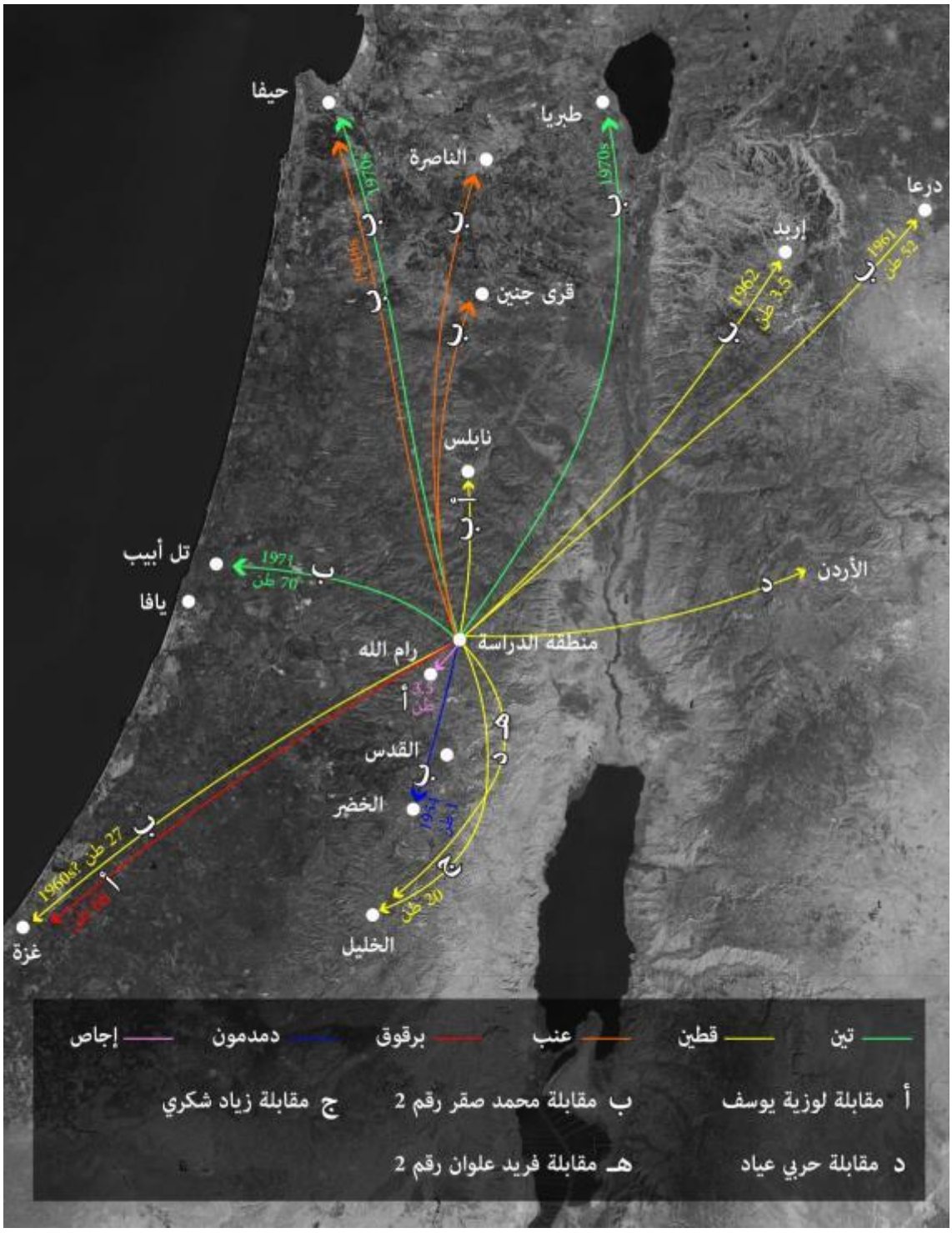

خارطة رقم (12): بعض خطوط تجارة منتجات الأشجار المثمرة خلال فترة الدراسة بناء على الرواية الشفوية. الخارطة للباحثة. الصورة الجوية من (Bing Maps). ملاحظة: الخارطة لا تعبر عن جميع الكميات والأنواع، ولا جميع خطوط التجارة، إنما تستعرض بعض شهادات الأجداد بهدف إعطاء صورة عامة عن مدى كبر تجارة منتجات الأشجار في منطقة الدراسة.

العنب

لم تكن مساحات العنب الشاسعة في منطقة الدراسة مزروعة لمجرد الاكتفاء الذاتي للعائلة الفلسطينية الفلاحة، وإنما كان العنب محصولًا تجاريًا بامتياز، خاصة في سلواد.[289] في الحقيقة، كان أغلب العنب في منطقة الدراسة عنبًا "بياضيًا" زمن الاستعمار البريطاني، ربما لأن جزءً منه قد زُرع أيام الحكم العثماني لفلسطين، وارتبط بإنتاج الزبيب، وهنا يستذكر السيد محمد صقر (91 سنة) طريقة جدته لعمل الزبيب عندما كان طفلًا صغيرًا في نهاية الثلاثينات، ويؤكد على أن إنتاج هذا الزبيب هو امتداد لإنتاج الزبيب زمن العثمانيين: " **معك خبر عزمن التراك، بكوا أغلبه يسطحوه زبيب**" ويخبرنا أيضًا أن قسمًا من العنب كان يباع طازجًا، أما أغلبه فكان يباع زبيبًا حتى الثلاثينيات: "**في التسعة وثلثين ثمانية وثلثين...هاللي يا عمي تقولي ييجوا يبيعوه، ييجي بعيد عنك عحمار عبغل عجمل، يحمّل، يبيعوه عنب، أما أغلبه زبيب.**"[290] بعد هذه الفترة، أي في سنوات الأربعينات، تبدلت طبيعة تجارة العنب في سلواد، وأصبح يتاجر بكل الكمية عنبًا طازجًا، فإلى جانب استمرار الفلاحين في أخذ العنب على الدواب إلى القدس وغيرها، وقدوم الفلسطينيين من مناطق أخرى لشراء العنب من منطقة الدراسة، كان التجار الفلسطينيون يأتون من أماكن أخرى في فلسطين بسياراتهم، ليشتروا كميات العنب الكبيرة (مقابل حوالي 15 قرش للرطل البرّاوي أي 4.5 كغم) ويرسلوها إلى وجهات مختلفة، أكثرها لتباع لليهود، بناء على رواية السيد محمد صقر: " **في هظاك الزمان، من الأربعينات وطالع... سلواد، يعني فيها تقريبا ألف دولم عنب... وين يودوه كله؟ يجين سيارات، من حيفا، عطنوبة... مثل شركة، مثل ما تقولي سوق يعني، طنوبة مثل سوق، اللي يبيعوا فيه، هاظ كبل الاحتلال الثمنية وأربعين،**" أيضًا فقد كان العنب التالف أو الرديء (الدمدمون) يباع أحيانًا لتجار آخرين (مقابل 1.5 قرش للرطل البرّاوي)، غالبًا لإنتاج النبيذ.[291] رغم أن تجارة العنب بكميات ضخمة كانت عالية الأرباح، إلا أنها لم تستمر طويلًا، فأمراض العنب وإغلاق التواصل مع مدن داخل فلسطين بعد النكبة أدت معًا إلى انتهاء هذه التجارة المهمة، أما بقايا العنب الذي كان، فأصبحت

[289] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة.

[290] حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[291] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة، فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

تباع مرة أخرى للباعة الصغار القادمين من شمال فلسطين على دوابهم، أو تباع لسيارات ربما ذهبت إلى المدن والقرى القريبة، إلى أن انتهى العنب وانتهت تجارته.[292]

صورة رقم (41): امرأة من عين يبرود تحمل العنب الأبيض وتقف وسط أشجار عنب تمتد على الأرض. الصورة عام 1937، وهي من أرشيف مجموعة ماتسون. المصدر: أرشيف مكتبة الكونجرس. رابط الصورة هنا.

التين

[292] **حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.**

بينما سلك تين منطقة الدراسة مسارات تجارية مختلفة عن مسارات العنب، فإنه تقاطع مع تجارة العنب في الانتقال من بيع الثمار الجافة (القطين) إلى بيع الثمار الطازجة، لكن في سياق آخر. بدايةً، كانت الفلاحات الفلسطينيات يجففن ثمار التين أثناء تواجدهن في القصور الزراعية خلال الصيف مع عائلاتهن، ثم كان الفلاحون ينقلون القطين الجاهز إلى البيوت في القرية بشكل تدريجي، ويبقى هذا القطين في البيوت إلى أن يحل وقت بيعه.[293] ففي العشرينيات والثلاثينيات، كان أهالي سلواد يحملون القطين على الدواب إلى شمال فلسطين ليبدلوه بالحبوب كما يروي السيد محمد صقر (91 سنة):

" يحملوا قطين، عالدوب، يروحوا بايش يبدلوه؟ بكمح، وبشعير، وبذرة... هاظا هالحكي في الثلثينات وفي العشرينات... يقولولهم الحدّارة... الحدّار يعني، يحمل يبيع، الحدّار يمشي، يمشي يصل جلبون، يصلوا دير أبو ظعيف، يصلوا، وصلوا الناصرة واهم يبدلوا في القطين... عإم الفحم، على فقوعة، على عرابة على السيلة عالمناطق كلها هاذي... يحمل، الدابة كديش بتحمل يا عمي؟ يحطله عليها عشرين ثلثين رطل... هو عنكلة يروح؟ نكلات، طول السنة، يبكى عنده قنطارين قطين بده يبيعهن، كل مرة يوخذله عشرين ثلثين رطل، يوم هاظا مليح بصلش في يوم، بقعد في أوقات يوم وشوي، في الطريق، وهو رايح، وكان هناك تنه يبيعهن بده ياتله ليلة ليلتين، وبده يوم وهو مروح، ثلث أربع تيام تقعد النكلة معاه."[294]

إلى جانب ذهاب الفلاحين من منطقة الدراسة إلى شمال فلسطين، كان التجار يأتون إلى منطقة الدراسة من مدن فلسطين – كنابلس والخليل والقدس – وشرق الأردن لشراء القطين في "جمعة البيع والمشترى" في الشتاء (مقابل 6 إلى 7 قروش للرطل البرّاوي)، والتجار

[293] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة؛ حربي عياد، مقابلة مسجلة؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة.

[294] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

اليهود أيضًا كانوا يأتون لشراء القطين من سلواد في هذه الفترة، وإضافة إلى ذلك، كان بعض هذا القطين يرسل إلى مدن أخرى في فلسطين والدول المجاورة، فمثلًا أرسل السيد محمد صقر (وقد كان تاجرًا معروفًا في المنطقة) اثنين وخمسين طنًا من القطين إلى درعا بداية الستينيات، وأرسل في نفس الفترة حوالي أربعة أطنان إلى إربد، وأرسل حوالي ثلاثين طنًا إلى غزة، وقد استمر هذا الحال حتى احتلال الضفة الغربية عام 1967.[295] في هذه المرحلة، تغيرت طبيعة تجارة التين بشكل جذري، وأصبح سوق التين هو السوق الإسرائيلي، حيث كان التين حتى الثمانينات يباع بالأطنان للسوق الإسرائيلي (مقابل 2 شيكل/كغم)، خاصة للمصانع، ويروي السيد محمد صقر تجارة هذا التين قائلًا: " **واللهي في السبعين، انه ودا هالعبد اللي كبالك سبعين طون تين على عسيس في تل أبيب، سبعين طون. بكوا نكزع تين ويودوه، عالمصانع... هاظا تين، هاظا يعلبوه... وبكيت نودي عزنكلول [يقصد زنلكول] في حيفا... ونودي عتلا الجولان عطبريا، شو رأيك؟**"[296] في الحقيقة، فإن كميات الإنتاج لم تبق عالية طوال هذه الفترة، بل تناقصت مع الزمن، وقلت كثيرًا في الثمانينات كما بيننا، وهذا كان أول عامل لتراجع تجارة التين، أما العامل الثاني فهو الانتفاضة الأولى، حيث أُغلقت الأسواق الإسرائيلية أمام تين سلواد منذ تلك الفترة، أدى هذا إلى إهمال التين وتراجعه بشكل غير مسبوق.[297]

صورة رقم (42): شعار شركة زنلكول، وهي شركة يهودية لتصنيع معلبات الفاكهة وغيرها في حيفا. الصورة من ملف أرشيف رقم (גל-7265/3).

المصدر: أرشيف الدولة الإسرائيلي.

[295] حربي عياد، مقالة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة؛ فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة، محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[296] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2.

[297] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2.

THE ASSIS PALESTINE FRUIT PRODUCTS CO.

BEJARANO BROS. LTD.

FACTORY AT RAMAT GAN
POSTAL ADDRESS: TEL-AVIV, P. O. B. 175, PHONE 7106, 7107
CABLES: ASSIS TELAVIV

MB/AW/221

Tel-Aviv, 10th February 1946

صورة رقم (43): شعار شركة عسيس، وهي شركة يهودية لتصنيع المواد الغذائية في تل أبيب. الصورة من ملف أرشيف رقم (מ-32/13). المصدر: أرشيف الدولة الإسرائيلي.

صورة رقم (44): شجرة تين في سلواد من بقايا مساحة تين أكبر. تصوير الباحثة: 16 تشرين الأول 2021.

جوانب اقتصادية أخرى مرتبطة باقتصاد الأشجار المثمرة

بين هذا الفصل حتى الآن وجود صلة كبيرة بين توسع البنى التحتية الزراعية وتوسع زراعة الأشجار، ووضح كبر حجم الاقتصاد المرتبط بزراعة الأشجار المثمرة، وأن هذا الاقتصاد الكبير قد حفز نمو مساحات الأشجار في منطقة الدراسة. في الواقع، فإن توسع مساحات الأشجار فتح المجال أمام توسع نشاطات اقتصادية أخرى ذات صلة، لعل أهمها اقتصاد زراعة الأشجار والعناية بها، واقتصاد إنشاء السناسل، وهذا ما تحاول الدراسة معالجته في الأقسام التالية.

اقتصاد زراعة الأشجار المثمرة والعناية بها، وبعض التحولات

لم تكن مشاهد الأشجار ثابتة المساحة في سلواد وعين يبرود، وإنما كان الفلاح الفلسطيني في فترة الدراسة يزرع الكثير من الأشجار الجديدة لتلبية الطلب المتزايد على الثمار، خاصة في فترة الاستعمار البريطاني.[298] أما عن مصدر هذه الأشجار، فاختلفت بحسب الحال والزمان. قديمًا، كان الوضع السائد هو زراعة الأشجار من أصول محلية، ما يعني أن تكلفة الزراعة لا تتعدى بدل عمل الإنسان (وهو الفلاح نفسه في هذه الحالة)، فأشجار البرقوق كانت تزرع من البذور: " **بوكد سيدي حياة سيدي، يحط العصاة هيذ، يخزق الأرض، ويرمي الحبة فيها، وتصير شجرة... ولا سقية ولشي، وقتي يسقيهن، يسقوا قبل يعني يوم ما يدفنوها، وخلص، بقت الأرض تظل فيها رطوبة، ما تنشفش، زي اليوم؟!**"[299] أما أشجار العنب والتين، فكانت تزرع من فروع مأخوذة من أشجار أخرى، على ما يبدو من نفس المنطقة، كذلك الزيتون فكان يزرع من أصول مأخوذة من أشجار قريبة كما يبين السيد محمد صقر (91 سنة):

> " أبوي بكا مزارع، مزارع. منا نزرع التين، شو نسوي، نروح، من شجرة التين، نقص يعني، فرع تين، يقص يعني أبو شبرين، يقص أبو شبرين، يقصله سبعين ثمنين، كد طلبه يعني، كد ما بده. القصفتين هذول، القصفتين هذول، نبحش بير للركبة، للركبة، يعني أبو نص

[298] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[299] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

متر، نبحشة، هذول نحط ثنتين مع بعظهن، مش وحدة، تحطيهن هي تلزكيهن في بعظهن، ونخلي هي الحسمة هذي، راس الحسمة، تمدديه هيذ، وتبطحيه في بطن شسمه هاظا، البير، تخليه ناقص عن الأرضية، قدر خمسة صانتي، نازل، اه، وتدوري تحطي في تراب وتلبدي، حتى إنه، مشان يعني تبكى ملزك في الأرضية، يشرش، اه، وتخليه. طبعًا وينتا الزراعة، عز الزراعة تبدي، كانت تبدي في إذار في شهر ثلاث، كبل التين ميفتح، تلاكيه بعد شهر زمان أربعين يوم، يدور ينبز، هاي كانت زراعتهن هيذ، التين. والعنب كذلك، والعنب كذلك. الزتون، شو بكوا يسووا، ييجوا، ييجوا مثل ما تقولي، على عرك الزتون، مش يبكى طالع شريب على عروق الزتون هيذ، خرصان عالكرمية، كون كشفوه، يطلعوا كد ما تقولي، كد الطابة الزغيرة... من كاعها، عن العرك، مش ببقا طالع عروق هيذ ناتيات، بطقوه، يطلعوا مع الخريص، كرمية هلكدي، اه، ازغيرة، يبحشوله كذلك نص متر، كذلك يلبدوا، بعد ما يكبر بعد سنتين ثلاث يطلع الهاظا، يركبوه، شو يركبوه؟ طبعا هاظا بري مهو اللي عالعرك بري، طالع بري، يركبوه من الزتون يعني، يركبوه من نفس الزتون، اه."[300]

يبدو من رواية السيد محمد صقر أن زراعة الأشجار كان عملًا عائليًا، لكن هذا لم يكن التعميم، فهناك حالات كان الفلاح يستعين بها بشخص آخر يزرع له أرضه مقابل المال، هذا ما بينه السيد حربي عياد (74 سنة): "**حياة ابوي، ودا خالي... على يبرود، راح**

[300] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

جاب، زتون، يخلعوه عن جنب، مش بطلع عجنب الزتون الرومي عالعروق، يخلعوه، في قرميته هلقدي تبقى... ويزرعوه... أنا بقيت ابن طنعشر سنة... بقولها يما هاظا خالك بوخذ أجار، قالتلي والا يما."[301]

بالنسبة للعناية بالأشجار، فكان أيضًا عملًا عائليًا على الأغلب، فتنظيف الأرض من الحجارة والحراثة والتعشيب والتوريق والتطريب (وضع التراب على عروق الأشجار) ووضع "الزبل" على الأشجار وغيرها من الأمور كانت أنشطة معتمدة على عمل الأسرة، بحيث يختلف مدى مشاركة كل فرد باختلاف طبيعة النشاط.[302] أما جمع الثمار وتحويلها إلى منتجات أخرى كالقطين أو الزبيب، فكان أيضًا عملًا عائليًا، ولكنه كان يعتمد على جهد المرأة بالدرجة الأولى.[303] ومع التحولات على أنواع الأشجار والتحولات الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام، تغير اقتصاد زراعة الأشجار والعناية بها أيضًا، فأصبحت الأشتال الجاهزة تُشترى من المشاتل أو تُوزع من قبل الجمعيات الزراعية، وأصبح الاعتناء بالأرض وجمع المحصول في الغالب عملًا مأجورًا مقابل المال، أو نوعًا من المزارعة مقابل نسبة من المحصول.[304]

اقتصاد إنشاء السناسل قديمًا

قديمًا، كانت عملية إنشاء السناسل عملًا عائليًا في أغلب الأحيان، حيث تتفق أغلب الروايات الشفوية على أن معظم الفلاحين الفلسطينيين في منطقة الدراسة حملوا مهارة إنشاء السناسل، هذا ما تؤكده السيدة لوزية يوسف (86 سنة): " **بقت كل الدنيا تسنسل... كل اللي في الأرض، في البلد، يحرثوهن ويسنسلوا، العتق، مش الجديد... والله سيدي بخمن سنسل هاظ بستان ثمن**

---

[301] حربي عياد، مقابلة مسجلة.

[302] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2؛ حربي عياد، مقابلة مسجلة؛ وهيبة نوفل حامد، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 12 كانون ثاني 2021)؛ فظية يحيى سالم يحيى، مقابلة مسجلة.

[303] وهيبة نوفل حامد، مقابلة مسجلة؛ لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[304] زيارة ميدانية لمنطقة الدراسة بتاريخ 4 تشرين الثاني 2021 (موسم الزيتون)؛ محمود علي أبو محمود، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة (عين يبرود: 4 تشرين الثاني 2021)؛ حربي عياد، مقابلة مسجلة؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1؛ الجمعية الزراعةي في عين يبرود، مقابلة مسجلة.

دنومة بقا."[305] في الواقع، كانت عملية إنشاء السناسل نشاطًا ذكوريًا يقوده الأب في أغلب الأحيان، وتتحدث السيدة وهيبة نوفل (85 سنة) عن ذلك قائلةً: " **يوخذوا هالولاد، ويروحوا... كل واحد يناول حجار والأبو يسنسل في السناسل، يبني سناسل يعني، والولاد يناولوه حجار، ويبني سناسل... النسوان بقينش يسرحن... ميسنسلنش**."[306] ومن ناحية أخرى، كانت هناك مشاركة مجتمعية ونوع من العونة في إنشاء السناسل، وهنا يقول السيد فريد علوان (87 سنة): " **وبكينا نشتغل يعني والناس يعاونوا بعظهم، بكا الواحد يوم يسنسل سنسلة، ييجوا قرايبه معاه، يساعدوه، يسنسلوا معه شوية**."[307]

لم تنطبق مسألة العمل العائلي في إنشاء السناسل دائمًا، فقد كانت هناك بعض الحالات التي تستلزم الاستعانة بشخص آخر لإنشاء السناسل. على سبيل المثال، هناك حديث عن أن بعض الفلاحين لم يعرفوا أو لم يتقنوا إنشاء السناسل، ما استدعى الاستعانة بأحد "الختيارية" المعروفين في القرية، ينطبق هذا على سلواد وعين يبرود. فمثلًا، كان السيد فريد علوان – وقد كان معلّم بناء حجر في عين يبرود – يسنسل أراضيه ويسنسل أراضي الناس: " **بكيت أبني سناسل إلي، وللناس**."[308] وعند سؤاله عمن يبني السناسل، بين أن الأمر يعتمد على الحالة: " **إذا بتعرفي انتي بتسنسلي انتي، وإذا بتعرفيش بدك تجيبي واحد... بقاش الكل يسنسل، يعني ناس خصوصي... معروفين في البلد، عارفينهم الناس، يجيبوهم**."[309] وفي حين قد يبدو هذا متناقضًا مع الروايات الأخرى ومع حقيقة أن جميع الرجال الذين تمت مقابلتهم يعرفون إنشاء السناسل، وأن جميع النساء الذين تمت مقابلتهن شهدن عائلاتهن يقمن بإنشاء السناسل، فإن الدراسة تعتقد أن المعرفة كانت موجودة عند الجميع، لكن درجة الإتقان وطبيعة السنسلة ودرجة الخبرة هي التي كانت تستدعي الاستعانة بشخص أكثر براعة في إنشاء السناسل، هذا يتضح في رواية السيدة حليمة حماد (75 سنة) على سبيل المثال: " **مثلا سنسلة إلي هذي، مثلا، زغيرة، مريّحة، مثلا بكدرش أجيب حدا من برا، بسنسلها أنا على إيدي، يلا بتعلم فيها مثلا،**" وقولها أيضًا: " **فيهن بكوا الختيارية العتق، الختيارية العتق بنايتهم تبكى قوية وما أحلاها، وفيهن بلهمدوا، اه مش كل الناس شغلهم واحد**."[310] وإلى جانب عدم امتلاك المعرفة الكافية، كان البعض يلجأون إلى الاستعانة بالعمالة الخارجية عندما لا توجد أيدي

[305] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.
[306] وهيبة نوفل حامد، مقابلة مسجلة.
[307] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.
[308] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1.
[309] فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2.
[310] حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2.

عمل كافية في عائلة الفلاح، خاصة لو أراد الفلاح سنسلة مساحة كبيرة لتشجيرها، ويبين السيد محمد صقر (91 سنة) تجربته الخاصة في هذه الحالة، حين تطلبت زراعة أشجار التين إنشاء سناسل جديدة في أرض والده:

" بكوا كل واحد، يا سيدي، كل واحد، ولادته، يبكا عنده ثلث أربع شباب، مش مغتربين عنده في الدار، شباب، إهن اللي يسنلسوا، إهن إهن صاحبين الأرض. إحنا، بكيت أنا وحداني، ورا أبوي وحداني فش غيري، طيب، وين نوخذ، نوخذ بالأجار، نوخذ ختيار اسمه، ختيار، يسنسللنا، هوتة، كديش الواحد يوخذ، واللهي بكا الختيار هاظ يوخذ خمسطعشر كرش، والعامل اللي معه يوخذ عشر كروش... هاظ ونا زغير، بكا عمري في هذاك الوقت، يمكن يا محمد، يمكن، هاظ الحكي، سنة السبعة وأربعين، سطعشر سنة... منلحكش احنا، إحنا منلحكش، اه يعني محتاجين لحدا، أما اللي عنده تقولي ثلث أربع شباب، يسنسلوا، اه."[311]

إلى جانب العوامل الأخرى، كان الوضع الاقتصادي للفلاح الفلسطيني يحكم مدى استعانته بعمالة خارجية، حيث تتحدث السيدة لوزية يوسف عن تمكن عائلتها الثرية من توفير عمالة خارجية لإنشاء السناسل، مقابل صعوبة ذلك بالنسبة لغيرهم من أهالي عين يبرود: " **بقوش يحطوا القروة، منينيلهم مصاري... يحطوا مصاري يعني أجار الشغيل، ما بقاش في مصاري، إهم بأديهم يسنسلوا... والله إحنا نجيب عمال، بس البلد يعني تبقى فقيرة فشي يدفعوا**."[312]

اقتصاد إنشاء السناسل حاليًا

[311] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1.
[312] لوزية يوسف عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة.

شهدت منطقة الدراسة الكثير من التحولات الاقتصادية والتحولات على أنماط العمل خلال فترة الدراسة، لعل أبرزها الانتقال من العمل الزراعي إلى العمل المأجور في دول الخليج وفي إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في فترات زمنية مختلفة، شأنها في ذلك شأن الضفة الغربية بشكل عام، وما لحق ذلك من دخول رأس المال الأجنبي إلى منطقة الدراسة .[313] [314] ويبين السيد محمد صقر (91 سنة) أن هذه التحولات الاقتصادية أدت إلى تحول على اقتصاد إنشاء السناسل:

> " كل واحد عنده ولاد وعند شباب، اللي عنده حراث يوم زتون، يعني دولين واللي عنده عشرين، وبده تسنسل، يروح عزتوناته عتيناته، يسنسلهن، يعني أرضه يسنسل... بكا يا عمي فشي لا عند اليهود شغل ولا في شغل، بكا شغله في رزكه الواحد، في أرضه، في أرضه شغله، أغلب شغل الناس في أرضهن، كبل ما انفتحت الهجرة عالكويت، في الخمسينات، وكبل ما انفتحت الهجرة على أميركا، وكبل ما صاروا يقولوا، المهاجرة، وكبل ما صار هاللي صار في الناس، كله بكا، كله يشتغل في رزكهن، في أرضهن."[315]

اليوم، أصبح إنشاء السناسل عملًا مأجورًا في أغلب الأحيان، يقوم به عدد قليل من الأشخاص المختصين "المعلمين" بمساعدة العمال المأجورين أيضًا.[316] فمثلًا، بينت الجميعة الزراعية لعين يبرود أن هناك مجرد شخصين مختصين ببناء السناسل في عين يبرود: "**فش إلا أبو رداد والأشقر في البلد**،" وأن إنشاء السناسل اليوم هو عمل مأجور، وأن تكلفة إنشاء متر طول من السناسل تتراوح بين 35 إلى 60 شيقلًا إسرائيليًا، حسب طبيعة السنسلة.[317] وقد تمكنت الدراسة من إجراء مقابلة مطولة مع أحد المختصين في إنشاء السناسل،

---

[313] Tamari, "Building Other People's Homes"; Leila Farsakh, *Palestinian Labour Migration to Israel: Labour, Land and Occupation* (Routledge, 2005).

[314] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1، محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[315] محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

[316] تحدثت الجمعية الزراعية عن أن بعض الأشخاص لا زالوا يقومون بإنشاء السناسل لوحدهم دون الاستعانة بعمالة خارجية، وهذا يحدث عندما تكون السناسل بحاجة إلى صيانة/ أو عندما تكون السنسلة بسيطة وسهلة الإنشاء، وحين يمتلك مالك الأرض المعرفة بإنشاء السناسل.

[317] الجمعية الزراعية في عين يبرود، مقابلة مسجلة.

وهو السيد رائد فرحات المعروف بأبي رداد (60 سنة)، والذي تعلم هذه الحرفة من الجيل القديم: " **أنا تعملت من الناس، أنا بقيت أشتغل مع الناس، مع الختيارية العتق، القنابة، السناسل، يعني كل اشي تعلمته من الختيارية.**"[318]

هناك الكثير من التحولات التي جرت وتجري حتى الآن على عمالة إنشاء السناسل حسب رواية أبي رداد وغيره، ففي حين كان إنشاء السناسل على مستوى العائلة قديمًا كما بيننا أعلاه، أصبحت العمالة مقتصرة على عدد قليل من الأشخاص، بل وأصبح أهالي عين يبرود مثلًا يستعينون بخبراء إنشاء سناسل من سلواد ومن قرى نابلس على سبيل المثال لا الحصر، وأصبح الخبراء من عين يبرود ينشئون السناسل في مناطق أخرى مجاورة، كبيرزيت،.[319] رغم ذلك، فإن هؤلاء الأشخاص لا يبقون دائمًا في مهنتهم، بل يتوجهون إلى أسواق عمل أخرى كما يبين السيد رائد فرحات " **أنا ولادتي كلهم بقوا بناية، بس سافروا، ظل واحد اليوم بسنسل، يعني فيه معاه سناسل في البلد.**"[320] أيضًا، في حين كانت عملية إنشاء السناسل غير مكلفة في أغلب الأحيان (باستثناء وقت وجهد العائلة)، أصبح اقتصاد السناسل اليوم يعتمد على رأس المال الأجنبي كمحرك أساسي، خاصة عندما يتم إزالة السناسل القديمة من الموقع وإنشاء سناسل جديدة، أو حين يتم إدخال أرض جديدة تحت الاستغلال الزراعي، فهذا السيد عامر حمدان من عين يبرود قد "عمّر" أرضًا اشتراها وأنشأ السناسل بعد عودته من أمريكا، وهذا السيد فواز حامد من سلواد استخدم رأس المال المجموع في الخليج وكندا لشراء الأرض وسنسلتها، وهما ليسا الوحيدين.[321] في الواقع، فإن رأس المال الأجنبي هذا قد غير أيضًا في طبيعة السناسل واستخدامها، فأصبحت السناسل ترتبط بتغيير أكبر في المشهد الطبيعي، وإزالة الملامح الموجودة في المشهد الطبيعي للحصول على سناسل هندسية عالية الحضور في المشهد، وأصبحت عملية إنشاء السناسل تجري بسرعة كبيرة، ولغايات ليست زراعية دائمًا – وذلك على عكس السناسل التي خدمت أهدافًا زراعية واقتصادية في السابق – حيث أن الكثير من السناسل في منطقة الدراسة اليوم تُنشأ كسناسل "**مناظر**" حسب تعبير أبو رداد، أو حتى لاستعراض حضور أصحاب الأراضي في المشهد كما يقول السيد فريد علوان: " **زمان عشان**

[318] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.
[319] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ الجمعية الزراعية في عين يبرود، مقابلة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1، فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة.
[320] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة.
[321] عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1، فواز حامد، مقابلة مسجلة.

يعيشوا من وراها، اليوم بتباهوا الناس بقولوا هي عمرت الشكفة الفلانية،" أو كسناسل تخدم استجمام العائلة، حيث أن هناك الكثير من السناسل في منطقة الدراسة التي ترتبط بفكرة "المنتزه" أو فكرة "العزبة" المخصصة لترفيه العائلة في المشهد الطبيعي.[322]

إجمال

جاء هذا الفصل من الدراسة ليكسر التوجه السائد في الدراسات الإسرائيلية التي تتحدث عن السناسل في جبال وسط فلسطين. من ناحية أولى، بين هذا الفصل أن عمليات إنشاء السناسل وتشكيل المشهد لم تنته في الأزمنة القديمة، بل استمرت وبشكل كبير زمن الاستعمار البريطاني وما بعده وحتى اللحظة. من ناحية ثانية، عالجت هذه الدراسة مسألة توسع السناسل والتعديلات الكبيرة على المشهد الزراعي الإيكولوجي، وبينت أن أسباب التوسع لم تكن نظام ملكية الأراضي المركزي أو التوسع السكاني كما بينت الدراسات الإسرائيلية، وإنما كان توسع السناسل والقصور (ولا زال) في منطقة الدراسة مدفوعًا بزراعة الأشجار المثمرة ذات الجدوى الاقتصادية. بينت الدراسة في هذا الفصل أن تفسير الصلة بين السناسل والأشجار يتمثل في أن الطلب على الثمار ومنتجاتها استلزم زراعة أشجار جديدة، وهذا بدوره خلق الحاجة إلى إنشاء سناسل جديدة. ونظرًا لأهمية الأشجار ودورها كمحرك لتوسيع السناسل وتغيير المشهد الزراعي الإيكولوجي، فقد وقفت الدراسة في هذا الفصل على التحولات على أنواع الأشجار المثمرة ومساحاتها في منطقة الدراسة، وتجارة منتجات الثمار، خاصة العنب والتين. إن توسع الأشجار قد تطلب حركة اقتصادية أخرى في منطقة الدراسة، ولذا وقفت الدراسة سريعًا على اقتصاد زراعة الأشجار المثمرة والعناية بها، واقتصاد إنشاء السناسل، والتحولات على كل منهما.

[322] رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة؛ فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1؛ زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة؛ عامر حمدان دحابرة، مقابلة مسجلة 1؛ فواز حامد، مقابلة مسجلة؛ محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2.

الفصل الخامس: خلاصة واستنتاجات

هذه الدراسة بدأت من اهتمام الباحثة بقراءة المشهد الزراعي الإيكولوجي باعتباره مشهدًا حيًا ويتغير على إثر التبدلات على الظروف البشرية والظروف البيئية. إن المشهد الزراعي الإيكولوجي ليس مشهدًا جامدًا أو ميتًا يقبع في حقبة تاريخية ما، وإنما مشهد حيوي وينمو باستمرار، هذه الحيوية والتبدل على أوضاع المشهد ليست موحدة ولا ثابتة في الزمان والمكان، كما وأن درجات التغيير وطبيعته تتراوح على درجات مختلفة من سلم التغيير، فبعض المشاهد تتغير ببطء شديد وبمقياس قد لا يدركه الإنسان بحواسه، وبعضها يتبدل بسرعة كبيرة وعلى مقياس كبير لدرجة أن المشهد القائم لا يشبه ما كان قبله بفترة قصيرة. إن علاقة الزمان والمكان مهمة عند دراسة المشهد الطبيعي، وإن التفاعلات المختلفة في الزمان والمكان هي التي تحرك المشهد وتأخذه من حالة إلى أخرى.

حين بدأت الدراسة بإطار "حيوية المشهد الطبيعي" كأساس تبني عليه الدراسة، فإنها كانت مدركة بأن المشهد الزراعي الإيكولوجي هو مشهد مركب وعالي التعقيد، وأن فيه من العناصر والتفاعلات ما لا يمكن حصره ودراسته في دراسة واحدة أو حتى مئات الدراسات، لذا كان لا بد أيضًا من حصر الدراسة من خلال التركيز على محاور محددة، فاختارت الدراسة ثلاثة محاور أساسية حصرت الدراسة. المحور الأول هو محور العنصر المادي الذي اختارت الدراسة التعمق فيه، وهو السناسل الحجرية التي تشكل واحدة من أبرز العمليات حضورًا في المشهد الزراعي الإيكولوجي في فلسطين، خاصة في المنطقة الجبلية، وقد وضعت الدراسة هذا العنصر المادي ضمن إطار

أوسع هو إطار البنية التحتية الزراعية. المحور الثاني هو المحور المكاني، حيث اختارت الدراسة موقعًا جغرافيًا بدأت منه وركزت عليه، هو بلدة سلواد وقرية عين يبرود – أملًا في أن يتم توسعة البحث في المستقبل ليشمل مناطق أخرى. في الحقيقة، فإن هذا الموقع يتميز بفرادة مشاهد السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية (تحديدًا القصور الزراعية)، كما أنه شهد تغييرات كبيرة في عشرات السنوات الأخيرة نتيجة لعد ظروف، ما جعله موقعًا جديرًا بالدراسة. المحور الثالث هو محور الزمن، حيث رأت الدراسة أن تركز على القرن الأخير من الزمن، أي منذ بداية الاستعمار البريطاني لفلسطين إلى الوقت الحاضر، فهذه الفترة يمكن للباحثة تغطيتها بالأدوات البحثية المتوافرة بين يديها، وهي أيضًا فترة هامة كونها شهدت كثيرًا من التحولات.

جاءت هذه الدراسة، إذًا، لتعالج محاور عديدة ترتبط بالمشهد الزراعي الإيكولوجي وحيويته، فوضعت إطارًا أوليًا لمفهوم البنية التحتية الزراعية، ووثقت العديد من البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة (وبشكل هامشي في مناطق أخرى في فلسطين)، وحاولت الوقوف على التحولات التي جعلت المشهد الزراعي الإيكولوجي في منطقة الدراسة يصل إلى ما هو عليه الآن. ركزت الدراسة في تحليلها على السناسل، وحاولت ربطها بعناصر البنية التحتية الزراعية الأخرى وبالمشهد الزراعي الإيكولوجي. لقد اعتمدت هذه الدراسة على عدة أدوات بحثية متقاطعة، إيمانًا من الباحثة بأن تعدد الأدوات يساهم في تقديم إجابات أكثر واقعية عن أسئلة الدراسة، ويساهم في دعم الاستنتاجات والمخرجات بأدلة عديدة. رأت الباحثة أن هناك ضرورة للبناء على المعرفة المحلية في الدراسات الأكاديمية، خاصة رواية الأجداد في العقد السابع من عمرهم وأكثر، كون هؤلاء الفلسطينيين أصحاب هذه الأرض وسكانها يعلمون دقائق الأمور في مشهدهم الزراعي الإيكولوجي، وباعتبارهم شهدوا تبدلات مشهدهم وساهموا بشكل كبير في تغييره عبر الزمن. انطلاقًا من هذا، بنت الدراسة بشكل كبير على الروايات الشفوية والمعرفة المحلية في منطقة الدراسة، حيث وظفت هذه المعارف المحلية في توثيق الجوانب التقنية المختلفة المرتبطة بالبنية التحتية الزراعية والسناسل، إضافة إلى قراءة التحولات التي طرأت على هذه البنى التحتية وعلى المشهد الطبيعي بشكل عام. وإلى جانب المعرفة المحلية، وظفت الدراسة الزيارات الميدانية المطولة لتوثيق الحاضر ومحاولة فهم الماضي والكيفية التي وصل بها المشهد إلى وضعه الحالي. هذا كان ممكنًا بمساعدة أداة أخرى، وهي أنظمة المعلومات الجغرافية، حيث وظفت الدراسة برنامج (QGIS) مفتوح المصدر لترسيم طبقات حول بيانات مأخوذة من مصادر أرشيفية (الصور الجوية البريطانية عام 1945/1944، والخرائط البريطانية عام 1942) إلى جانب طبقات تعطي بيانات عن الحاضر (من صور جوية حديثة)، ووظفت

هذه البيانات جنبًا إلى جنب مع الرواية الشفوية والعمل الميداني والأدوات الأخرى – البحث الأرشيفي والكتابات الأكاديمية – في سبيل الإجابة عن تساؤلات هذه الدراسة. وإلى جانب هذه الأدوات، لجأت الدراسة في بعض الأحيان إلى الرسومات المعمارية كأداة تساهم في التعمق في تفاصيل السناسل.

عالجت الدراسة في شقها الأول مسألة البنية التحتية الزراعية، ووضعت تعريفًا أوليًا يؤطر هذا المفهوم. ترى الدراسة أن البنى التحتية الزراعية هي تركيبات أو تكوينات من التقنيات المادية والعلاقات المتداخلة والمرتبطة بوجود مجتمعٍ زراعيٍ في مكانيةٍ ما، وهي تكوينات حيوية مع الزمن، وعلى تفاعل مستمر مع المشهد الطبيعي والإنسان. ربما تأتي أهمية البنى التحتية الزراعية من حقيقة أنها تخلق أشكالًا متعددة من العلاقات في المشهد الزراعي الإيكولوجي، ما يسمح بالزراعة أو يسهلها وبالتالي يساهم في خلق الظروف المناسبة لتواجد المجتمعات الزراعية في هذا المكان من العالم. ومن بين العلاقات التي تنشأ عن حضور البنى التحتية الزراعية في المشهد، يمكن الحديث عن العلاقات والتفاعلات بين البنى التحتية الزراعية والمشهد الطبيعي، وبين البنى التحتية الزراعية والإنسان، وبين المشهد الطبيعي والإنسان. إن هذه العلاقات والتفاعلات تجعل البنى التحتية الزراعية ديناميكية وحيوية، شأنها شأن المشهد الطبيعي الذي تتواجد فيه، والذي تزداد حيويته بوجود البنى التحتية الزراعية. في الحقيقة، فإن هذه الحيوية تجعل البنى التحتية الزراعية أكثر استدامة وملاءمة للظروف المستجدة. وبالحديث عن الحيوية، يمكن القول بأن البنى التحتية الزراعية تطورت وتتطور مع التبدل المستمر على أنماط حياة المجتمعات عبر الزمان وفي المكان، فوجود المجتمعات في المشهد وإدراكها لهذا المشهد ولحاجاتها وللبنى التحتية التي طورتها المجتمعات التي سبقتها، كلها تلعب مع عوامل أخرى دورًا في تطوير نماذج بنى تحتية جديدة أو التطوير على الأنماط القائمة وأخذها لتلائم الظروف المستجدة. ما يمكن قوله هنا هو أن المحرك الأهم في تطوير البنى التحتية الزراعية القائمة وتطوير أنواع جديدة هو التغير الدائم في المعرفة المحلية، فاستدامة البنى التحتية الزراعية ونموها وتحويرها لتلائم الحاضر والمستقبل يعتمد بشكل أساسي على استدامة المعرفة المحلية، ليس بمعنى أن تؤخذ من الماضي كما هي، وإنما بمعنى أن تتبدل وتتطور بشكل مستمر عبر الزمن، مع الإبقاء على المبادئ العامة التي تميز البنى التحتية الزراعية المحلية عن التكوينات المستحدثة التي قد لا تتوافق مع المشهد الزراعي الإيكولوجي في أغلب الأحيان. في الحقيقة، أشارت الدراسة في الفصل الثاني إلى أهمية خاصية التنوع، ومسألة الحيوية والتفاعل والترابط بين المشهد والبنى التحتية الزراعية، وبين البنى التحتية الزراعية المختلفة، وهذه هي الخواص الأكثر أهمية لديمومة البنى التحتية الزراعية – برأي الباحثة. إن الحضور المستمر

للبنى التحتية الزراعية في المشهد هو أمر ضروري للحاضر والمستقبل، ويعطي الفلسطينيين أدوات تساندهم في الاستمرار في الوجود في هذا المكان من العالم. بالطبع، فإن المقصود بالحضور لا يقتصر على الوجود المادي للعنصر بشكل متحفي جامد ومنفصل عن عمليات التكوين الاخرى في المشهد، وإنما أن يستمر (أو يتحول) استخدام تكوينات البنى التحتية الزراعية بما يخدم الظروف الجديدة، ويتم تطويره ليتماشى مع المستقبل وحاجاته وظروفه، وأن تنمو المعارف المحلية المرتبطة بالبنى التحتية الزراعية، وأن تكون في أيدي أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، لتمشي في مسارات مختلفة في المواقع المختلفة، وتلائم الظروف الخاصة بكل حالة عينية.

ركزت الدراسة في مبحثها الثاني على السناسل باعتبارها واحدة من البنى التحتية الزراعية، بل ربما أهم بنية تحتية زراعية في فلسطين. لقد أخذ الفصل الثالث من الدراسة بعدًا توثيقيًا وبعدًا تحليليًا، واعتمد بالأساس على المعرفة المحلية الفلسطينية والعمل الميداني في منطقة الدراسة، إضافة إلى الرسومات المعمارية. من ناحية التوثيق، اختص هذا الجزء من الدراسة بالبحث في الأدوار المختلفة التي تلعبها السناسل المرتبطة بحماية التربة من الانجراف، هذه الأدوار التي تختلف من حالة إلى أخرى، وتتبدل مع تبدلات الظروف المحيطة. من ناحية أخرى، فقد تمكنت الدراسة من توثيق بعض المعارف المحلية المرتبطة بالسناسل، خاصة تلك المرتبطة بالجوانب التقنية للسناسل، كمواد البناء وعمليات الإنشاء والصيانة، وما جرى على هذه الجوانب التقنية من تبدلات عبر الزمن. أيضًا، تمكنت الدراسة من توثيق أشكال مختلفة للسناسل وأوضاع مختلفة لها في منطقة الدراسة. من ناحية التحليل، قدمت الدراسة عدة تحليلات، من بينها محاولة في تصنيف السناسل بحسب المعيار الوظيفي وبناءً على معايير أخرى. في الواقع، فإن السناسل في منطقة الدراسة عالية التنوع ولا يمكن حصرها في أسلوب واحد للتصنيف، ما اضطر الباحثة لأخذ عدة توجهات تصنيفية، ويبدو أن السبب في التنوع يعود إلى تصميم كل سنسلة بشكل ملائم لحالتها، حيث أن كل سنسلة لها ظروف خاصة حددت شكلها ووظيفتها، فالموقع الجغرافي للسنسلة وطبيعة المواد المتوفرة وطبيعة الاستخدام ومعرفة الباني وغيرها من العوامل حكمت بشكل كبير فرادة كل سنسلة واختلافها عن سواها. إلى جانب البعد التصنيفي، ساهمت الدراسة من الناحية التحليلية في قراءة حيوية السناسل وتبدلها بشكل مستمر مع الزمن وتبدل المعارف المحلية المرتبطة بها. لقد عالجت الدراسة بعض التحولات التقنية على السناسل، وبينت أن السناسل لم تسر في خط واحد هو خط التراجع والدمار (كما ترى أغلب الأدبيات الفلسطينية)، وإنما سارت وتسير في مسارات عديدة بحسب خصوصية كل حالة.

اختص المبحث الثالث من هذه الدراسة في قراءة الأسباب التي حركت توسع السناسل (والقصور الزراعية) في منطقة الدراسة، حيث وظفت الدراسة الرواية المحلية والخرائط لمعالجة الدافع وراء إنشاء المزيد من هذه البنى التحتية الزراعية في القرن الأخير من الزمن. لقد كانت الأشجار المثمرة ذات الجدوى الاقتصادية هي المحرك الأساسي لنمو السناسل وغيرها من البنى التحتية الزراعية في فترة الدراسة، فطلب السوق على الثمار ومنتجاتها كان يحرك الفلاح الفلسطيني لزراعة المزيد من الأشجار، وزراعة الأشجار كانت تستلزم إنشاء المزيد من السناسل. لقد كانت قريتا سلواد وعين يبرود الصغيرتان مرتبطتين بشكل فعال بالاقتصاد الإقليمي في فلسطين والدول المجاورة، فوصلت ثمارها إلى غزة والناصرة وحيفا، ووصلت أيضًا إلى سوريا والأردن، وربما أبعد من ذلك. هذه الأهمية الاقتصادية للثمار حركت عمليات اقتصادية أخرى في منطقة الدراسة، كإنشاء السناسل وزراعة الأشجار والعناية بها. إن التأمل في خرائط الفصل الرابع من هذه الدراسة يقدم الكثير من الاستنتاجات عن علاقة الأشجار بالبنى التحتية الزراعية، وعلاقات البنى التحتية ببعضها البعض، فانتشار الأشجار يعني انتشار السناسل، وغياب الأشجار يعني غياب السناسل في كثير من الأحيان. من ناحية أخرى، فإن هناك علاقة وثيقة بين انتشار السناسل ومواقع القصور الزراعية وغيرها من البنى التحتية الأخرى، فالقصور تتواجد في المناطق المسنسلة في أغلب الأحيان. من ناحية ثالثة، يمكن الحديث عن علاقة البنى التحتية الزراعية بأنواع المحاصيل، فالقصور، على سبيل المثال، تتواجد بشكل واضح في مناطق كروم العنب والبساتين، ويكون حضورها أقل وضوحًا في مناطق انتشار أشجار الزيتون. من الواضح إذًا العلاقة المتينة بين الأشجار والبنى التحتية الزراعية، ودورها في نمو السناسل وتوسعها. إن حالة الأشجار لم تبق ثابتة مع الزمن، وإنما تغيرت وتتغير. لقد سلك كل نوع من الأشجار مسارات مختلفة عن الأشجار الأخرى، لكن التعميم هو أن تبدلات الأسواق وأمراض النبات جعلت الأشجار تتراجع في منطقة الدراسة بشكل عام، يخالف هذه القاعدة أشجار الزيتون التي حلت محل الأشجار الأخرى في كثير من الأحيان، حيث توسعت مساحة أشجار الزيتون لتغطي أجزاءًا كبيرةً من منطقة الدراسة، وهذا واضح في الخرائط أيضًا. وبالحديث عن الخرائط، لا بد هنا من الإشارة إلى الملحق الثالث في النسخة الورقية من هذه الدراسة، حيث تقدم الدراسة أوراقًا منفصلة تعطي كل منها طبقة محددة من البيانات، ويمكن للقارئ أن يختار الطبقات التي يريد مقارنتها ويرتبها فوق بعضها البعض ليقرأ الاستنتاجات التي أتت بها هذه الدراسة، وربما يخرج باستنتاجات جديدة، أو أسئلة تفتح المجال أمام بحث جديد.

ركزت الدراسة بشكل عام على المقياس الكبير للتحولات في المشهد وتحولات السناسل والبنى التحتية الزراعية، لكنها أيضًا رأت ضرورة البحث في بعض التحولات العينية على سناسل وبنى تحتية زراعية محددة في منطقة الدراسة، فخصصت لهذه المسألة الملحقين الأول والثاني. في الملحق الأول، اختارت الدراسة سبع مواقع مختلفة باستخدام الصور الجوية، ثم قارنت بين صور جوية من سنوات مختلفة، وتتبعت التحولات التي حصلت، ثم اختارت صورتين جويتين تبينا التغييرات بشكل ملموس لكل حالة. لقد تنوعت أحوال البنى التحتية الزراعية المقروءة في هذا الملحق، واختلفت طبيعة التحولات التي مر بها كل عنصر من عناصر النبى التحتية الزراعية بحسب الحالة، فبعض البنى التحتية أزالتها المشاهد العسكرية الاستعمارية، وبعضها الآخر أزالها التوسع العمراني الفلسطيني، وهناك بنى تحتية زراعية لا زالت موجود لكنها غير مستخدمة لأن أصحابها غابوا عنها قسرًا بسبب الاستعمار الاستيطاني، وهناك بنى تحتية زراعية أخرى رممها أصحابها أو أنتجوا بنى تحتية جديدة في موقعها وبنفس شكلها، وهناك حالات أخرى يمكن للقارئ تتبعها لو نظر إلى هذا الملحق عن قرب. أما الملحق الثاني، فاختار منقطة كفر عانا لبحث بعض ما جرى عليها وعلى بنيتها التحتية، حيث كانت الباحثة منذ اللحظة الأولى مهتمة بهذا الموقع لما شهده من تغيرات كبيرة عبر الزمن. لقد وظفت الباحثة من خلال الملحق الثاني الصور الجوية والرواية الشفوية والعمل الميداني لتتبع ما جرى في خمس قطع أراض مختلفة في منطقة كفر عانا. هذه الحالات الخمس، إضافة إلى الحالات المطروحة في الملحق الأول، تعطي تصورًا عامًا عن أن المشهد ليس ميتًا جامدًا، وإنما تبدل ويتبدل مع الزمن. من ناحية أخرى، فإن هذه الحالات تثبت الادعاء بأن المشهد لم يسلك مسار تغيير واحد، بل أخذ خطوطًا مختلفة من التغيير بحسب الحالة الخاصة. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الحالات العينية بينت أن المرحلة المكانية الحالية للبنى التحتية الزراعية ليست موحدة وثابتة، وأن البنى التحتية الزراعية ليست منتجات ميتة تقبع في الماضي البعيد ولا القريب، ولا هي عناصر جامدة في المكان والزمان، وإنما هي مشاهد بدأت تتكون منذ آلاف السنين، واستمر تكونها وإنتاجها على طول الخط الزمني حتى اللحظة، وهي لا تزال قيد التكوين الآن بشكل فريد لكل حالة. إن التأمل في الملاحق الثلاث وفي الدراسة بشكل عام يفتح المجال أمام الكثير من التساؤلات عن المشهد الزراعي الإيكولوجي، والبنى التحتية الزراعية، والوجود الفلسطيني على هذه الأرض، والمعارف المحلية المرتبطة بالأرض والوجود فيها، وموقعنا الآن من هذه المعارف، وعلاقتنا بهذه الأرض وكل ما هو في المشهد الآن، وغيرها من التساؤلات التي تثيرها كل قضية من قضايا هذه الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

الأدبيات باللغة العربية

اشتية، محمد سليم، فارس فضل جابي وعلي خليل حمد. *شجرة التين*. نابلس: مركز الدراسات الريفية – جامعة النجاح الوطنية، 1991.

اقطيش، علاء. " دراسة أولية حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛ قبل عام 1948 وبعد." جامعة بيرزيت، 2018. تم الوصول من:

http://library.birzeit.edu/librarya/bzu-ths/download.php?cn=DS110.S73I88%202018&ftype=c&fname=thesis_18082018_115034.pdf&src=0.

الحاج يحي، عادل. *بين انتفاضتين – التاريخ الشفوي الفلسطيني – دليل الباحثين والمعلمين والطلبة. البيرة*: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، 2002.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. "عدد السكان المقدر في منتصف العام لمحافظة رام الله والبيرة حسب التجمع 2017-2026." الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. تم الوصول بتاريخ 25 تشرين الأول 2022، من الرابط الالكتروني: https://www.pcbs.gov.ps/statisticsIndicatorsTables.aspx?lang=ar&table_id=701

الدباغ، مصطفى مراد. *بلادنا فلسطين. الجزء* الأول، القسم الأول. كفر قرع: دار الهدى، 1991.

---. *بلادنا فلسطين* .الجزء الثامن، القسم الثاني. كفر قرع: دار الهدى، 1991.

العامري، سعاد، فراس رحال. *مناطير: قصور المزارع في ريف فلسطين.* سلسلة رواق في تاريخ العمارة في فلسطين 6. رام الله: رواق – مركز المعمار الشعبي، 2003.

بقلة، سامي. الحياة النباتية والحيوانية في مرتفعات رام الله. في *سرحة في مرتفعات رام الله*، تأليف فرحات مهوي وسحر قواسمي، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري. سلسلة رواق حول تاريخ العمارة. رام الله: رواق – مركز المعمار الشعبي، 2012.

تسدال، عمر امسيح، يسرى عثمان، ماري دعيق، حنان زهران، تالا خوري، فؤاد معدي، سمير خريشة، ساهر الخوري، يارا دواني وإياد طعم الله. "مكانيات: طريقة مفتوحة ومتأصلة لدراسة المشهد الطبيعي." جدلية. تم الوصول بتاريخ 15 أيار 2022، من الرابط: https://www.jadaliyya.com/Details/43780.

حمدان، عمر. العمارة الشعبية في فلسطين. البيرة: جمعية إنعاش الأسرة، 1996.

سومي، ناصر. *فلسطين وشجرة الزيتون: تاريخ من الشغف*.ترجمة هيثم الأمين. الطبعة الأولى. بيروت: دار النهار، 2011.

شحادة, رجا. "المشي في فلسطين."في سرحة *في مرتفعات رام الله*، تأليف فرحات مهوي وسحر قواسمي، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري. سلسلة رواق حول تاريخ العمارة. رام الله: رواق – مركز المعمار الشعبي، 2012.

عراف، شكري. *الأرض، الإنسان والجهد: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا*. ترشيحا: مطبعة إخوان مخول، 1993.

---. *القرية العربية الفلسطينية: مبنى واستعمالات أراض*. القدس: جمعية الدراسات العربية، 1985.

---. *مصادر الاقتصاد الفلسطيني من أقدم الفترات إلى عام 1948* . الطبعة الأولى. معليا: دار "إلى العمق،" 1997.

فارس، عوني. "الهجرة إلى الصحراء: قصة هجرة أهل سلواد إلى الكويت،" *التراث والمجتمع* عدد 48، شتاء 2008.

معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج). "دليل بلدة سلواد (يشمل مخيم سلواد)." معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج)، 2012. تم الوصول بتاريخ 29 آب 2022، من الرابط:

http://vprofile.arij.org/ramallah/ar/index.php.

---. "دليل قرية عين يبرود." معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج)، 2012. تم الوصول بتاريخ 29 آب 2022، من الرابط:

http://vprofile.arij.org/ramallah/ar/index.php.

مهوي، فرحات، سحر قواسمي. سرحة *في مرتفعات رام الله*، تأليف فرحات مهوي وسحر قواسمي، تحرير خالد توما، ترجمة كارول خوري. سلسلة رواق حول تاريخ العمارة. رام الله: رواق – مركز المعمار الشعبي، 2012.

هريمات، نادر، جاد إسحق، محمد أبو عامرية، روبينا غطاس، وفداء محيسن. *التاريخ الزراعي النباتي في فلسطين*. بيت لحم: معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج)، 2002.

المقابلات

الجمعية الزراعية في عين يبرود، مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 6 كانون ثاني 2021.

حربي عياد ونهى عياد، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. سلواد: 21 تشرين ثاني 2021.

حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. سلواد: 21 تشرين ثاني 2021.

حليمة محمد علي حماد، مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عبر الهاتف: 3 شباط 2022.

رائد فايق دار فرحات، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 4 كانون ثاني 2022.

زياد شكري عبد الرحمن مصلح، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود 15 تشرين ثاني 2021.

زينب شحادة شحادة، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عبر الهاتف: 3 شباط 2022.

عامر حمدان دحابرة. مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 4 تشرين الثاني 2021.

عامر حمدان دحابرة. مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 28 تشرين الثاني 2021.

فاطمة حامد. مقابلة غير مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. سلواد: 16 تشرين الأول 2021.

فظية يحيى سالم يحيى. مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 15 تشرين ثاني 2021.

فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود، 28 تشرين الثاني 2021.

فريد موسى علوان، مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 12 كانون الثاني 2022.

لوزية يوسف عبد الرحمن مصلحن مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: كانون الثاني 2022.

فواز حامد، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة دانة مسعد وإشراق عواشرة. سلواد: 11 تشرين ثاني 2021.

محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 1. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. سلواد: 18 كانون الثاني 2022.

محمد صقر عبد الغني محمد علي إبراهيم أغلب باشا، مقابلة مسجلة 2. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. سلواد: 10 آذار 2022.

محمود علي أبو محمود، مقابلة غير مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 4 تشرين الثاني 2021.

يوسف يعقوب، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة دانة مسعد وإشراق عواشرة. وادي العقدة: 7 كانون الثاني 2022.

وهيبة نوفل حامد، مقابلة مسجلة. أجرت المقابلة إشراق عواشرة. عين يبرود: 12 كانون ثاني 2022.

الزيارات الميدانية إلى منطقة الدراسة

زيارة ميدانية إلى عين يبرود بتاريخ 18 أيلول 2021.

زيارة ميدانية إلى سلواد بتاريخ 16 تشرين الأول 2021.

زيارة ميدانية إلى عين يبرود بتاريخ 4 تشرين ثاني 2021.

زيارة ميدانية إلى سلواد بتاريخ 11 تشرين الثاني 2021.

زيارة ميدانية إلى سلواد بتاريخ 11 تشرين الثاني 2021.

زيارة ميدانية إلى عين يبرود بتاريخ 15 تشرين الثاني 2021.

زيارة ميدانية إلى سلواد بتاريخ 21 تشرين الثاني 2021.

زيارة ميدانية إلى عين يبرود بتاريخ 28 تشرين الثاني 2021.

زيارة ميدانية إلى سلواد بتاريخ 18 كانون الثاني 2022.

الأدبيات باللغة الإنجليزية

Abufarha, Nasser. "Land of Symbols: Cactus, Poppies, Orange and Olive Trees in Palestine." *Identities: Global Studies in Culture and Power* 15, no. 3 (2008): 343–68.

Abusaada, Nadi. "Palestine's Garden Walls: The Deliberate Destruction of Palestine's Terraced Gardens." *Architectural Review* (blog), February 11, 2021. https://www.architectural-review.com/essays/palestines-garden-walls-the-deliberate-destruction-of-palestines-terraced-gardens.

Ackermann, Oren, Tal Svoray, and Mordechai Haiman. "Nari (Calcrete) Outcrop Contribution to Ancient Agricultural Terraces in the Southern Shephelah, Israel: Insights from Digital Terrain Analysis and a Geoarchaeological Field Survey." *Journal of Archaeological Science* 35, no. 4 (April 1, 2008): 930–41. https://doi.org/10.1016/j.jas.2007.06.022.

Ackermann, Oren, Helena Zhevelev, and Tal Svoray. "Agricultural Systems and Terrace Pattern Distribution and Preservation along Climatic Gradient: From Sub-Humid Mediterranean to Arid Conditions." *Quaternary International* 502 (October 1, 2018). https://doi.org/10.1016/j.quaint.2018.09.032.

Al-Houdalieh, Salah, and Shadi Ghadban. "Agricultural Watchtowers in Al-Tireh Quarter and 'Ain Qinia Village, Ramallah, Palestine." *International Journal of Architectural Heritage: Conservation, Analysis, and Restoration* 7 (January 1, 2012). https://doi.org/10.1080/15583058.2011.654049.

Amiry, Suad. *Peasant Architecture in Palestine : Space, Kinship and Gender*. Ramallah: Riwaq--Centre for Architectural Conservation, 2017.

Anderson, Jon. *Understanding Cultural Geography: Places and Traces*. Third Edition. Taylor & Francis, 2021.

Andlar, Goran, Filip Šrajer, and Anita Trojanović. "Classifying the Mediterranean Terraced Landscape: The Case of Adriatic Croatia." *Acta Geographica Slovenica* 57, no. 2 (2017): 111–29.

Antweiler, Christoph. "Local Knowledge and Local Knowing: An Anthropological Analysis of Contested 'Cultural Products' in the Context of Development." *Anthropos* 93, no. 4/6 (1998): 469–94.

Asins, Sabina. "Linking Historical Mediterranean Terraces with Catchment, Harvesting and Distribution Structures." *The Archeology of Crop and Gardens*, January 1, 2006, 21–40.

Asins-Velis, Sabina. "Terraced Fields in Spain: Landscapes of Work and Beauty." In *World Terraced Landscapes: History, Environment, Quality of Life*, edited by Mauro Varotto, Luca Bonardi, and Paolo Tarolli, 79–96. Environmental History. Cham: Springer International Publishing, 2019. https://doi.org/10.1007/978-3-319-96815-5_6.

Assaf, S. "Sustainable Water Supply for Agriculture in Palestine." *Water Wisdom: Preparing the Groundwork for Cooperative and Sustainable Water Management in the Middle East*, 2010, 195–210.

Barbera, Giuseppe, and Sebastiano Cullotta. "The Traditional Mediterranean Polycultural Landscape as Cultural Heritage: Its Origin and Historical Importance, Its Agro-Silvo-Pastoral Complexity and the Necessity for Its Identification and Inventory." In *Biocultural Diversity in Europe*, 21–48. Springer, 2016.

Beckers, Brian, Jonas Berking, and Brigitta Schütt. "Ancient Water Harvesting Methods in the Drylands of the Mediterranean and Western Asia." *ETopoi. Journal for Ancient Studies* 2 (September 1, 2013).

Berkes, Fikret. "Traditional Ecological Knowledge in Perspective." In *Traditional Ecological Knowledge: Concepts and Cases*, edited by Julian T. Inglis, 1–9. Ottawa: International Program on Traditional Ecological Knowledge & International Development Research Centre, 1993.

Bonardi, Luca. "Terraced Vineyards in Europe: The Historical Persistence of Highly Specialised Regions." In *World Terraced Landscapes: History, Environment, Quality of Life*, edited by Mauro Varotto, Luca Bonardi, and Paolo Tarolli, 7–25. Environmental History. Cham: Springer International Publishing, 2019. https://doi.org/10.1007/978-3-319-96815-5_2.

Brown, Antony, Kevin Walsh, Daniel Fallu, Sara Cucchiaro, and Paolo Tarolli. "European Agricultural Terraces and Lynchets: From Archaeological Theory to Heritage Management." *World Archaeology* 52, no. 4 (2020): 566–88.

Bruchac, Margaret. "Indigenous Knowledge and Traditional Knowledge." In *Encyclopedia of Global Archaeology*, 10:3814–24, January 1, 2014. https://repository.upenn.edu/anthro_papers/171.

Butzer, Karl W. "Accelerated Soil Erosion: A Problem of Man-Land Relationships." In *Perspectives on Environment*, edited by Ian R. Manners and Marvin W. Mikesell, 57–78. Washington: Association of American Geographers, 1974.

Conder, C.R., and H.H. Kitchener. "Palestine Exploration Fund Map." 1:63,000. Palestine Exploration Fund Maps. Survey of Western Palestine, 1880. https://palopenmaps.org/.

Davidovich, Uri, Naomi Porat, Yuval Gadot, Yoav Avni, and Oded Lipschits. "Archaeological Investigations and OSL Dating of Terraces at Ramat Rahel, Israel." *Journal of Field Archaeology* 37, no. 3 (August 1, 2012): 192–208. https://doi.org/10.1179/0093469012Z.00000000019.

Dipasquale, Letizia, Valeria Megna, and Renata Prescia. "Dry Stone Buildings in Sicily. An Environmental and Territorial Resource." In *Vernacular Heritage and Earthen Architecture: Contributions for Sustainable Development*, edited by Mariana Correia, Gilberto Carlos, and Sandra Rocha. London: Taylor & Francis Group, 2013.

Edwards, Paul. "Infrastructure and Modernity: Scales of Force, Time, and Social Organization in the History of Sociotechnical Systems." In *Modernity and Technology*, 185–225, 2002.

Elgart-Sharon, Yelena, Naomi Porat, and Yuval Gadot. "Land Management and the Construction of Terraces for Dry Farming: The Case of Soreq Catchment, Israel." *Oxford Journal of Archaeology* 39, no. 3 (August 1, 2020): 274–89. https://doi.org/10.1111/ojoa.12201.

Evenari, Michael, Leslie Shanan, Naphtali Tadmor, and Amiram Shkolnik. *The Negev: The Challenge of a Desert*. Harvard University Press, 1982.

FAO. *Building on Gender, Agrobiodiversity and Local Knowledge – A Training Manual*. Rome, Italy: FAO, 2006. https://www.fao.org/documents/card/en/c/79c1ae5f-c15a-567f-9467-6beca7e90797/.

Farsakh, Leila. *Palestinian Labour Migration to Israel: Labour, Land and Occupation*. Routledge, 2005.

Frederick, Charles D, and Athanasia Krahtopoulou. "Deconstructing Agricultural Terraces: Examining the Influence of Construction Method on Stratigraphy, Dating and Archaeological Visibility." *Landscape and Land Use in Postglacial Greece*, 2000, 79–94.

Gadot, Yuval, Uri Davidovich, Yoav Avni, Gideon Avni, and Naomi Porat. "The Formation of Terraced Landscapes in the Judean Highlands in Israel, and Its Implications for Biblical Agricultural History." *Hebrew Bible and Ancient Israel* 5 (December 2016): 437–55. https://doi.org/10.1628/219222717X14991542936068.

Gadot, Yuval, Yelena Elgart-Sharon, Nitsan Ben-Melech, Uri Davidovich, Gideon Avni, Yoav Avni, and Naomi Porat. "OSL Dating of Pre-Terraced and Terraced Landscape: Land Transformation in Jerusalem's Rural Hinterland." *Journal of Archaeological Science: Reports* 21 (October 1, 2018): 575–83. https://doi.org/10.1016/j.jasrep.2018.08.036.

Garland, David. "What Is a 'History of the Present'? On Foucault's Genealogies and Their Critical Preconditions." *Punishment & Society* 16, no. 4 (October 1, 2014): 365–84. https://doi.org/10.1177/1462474514541711.

Geus, C. H. J. de. "The Importance of Archaeological Research into the Palestinian Agricultural Terraces, with an Excursus on the Hebrew Word Gbī." *Palestine Exploration Quarterly* 107, no. 1 (January 1, 1975): 65–74. https://doi.org/10.1179/peq.1975.107.1.65.

Ghadban, Shadi. "Palestinian Dry Stone Structures: An Endogenous Expression of Cultural Landscape." *Sustainable Development, Culture, Traditions Journal* 1-B, no. 10 (2015). https://doi.org/10.26341/issn.2241-4002-2015-1b-4.

Gibson, Shimon. "Agricultural Terraces and Settlement Expansion in the Highlands of Early Iron Age Palestine: Is There Any Correlation between the Two." In *Studies in the Archaeology of the Iron Age in Israel and Jordan*, edited by Amihai Mazar, 113–46. Sheffield: Sheffield Academic Press, 2001.

———. "The Archaeology of Agricultural Terraces in the Mediterranean Zone of the Southern Levant and the Use of the Optically Stimulated Luminescence (OSL) Dating Method." In *Soils and Sediments as Archives of Environmental Change. Geoarchaeology and*

Landscape Change in the Subtropics and Tropics., edited by Bernhard Lucke, Rupert Bäumler, and Michael Schmidt, 295–314. Erlangen: Fränkische Geographische Gesellschaft, 2015.

Gibson, Shimon, and Gershon Edelstein. "Investigating Jerusalem's Rural Landscape." *Levant* 17, no. 1 (January 1, 1985): 139–56. https://doi.org/10.1179/lev.1985.17.1.139.

Gibson, Shimon, and Rafael Lewis. "The Origins of Terracing in the Southern Levant and Patch Cultivation/Box Fields." *Journal of Landscape Ecology* 10 (December 1, 2017): 256–65. https://doi.org/10.1515/jlecol-2017-0037.

Hammad, Ahmad Abu, and Trond Børresen. "Socioeconomic Factors Affecting Farmers' Perceptions of Land Degradation and Stonewall Terraces in Central Palestine." *Environmental Management* 37, no. 3 (March 1, 2006): 380–94. https://doi.org/10.1007/s00267-004-0195-6.

Hill, R. Kevin. "Genealogy." In *Routledge Encyclopedia of Philosophy*. London and New York: Taylor and Francis, 1998. https://www.rep.routledge.com/articles/thematic/genealogy/v-1.

Huggett, Richard, and Chris Perkins. "Place as Landscape." In *Companion Encyclopedia of Geography*, edited by Ian Douglas, Richard Huggett, and Chris Perkins. Routledge, 2007.

Ingold, Tim. "The Temporality of the Landscape." *World Archaeology* 25, no. 2 (October 1, 1993): 152–74. https://doi.org/10.1080/00438243.1993.9980235.

Jiménez de Madariaga, Celeste. "Dry Stone Constructions – Intangible Cultural Heritage and Sustainable Environment." *Journal of Cultural Heritage Management and Sustainable Development* 11 (February 22, 2021): 614–26. https://doi.org/10.1108/JCHMSD-12-2020-0180.

Koopman, Colin. "Foucault's Historiographical Expansion: Adding Genealogy to Archaeology." *Journal of the Philosophy of History* 2, no. 3 (January 1, 2008): 338–62. https://doi.org/10.1163/187226308X335994.

Larkin, Brian. "The Politics and Poetics of Infrastructure." *Annual Review of Anthropology* 42 (October 21, 2013): 327–43. https://doi.org/10.1146/annurev-anthro-092412-155522.

Lewis, Norman N. "Lebanon. The Mountain and Its Terraces." *The Geographical Review* 43, no. 1 (1953): 1–14.

Manenti, Raoul. "Dry Stone Walls Favour Biodiversity: A Case-Study from the Appennines." *Biodiversity and Conservation* 23, no. 8 (2014): 1879–93.

Meneley, Anne. "A Tale of Two Itineraries: The Production, Consumption and Circulation of Tuscan and Palestinian Olive Oil." *Department of Anthropology, Trent University*, 2008.

Mitchell, Timothy. "Introduction: Life of Infrastructure." *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East* 34, no. 3 (December 1, 2014): 437–39. https://doi.org/10.1215/1089201X-2826013.

Moody, Jennifer, and AT Grove. "Terraces and Enclosure Walls in the Cretan Landscape," 183. CRC Press, 1990.

Oliver, Paul. *Built to Meet Needs: Cultural Issues in Vernacular Architecture*. London: Routledge, 2006.

Oweis, Theib, D. Prinz, and A. Hachum. *Water Harvesting: Indigenous Knowledge for the Future of the Drier Environments. ICARDA, Aleppo, Syria, 40 Pp.* Aleppo: International Center for Agricultural Research in the Dry Areas, 2001.

Palestinian Ministry of Local Government. "Geomolg." Accessed May 13, 2022. https://geomolg.ps/L5/index.html?viewer=A3.V1.

Plekhov, Daniel. "The Social Dimensions of Water Management at Petra, Jordan." *Levant* 52, no. 3 (September 1, 2020): 321–36. https://doi.org/10.1080/00758914.2021.1879491.

Romero-Díaz, Asunción, Joris de Vente, and Elvira Díaz-Pereira. "Assessment of the Ecosystem Services Provided by Agricultural Terraces." *Pirineos* 174 (2019).

RON, Z. "Agricultural Terraces in the Judean Mountains." *Israel Exploration Journal* 16, no. 1 (a 1966): 33–49.

———. "Agricultural Terraces in the Judean Mountains." *Israel Exploration Journal* 16, no. 2 (b 1966): 111–22.

Ron, Zvi YD. "Development and Management of Irrigation Systems in Mountain Regions of the Holy Land." *Transactions of the Institute of British Geographers*, 1985, 149–69.

Roose, E. "Traditional Strategies for Soil and Water Conservation in Mediterranean Areas." *Rubio, Josè Luis*, 2002.

Ruddle, Kenneth. "The Transmission of Traditional Ecological Knowledge." In *Traditional Ecological Knowledge: Concepts and Cases*, 17–31. Ottawa: International Program on Traditional Ecological Knowledge & International Development Research Centre, 1993.

Sandor, Jonathan A. "Ancient Agricultural Terraces and Soils." In *Footprints in the Soil: People and Ideas in Soil History*, edited by Benno Warkentin, 505–34. Amsterdam: Elsevier, 2006.

Sayej, Ghattas J. "The Origin of Terraces in the Central Hills of Palestine: Theories and Explanations." In *The Landscape of Palestine: Equivocal Poetry*, edited by Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef, 201–9. Birzeit: Birzeit University, 1999.

Schaffer, Gad. "Agricultural Land-Use Changes in the Judean Region from the End of the Ottoman Empire to the End of the British Mandate: A Spatial Analysis." *ISPRS International Journal of Geo-Information* 10, no. 5 (2021): 319.

Sereni, Emilio. *History of the Italian Agricultural Landscape*. Princeton University Press, 1997.

Sherratt, Yvonne. *Continental Philosophy of Social Science*. Cambridge University Press, 2005.

Smith, Monica L. "Urban Infrastructure as Materialized Consensus." *World Archaeology* 48, no. 1 (January 1, 2016): 164–78. https://doi.org/10.1080/00438243.2015.1124804.

Spencer, J. E., and G. A. Hale. "The Origin, Nature and Distribution of Agricultural Terracing." *Pacific Viewpoint: Change, Conflict, Continuity* 2, no. 1 (1961).

Tamari, Salim. "Building Other People's Homes: The Palestinian Peasant's Household and Work in Israel." *Journal of Palestine Studies* 11, no. 1 (1981): 31–66. https://doi.org/10.2307/2536046.

Tarolli, Paolo, Federico Preti, and Nunzio Romano. "Terraced Landscapes: From an Old Best Practice to a Potential Hazard for Soil Degradation Due to Land Abandonment." *Anthropocene*, Landscapes in the Anthropocene, 6 (June 1, 2014): 10–25. https://doi.org/10.1016/j.ancene.2014.03.002.

Tesdell, Omar, Yusra Othman, and Saher Alkhoury. "Rainfed Agroecosystem Resilience in the Palestinian West Bank, 1918–2017." *Agroecology and Sustainable Food Systems* 43, no. 1 (January 2, 2019): 21–39. https://doi.org/10.1080/21683565.2018.1537324.

Toso, Tricia. "'Keeping the Road Clear between Us': Indigenous Infrastructure and the Potential for Transformative Design." *Stream: Interdisciplinary Journal of Communication* 10, no. 1 (January 23, 2018): 12–25. https://doi.org/10.21810/strm.v10i1.255.

Treacy, John M, and William M Denevan. "The Creation of Cultivable Land through Terracing." In *The Archaeology of Garden and Field*, edited by Naomi F. Miller and Kathryn L. Gleason, 91–110. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1997.

Varotto, Mauro, Luca Bonardi, and Paolo Tarolli. *World Terraced Landscapes: History, Environment, Quality of Life*. Springer, 2018.

Wagstaff, Malcolm. "The Mountain and the Plain: Some Themes of Continuity and Change in Palestinian Landscapes." In *The Landscape of Palestine: Equivocal Poetry*, edited by Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef, 23–35. Birzeit: Birzeit University, 1999.

Warburton, H., and A. Martin. *Local People's Knowledge in Natural Resources Research*. Chatham, UK: Natural Resources Institute, 1999. https://gala.gre.ac.uk/id/eprint/11694/.

Weiss, Ehud. "Beginnings of Fruit Growing in the Old World Two Generations Later." *Israel Journal of Plant Sciences* 62, no. 1–2 (2015): 75–85.

Wilkinson, Darryl. "Towards an Archaeological Theory of Infrastructure." *Journal of Archaeological Method and Theory* 26, no. 3 (September 1, 2019): 1216–41. https://doi.org/10.1007/s10816-018-9410-2.

Zeez Shqairat, Mansour Abed al, Fawzi Qasim Abudanh, and Saad Ahmed Twaissi. "Water Management and Rock-Cut Cisterns with Special Reference to the Region of Udhruh in Southern Jordan," 2010.

البيانات الجيومكانية – مواد أنظمة معلومات جغرافية

وزارة الحكم المحلي، فلسطين. جيومولج جيوبورتال للمعلومات المكانية في فلسطين. تم الوصول بتاريخ 28 آب 2022، من الرابط:

https://geomolg.ps/L5/index.html?viewer=A3.V1

المواد الأرشيفية

"Aerial Photographs of Palestine." 1:15,000. British Air Force, 1945 1944. HebrewUniversity Aerial Photo Library.

"Application by the Palestinian Fruit Product Co. Assis Ltd. to Increase the Import on Jams & Marmelades – File No. ארכיון המדינה .1946 ",(32/13-מ).

"Crop Statistics: Fruit, Melons, Water Melons – File No. 1947 ",.(5109/17-מ). Israel State Archive.

"Matson (G. Eric and Edith) Photograph Collection" 1898. Library of Congress. //www.loc.gov/pictures/collection/matpc/.

Conder, C.R., and H.H. Kitchener. "Palestine Exploration Fund Map." 1:63,000. Palestine Exploration Fund Maps. Survey of Western Palestine, 1880. https://palopenmaps.org/.

Survey of Palestine. "Survey of Palestine Maps." 1:20,000. Palestine. Survey of Palestine, 1942. https://palopenmaps.org/.

"Village Statistics: A Classification of Land and Area Ownership in Palestine." Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, 1945.

'"זנלכל' - בית חרושת לשמור פרות וירקות ריבות ומיצים - מפרץ חיפה - גל-7265/3," 1955. ארכיון המדינה.

الملاحق

ملحق رقم 1: بعض التحولات على البنى التحتية في منطقة الدراسة

وصف الملحق: الملحق يرتبط بالفصلين الثاني والثالث من الدراسة. استخدمت الباحثة تقنية (GIS) لوضع صور جوية من تواريخ مختلفة فوق بعضها البعض، ومن ثم قارنت الباحثة بين هذه الصور الجوية وتمكنت من تتبع الكثير من التحولات التي طرأت على البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة، واختارت سبع حالات لعرضها في هذا الملحق. تبين الصفحات التالية موقع الحالات الدراسية، ثم صورًا مع علامات تبين مواقع التحولات، ووصفًا لأهم التحولات التي تتضح من الصورة الجوية.

ملاحظة: الصور الجوية من مصادر مختلفة: الصور الجوية لعام 1944 – 1945 هي لسلاح الجو البريطاني، وحصلت عليها الباحثة من الجامعة العبرية. الصور الجوية منذ عاد 1997 إلى اليوم هي لموقع جيومولج، وحصلت عليها الباحثة إلكترونيا من برنامج (QGIS) لأنظمة المعلومات الجغرافية.

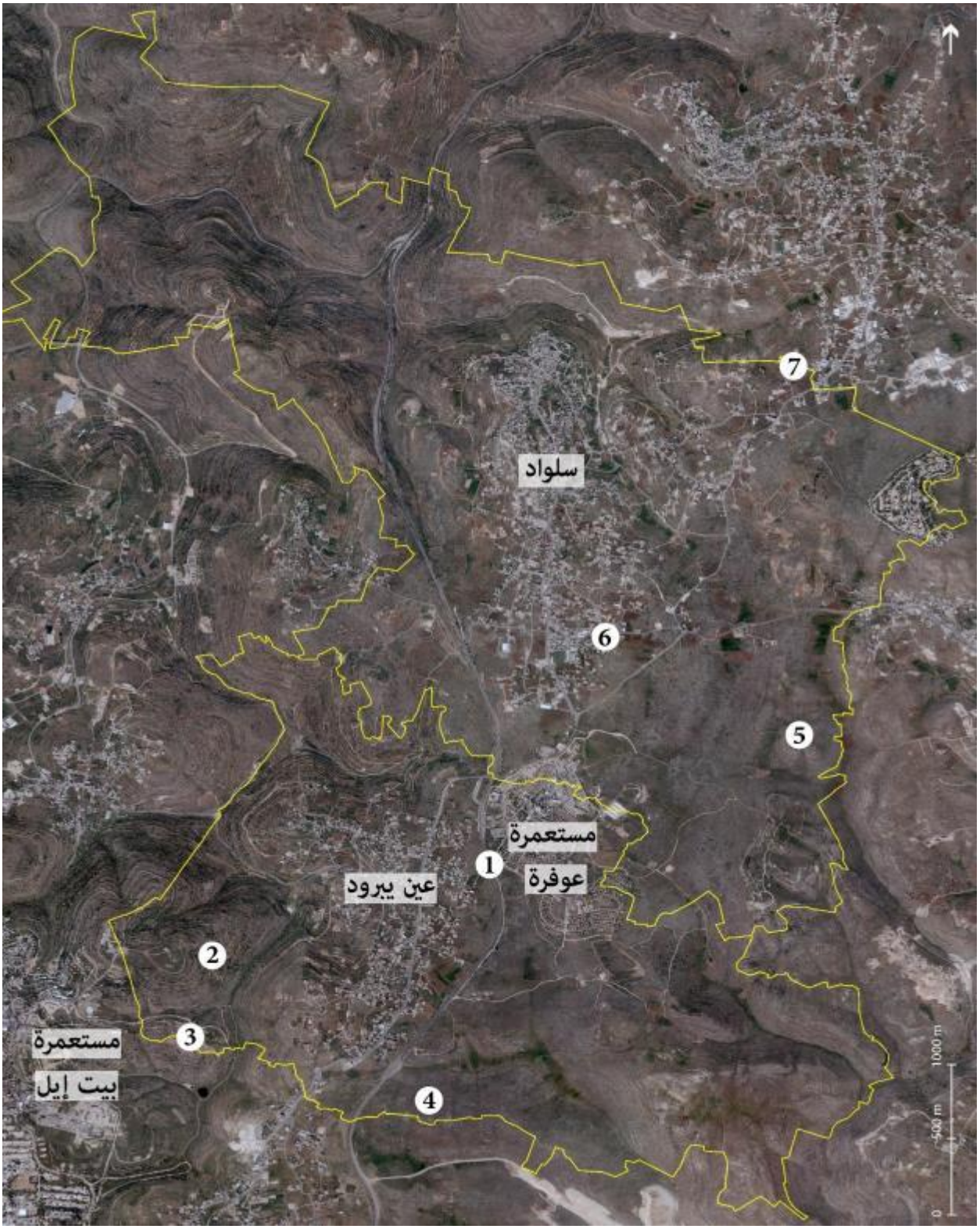

خارطة رقم (13): موقع الحالات الدراسية السبعة.

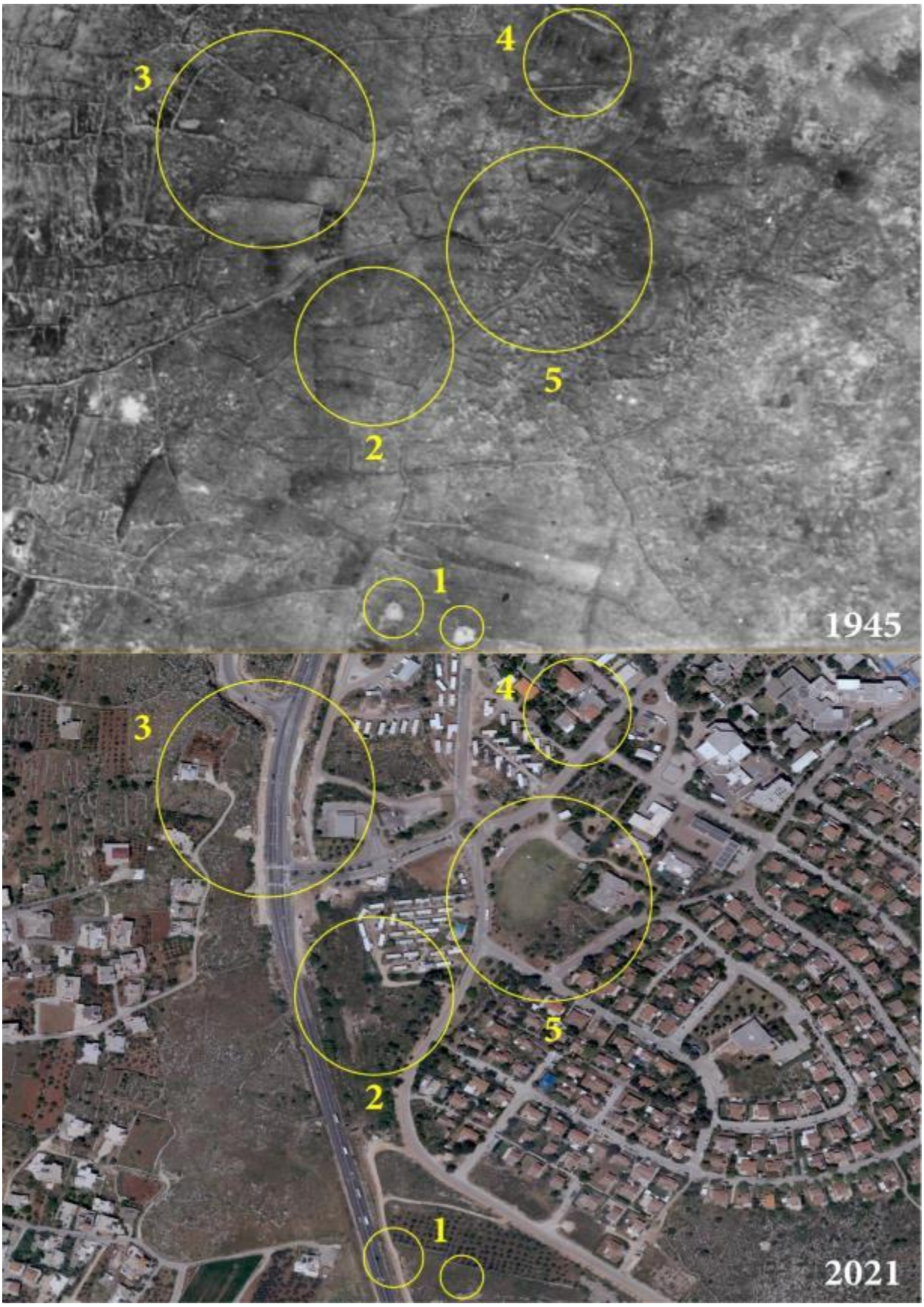
3
4
5
2
1
1945
3
4
5
2
1
2021

صور رقم (45): المشهد الاستعماري في مستعمرة عوفرة يمسح جميع الطبقات التي كانت قبله، يشمل ذلك البنى التحتية الزراعية وغيرها، أما التوسع العمراني الفلسطيني في عين يبرود، فيبني على ما كان موجودًا.

في الصورة يظهر شارع التفافي رقم 60، إلى يمينه مستعمرة عوفرة، وإلى يساره عين يبرود. من الواضح أن المستعمرة أزالت كل الملامح التي تراكمت على هذه الأرض. (1) مناطير أُزيلت من الموقع، (2) و (3) و (4) سناسل أزالتها المستعمرة والشارع الالتفافي. (5) كانت تقاطع طرق زراعية، ولكن مسحتها المستعمرة واستبدلتها بساحة مستوية مفتوحة. يمكن أيضًا النظر إلى التوسع العمراني في عين يبرود، حيث أن السناسل القديمة لا زالت حاضرة، سواء أبقيت هي نفسها، أو أعاد الفلسطينيون بناءها، أو استبدلوها بسور من الحجر أو الإسمنت.

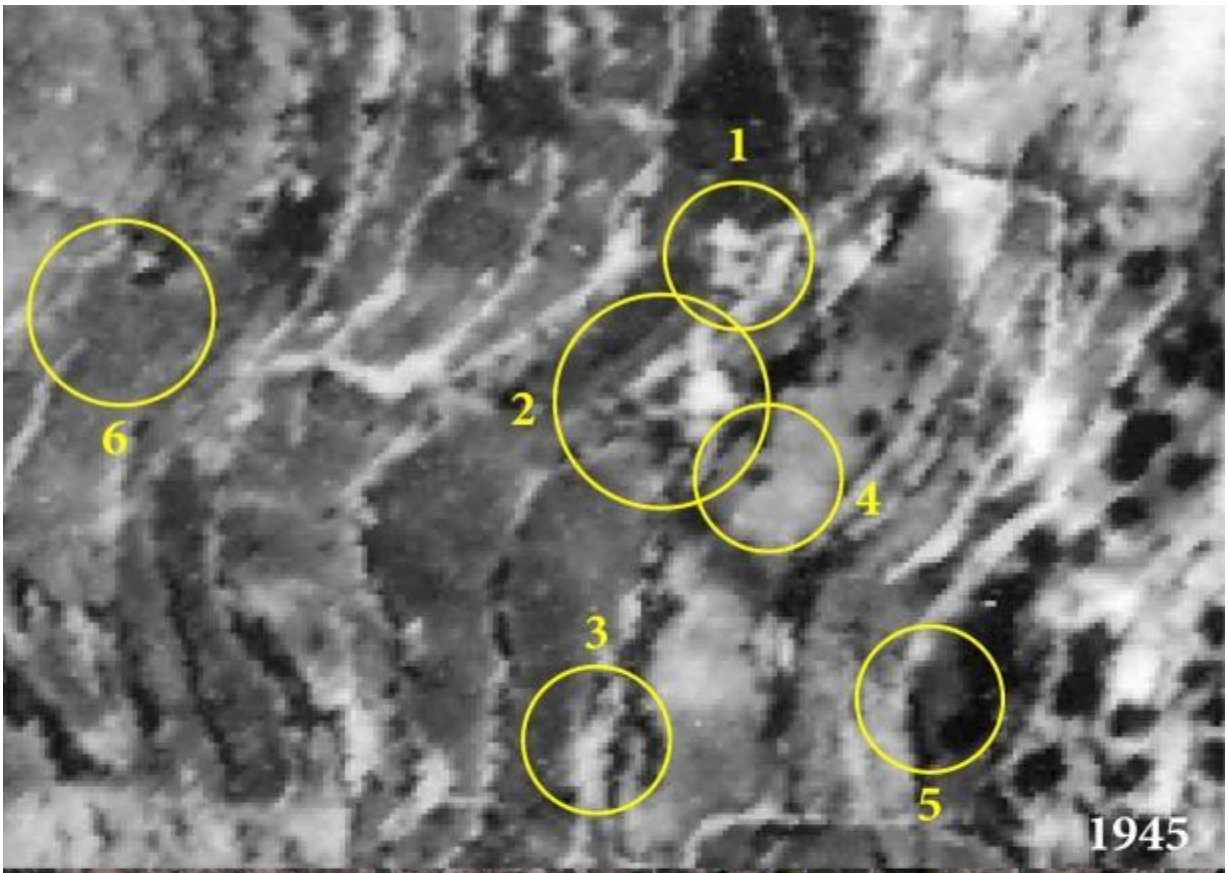
1
2
3
4
5
6
1945

1
2
3
4
5
6
2021

صور رقم (46): أرض السيدة زينب بين الماضي والحاضر، لعل التغير الأكثر وضوحًا هو الغطاء النباتي البري الذي انتشر بعد أن غاب أصحاب الأراضي عنها قسرًا، خاصة تحت العين (شرق البركة).

الدوائر تشير إلى تحولات أساسية على البنى التحتية الزراعية: (1) تشير إلى غرفتين (سقيفتين حسب تعبير السيدة زينب) كانتا مستخدمتان حسب رواية السيدة زينب والآن مهجورتان. (2) فيها منطار وبركة تقع إلى الجنوب الغربي منه، كلاهما استخدمتها السيدة زينب وعائلتها إلى أن منعوا من الوصول إلى الأرض. (3) منطار آخر. (4) في الصورة الأحدث تظهر منشأة صغيرة، غالبًا وضعها المستعمرون. (5) و (6) طرق شقتها مستعمرة بيت إيل وخرّبت السناسل التي كانت موجودة.

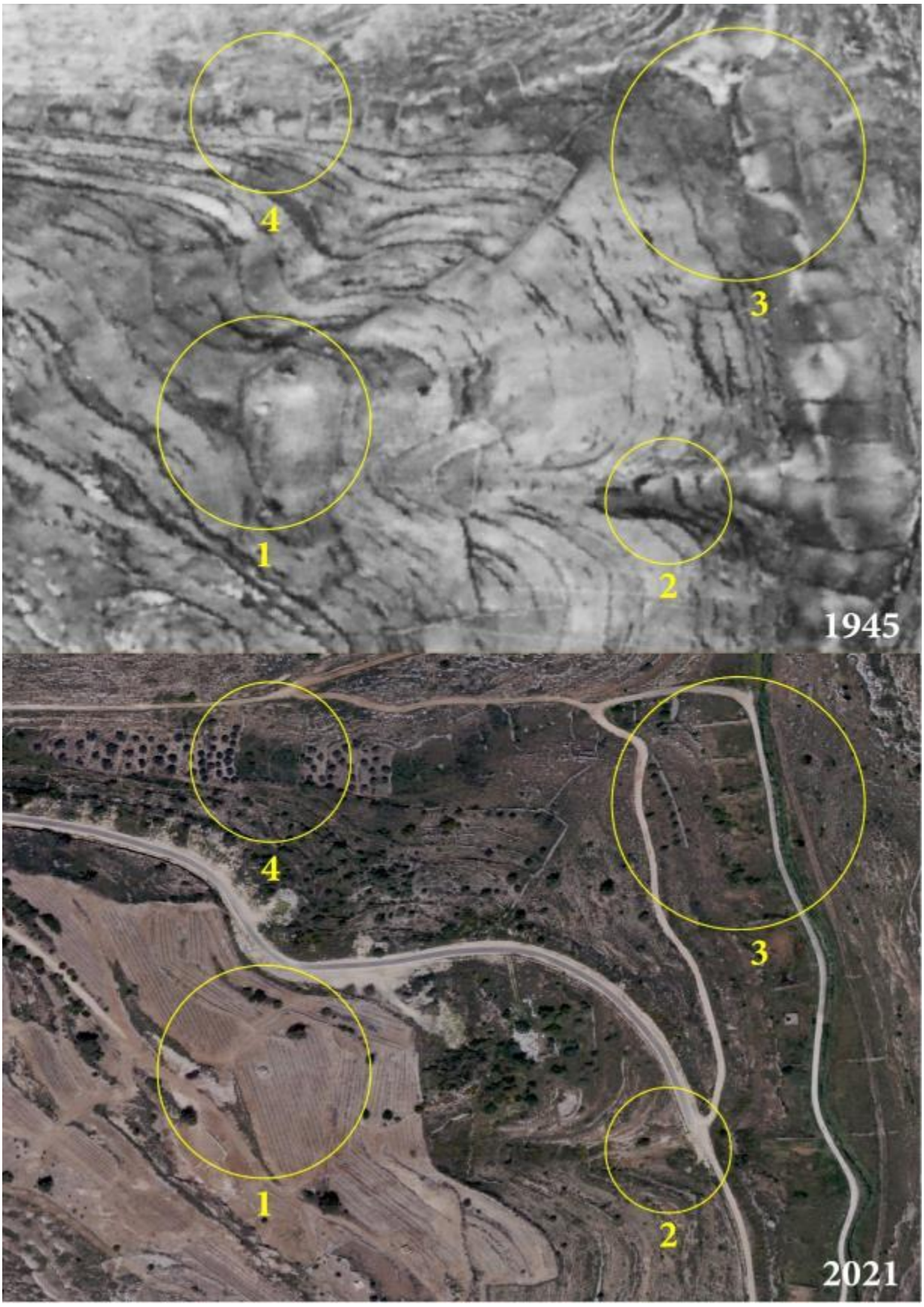
4
3
1
2
1945
4
3
1
2
2021

صور رقم (47): مستعمرة بيت إيل تتعامل مع البنى التحتية الزراعية الفلسطينية بطرق مختلفة حسب الحالة.

(1): منطار في أرض مصادرة، يظهر أنه تمت زراعة العنب حوله بخطوط مستقيمة. (2) سناسل في الشعب تمت إزالتها. سناسل وادي قليل الانحدار، تم هدم أجزاء منها لصالح شارع يحيط بالمستعمرة، ونرى أن مسار الوادي تغير ليصبح إلى شرق الطريق بعد أن كان يغذي المصاطب. (4) سناسل وادي قليل الانحدار، مزروعة بالزيتون الآن (على الأرجح زرعه أهالي عين يبرود، لأنه كبير الحجم، ولكنه الآن مصادر داخل حدود المستعمرة).

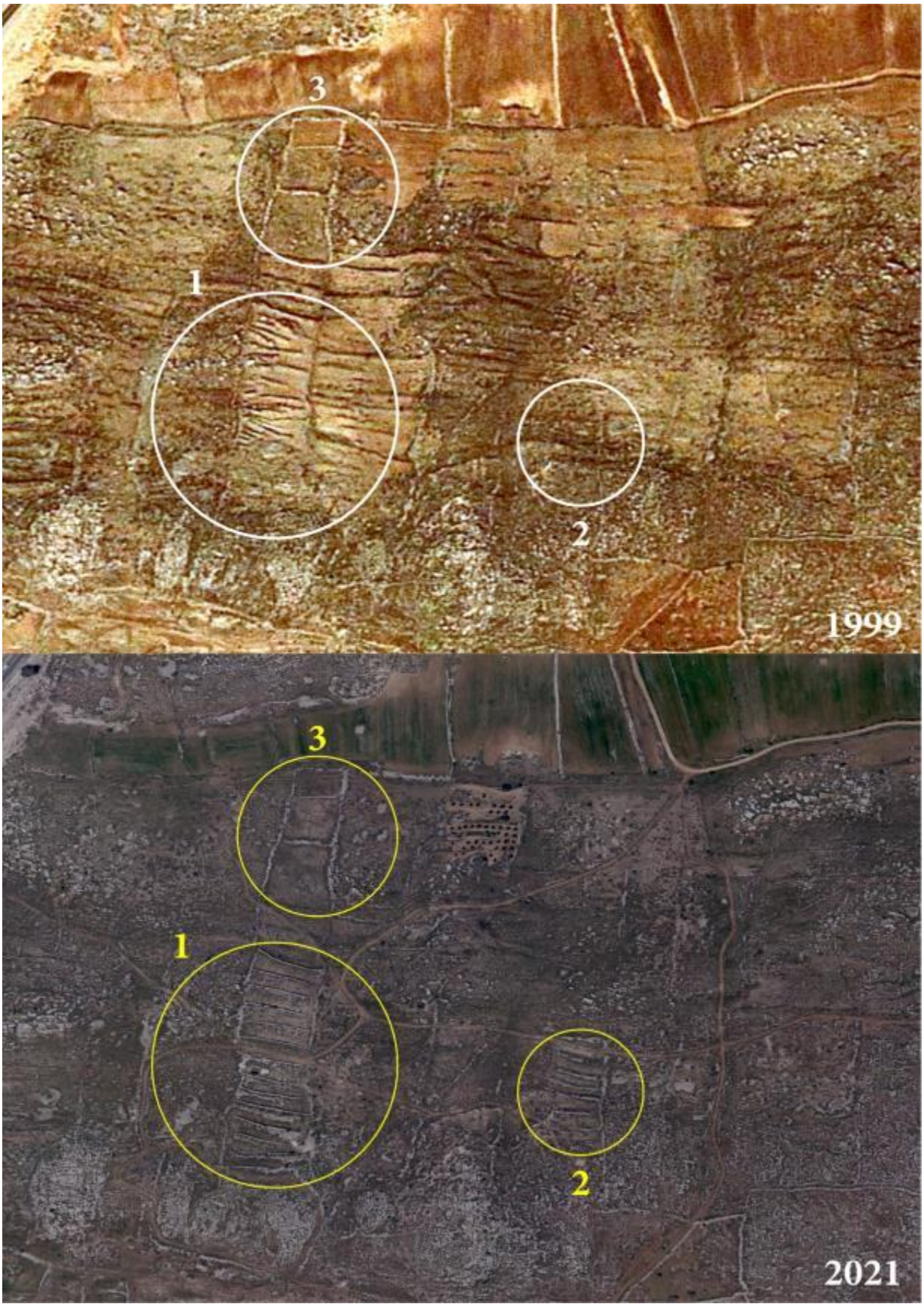
3
1
2
1999
3
1
2
2021

صور رقم (48): تحولات على السناسل، غالبًا قام بها أهالي عين يبرود.

(1) سناسل جديدة ظهرت مكان سناسل قديمة ولكنها لم تُستكمل ولم تُزرع، بعضها أخذ نفس مسار السناسل القديمة وبضعها أخذ مسارات جديدة، ونلاحظ أن السناسل الحدودية في هذه الأرض بقيت بنفس الشكل مع تغيير السنسلة، أيضًا هناك بئر (نقطة غامقة اللون حوالي وسط الدائرة) غير منه العمل. (2): سناسل جديدة ظهرت في أرض لم تكن مسنسلة من قبل (أو فيها سناسل غير واضحة المعالم)، ولكنها لم تُستكمل ولم تُزرع. (3) سناسل قديمة لم تتغير بشكل ملموس في الصورة الجوية الأحدث.

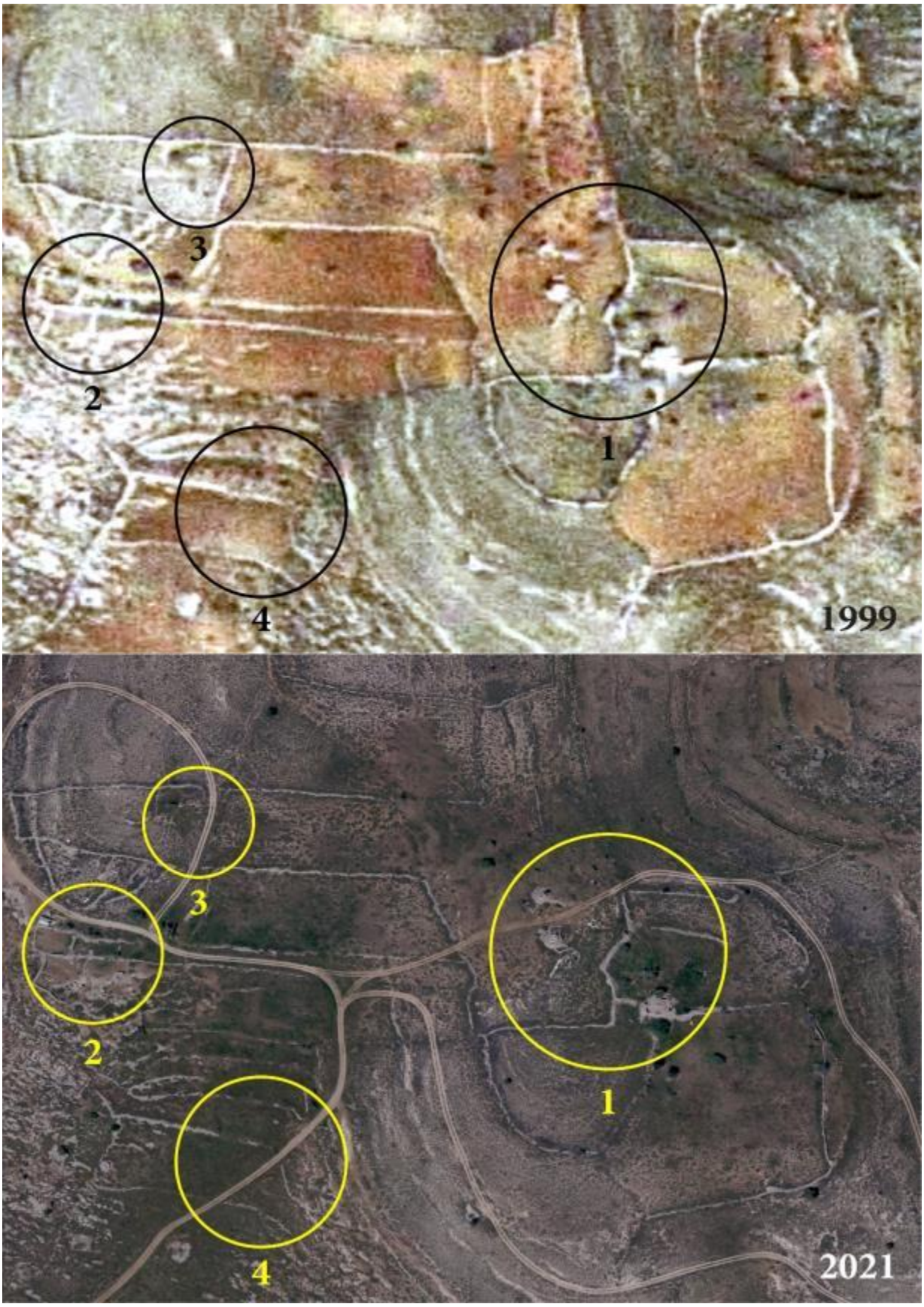
3
2
1
4
1999
3
2
1
4
2021

صور رقم (49): بنى تحتية زراعية سلبها الاستعمار وغير بها، وهي إلى شمال مستعمرة عمونة المخلاة

(1) ثلاثة مناطير ضمن تكوين زراعي أكبر، أحيطت بشارع تابع للمستعمرة. (2) تكوين زراعي مركب: منطار وصيرة وسناسل وغرفتان وبئر، يبدو أن المستعمرين أضافوا عنصرًا معدنيًا لإحدى الغرفتين مباشرة تحت الشارع في الجزء الأيسر من الدائرة. (3) و (4) شارع استعماري هدم أجزاءً من السناسل.

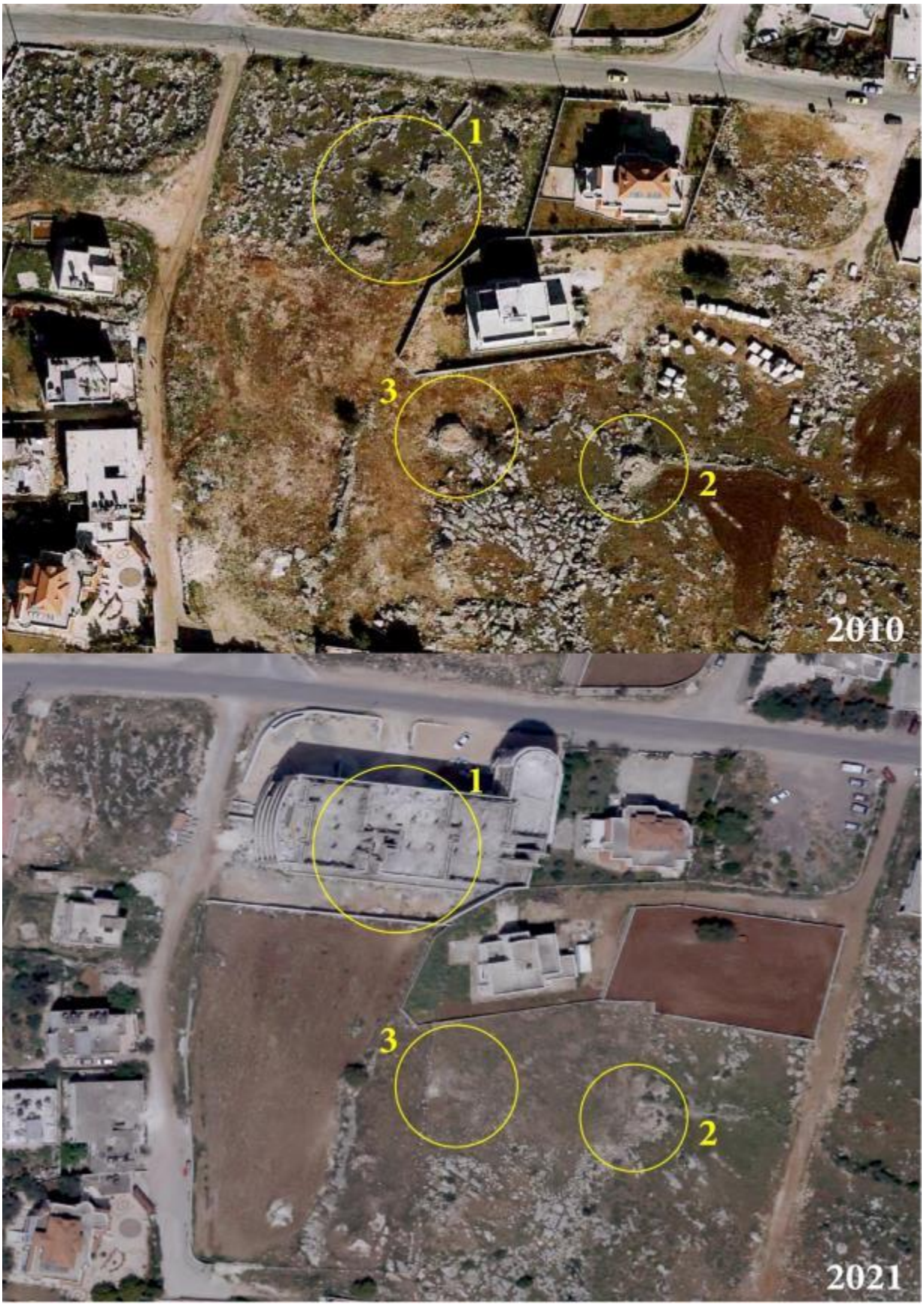
1
3
2
2010
1
3
2
2021

صور رقم (50): التوسع العمراني الفلسطيني يمحو البنى التحتية أيضًا.

(1) مجموعة مناطير أُزيلت لصالح عمارة سكنية في سلواد. (2) و (3) منطاران أزيلا من الموقع، ربما لاستخدامهما كطمم في إحدى المنشآت.

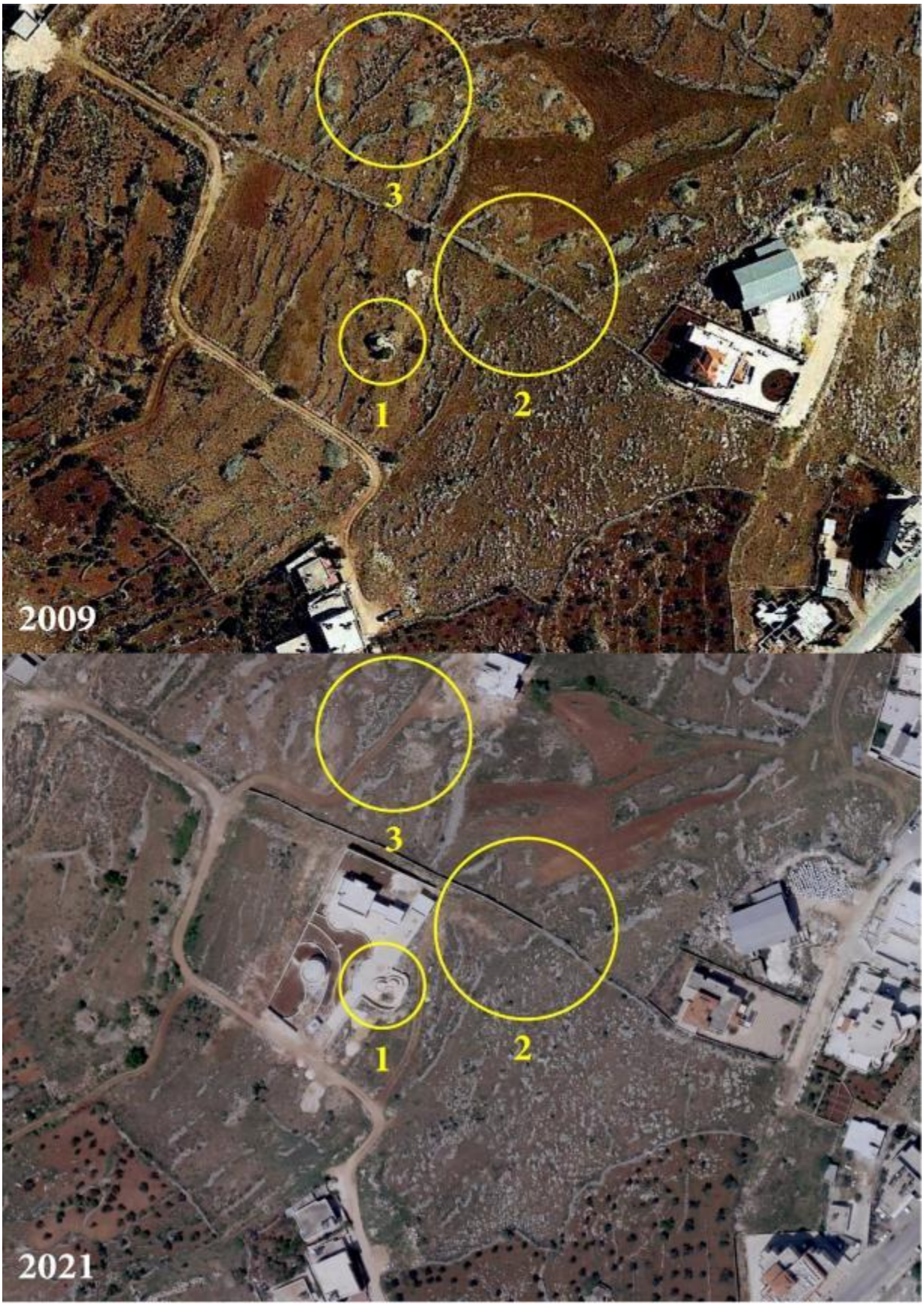
3
1
2
2009
3
1
2
2021

صور رقم (51): يتعامل الفلسطينيون مع البنى التحتية الزراعية بطرق مختلفة

(1) منطار تم الحفاظ عليه وقصارته (ربما ترميمه أيضًا) وجعله عنصرًا هامًا في حديقة منزل جديد. (2) سنسلة طويلة، استُبدل الجزء الأكبر منها بسور اسمنتي أو حجري، مع الإبقاء على مسار السنسلة القديمة، نلاحظ في الصورة الأحدث وجود أكوام خطية من الحجارة موازية للسور الجديد إلى الجنوب منه، وهي بقايا السنسلة القديمة على الأغلب. (3) رجم ومنطار أُزيلا من موقعهما، وفتح شارع جديد لم يزل السنسلة الموجودة.

ملحق رقم 2: بعض التحولات على البنى التحتية واستخدامات الأراضي في منطقة الدراسة

وصف الملحق: الملحق يرتبط بالفصول الثاني والثالث والرابع من الدراسة. استخدمت الباحثة تقنية (GIS) لوضع صور جوية من تواريخ مختلفة فوق بعضها البعض، ومن ثم قارنت الباحثة بين هذه الصور الجوية وتمكنت من تتبع الكثير من التحولات التي طرأت على البنى التحتية الزراعية في منطقة الدراسة، واختارت خمس حالات لعرضها في هذا الملحق. تبين الصفحات التالية موقع الحالات الدراسية، ثم وصفًا للتحولات عبر عدة سنوات، بناء على الرواية الشفوية والصور الجوية.

ملاحظة: الصور الجوية من مصادر مختلفة: الصور الجوية لعام 1944 – 1945 هي لسلاح الجو البريطاني، وحصلت عليها الباحثة من الجامعة العبرية. الصور الجوية منذ عاد 1997 إلى اليوم هي لموقع جيومولج، وحصلت عليها الباحثة إلكترونيا من برنامج (QGIS) لأنظمة المعلومات الجغرافية.

خارطة رقم (14): موقع الحالات الدراسية من منطقة الدراسة.

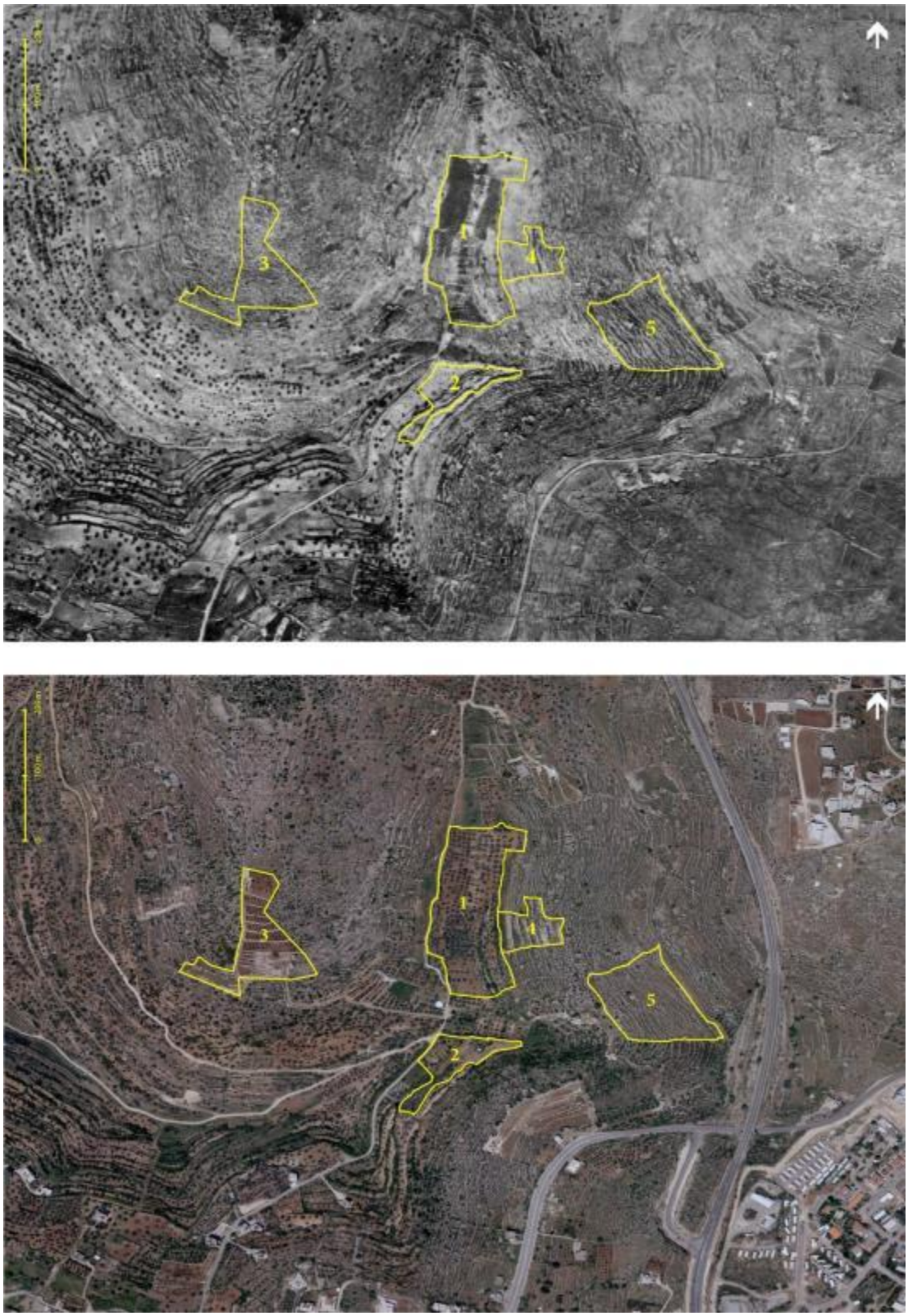

خارطة رقم (15): نظرة أقرب إلى موقع الحالات الدراسية.

رسم توضيحي (20): بعض التحولات الأساسية على الحالة الدراسية رقم (1).

2

1945

لا توجد زراعة، وتظهر بضعة شجيرات برية

1997

لا توجد زراعة، والغطاء النباتي البري يزداد انتعاشًا، ربما بسبب تراجع التحطيب من المنطقة

2005

لا توجد زراعة، يظهر غطاء متوسط الكثافة من الشجيرات والنباتات البرية الأخرى

2012

إزالة الصخور والنباتات البرية وظهور سناسل مستقيمة وشارع وغرفة من القرميد، وملامح زراعة

2015

أشجار زيتون تنمو في الموقع، وتوسعة السناسل في الجزء الجنوبي

2021

أشجار الزيتون تكبر، ومساحة السناسل تتوسع في الجزء الجنوبي، الصخور والنباتات البرية فلم يبق منها شيء يذكر

رسم توضيحي (21): بعض التحولات الأساسية على الحالة الدراسية رقم (2).

3

رسم توضيحي رقم (22): بعض التحولات الأساسية على الحالة الدراسية رقم (3). حسب الجمعية الزراعية، فإن مالك الأرض ينتظر فتح شارع ليتمكن من "تعمير" الأرض. الشارع نصف مفتوح، لكن السلطات الإسرائيلية منعت استكمال الشارع بحسب نفس المصدر.

4

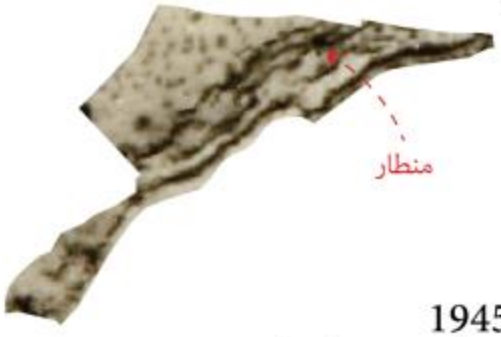

1945

تظهر أشجار فاكهة، أغلبها أشجار عنب

1997

يظهر غطاء نباتات برية

2005

جرف المنطقة وتحويلها إلى حبلات مستقيمة، لا زال هناك غطاء نباتات برية في الجنوب، الحبلة الجنوبية تشبه الحبلة التي كانت قبل الجرف، هناك ملامح زراعة في الحبلات الشمالية

2012

المزيد من التوسع في مساحة السناسل، وهناك تراجع في النباتات البرية إلى أقصى الجنوب، تظهر أشجار الفاكهة في الحبلات الشمالية، وتظهر زراعة خضار في الحبلة الوسطى وهناك بئر وغرفة صغيرة جديدين

2015

الأشجار المثمرة تكبر، الغطاء النباتي البري على وشك الاختفاء من كافة مساحة الأرض

2021

تستمر الأشجار المثمرة في النمو، ويعود الغطاء النباتي البري في أقصى الجنوب

رسم توضيحي (23): بعض التحولات الأساسية على الحالة الدراسية رقم (4).

5

1945

الجزء الشرقي من الأرض به بضعة سناسل، لا توجد زراعة واضحة ولكن توجد آثار حراث في الحبلات المسنسلة

1997

لا توجد زراعة، هناك شجيرة واضحة إلى أقصى الشرق، وهناك ثلاثة أشجار زيتون إلى أقصى الغرب

2005

الزيتون باقٍ، وتظهر العديد من الشجيرات، وغطاء خفيف من النباتات البرية

2012

الزيتون باقٍ، والشجيرات تزداد حجمًا، ويزداد غطاء النباتات البرية وضوحًا

2015

إزالة الغطاء النباتي البري وإبقاء الزيتون، وإقامة سناسل جديدة تظهر كخطوط مستقيمة، بعضها فوق السناسل القديمة

2021

لم تُزرع الأرض رغم إقامة السناسل، وعاد الغطاء النباتي البري من جديد، خاصة في الرميان، وبكمية أقل في اللزقات

رسم توضيحي رقم (24): بعض التحولات الأساسية على الحالة الدراسية رقم 5.

ملحق رقم 3: خرائط حول البنى التحتية الزراعية ومشاهد الأشجار المثمرة في منطقة الدراسة

وصف الملحق: الملحق يرتبط بالفصل الرابع من هذه الدراسة. استخدمت الباحثة تقنية (GIS) لوضع صور جوية من تواريخ مختلفة فوق بعضها البعض، ولترسيم طبقات عديدة من البيانات. تبين الصفحات التالية الطبقات المختلفة التي يمكن للقارئ التحكم بها من خلال اختيار الطبقات التي يرغب دراستها معًا ووضعها فوق بعضها ثم دراسة العلاقات بين الطبقات.